٢٩٠٧
أعجاز القرآن

٧ر٢١١
أ ٠ ح

الاعجاز فى القرآن العظيم ،تأليف الجرجانى
عبدالقاهر بن عبدالرحمن ـ ٤٧١هـ، كتب
فى القرن الثالث عشر الهجرى تقديرا
٧٤ ق ٢٩ س ٢٧x١٨سم
نسخه جيده ،خطها نسخ حسن ٠ طبع
٢٩٠٧ ر
الاعلام ٤:١٧٤ هدية العارفين ١:٦٠٦
ا ـ المعانى المتعلقة بالالفاظ والاحكام،
القرآن الكريم وعلومه ٠ أ ـ المؤلف
ب ـ تاريخ النسخ

دلائل الإعجاز

للعلامة عبد القاهر الجرجاني

الواضع لعلم المعاني

ق ٦٢٨ ج
١١٢٩٩/١٨٨
مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
اسم الكتاب دلائل الإعجاز الرقم ٧-٢٩٠
اسم المؤلف عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت ٤٧١هـ
تاريخ النسخ
عدد الأوراق ٤٠٩ القياس ٢٧×١٨سم
ملاحظات
٧-٢٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم اليه من الايمان والمتمم احسانه بما اقام لهم من جلي البرهان ۝ الذي حمد نفسه بما انزل من القرآن ليكون بشيرا ونذيرا ۝ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ۝ وهاديا الى ما ارتضى لهم من دينه وسلطانا ۝ واوضح وجه تبيينه ودليلا على وحدانيته ورشدا الى معرفة عزته وجبروته ومفصحا من صفات جلاله وعلوشانه وعظيم سلطانه وحجة لرسوله الذي ارسله وعلما على صدقه وبينة على انه امينه على وحيه وصادع بامره فما اشرفه من كتاب يتضمن صدق متحمله ورسالة تشتمل على تصحيح قول مؤديها بين فيه سبحانه ان حجته كافية هادية لا يحتاج مع وضوحها الى بينة تعدوها او حجة تتلوها وان الذهاب عنها كالذهاب عن الضرورياة والشك في المشاهدات ولذلك قال عز ذكره ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ۝ وقال عز وجل ۝ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ۝ لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ۝ فله الشكر على جزيل احسانه ۝ وعظيم منته ۝ والصلاة على محمد المصطفى وآله وسلم ۝ ومن اهم ما يجب على اهل دين الله كشفه واولى ما يلزم معرفته ما كان لاصل دينهم قواما ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا ولمعجزته تبيانا وحجة لا سيما والجهل ممدود الرواق ۝ شديد النفاق مستول على الافاق ۝ والقلم الى عفاء ودروس ۝ وعلى خفاء وطموس ۝ واهله في جفوة الزمن البهيم يقاسون من عبوسه لقاء الاسد الشتيم ۝ حتى صار ما يكابدونه قاطعا عن الجواب من يتلوك مناهجه والاخذ في سبله فالناس بين رجلين ذاهب عن الحق ذاهل

ذاهل عن الرشد واخر صدود عن نضرته مكدود في صنعته فقد ادى ذلك الى خوض الملحدين في اصول الدين وتشكيكهم اهل الضعف في كل يقين وقد قل لتصاريف واشتغل عنه اعوانه واسلمه اهله فصار عرضة لمن شاء ان يتعرض فيه حتى عاد مثل الامر الاول على ما خاضوا فيه عند ظهور امره فمن قايل قال انه سحر وقايل يقول انه شعر واخر يقول انه اساطير الاولين وقالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا الى الوجوه التي حكى الله عز وجل عنهم انهم قالوا فيه وتكلموا به فصرفوه اليه وذكر لي عن بعض جهالهم انه جعل يعد له بعض الاشعار ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ولا يرضى بذلك حتى يفضله عليه وليس هذا ببديع من ملحدة هذا العصر وقد سبقهم الى عظم ما يقولونه اخوانهم من ملحدة قريش وغيرهم الا ان اكثر من كان يطعن فيه في اول امره استبان رشده وابصر قصده فتاب واناب وعرف على نفسه الحق بعزيزة طبعه وقوة اتقانه لتصرف لسانه بل لهداية ربه وحسن توفيقه ۝

والجهل في هذا الوقت اغلب والملحد فيه عن الرشد ابعد وعن الواجب اذهب وقد كان يجوز ان يقع ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن وتكلم في فوايده من اهل صنعته العز بيته وغيرهم من اهل صناعة الكلام ان يبسطوا القول في الابانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه فهو احق بكثير مما صنفوا فيه من القول في الجزء ودقيق الكلام في الاعراض وكثير من بديع الاعراب وغامض النحو فالحاجة الى هذا امس والاشتغال به اوجب وقد قصر بعضهم في هذه المسئلة حتى ادى ذلك الى تحول قوم منهم الى مذاهب البراهمة فيها وراوا ان عجز اصحابهم عن نصره هذه المعجزة يوجب الاستنصار فيها ولا وجه لها حين راهم قد برعوا في لطيف ما ابدعوا وانتهوا الى الغاية في ما احدثوا ووضعوا ثم راوا ما صنفوه في هذا المعنى غير كامل في بابه ولا مستوفى في وجهه قد اخل بتهذيب طرقه واهمل ترتيب بيانه وقد يعذر بعضهم في تقريط يقع منه فيه وذهاب عنه لان هذا الباب مما يمكن احكامه بعد التقدم في امور شريفه المحل عظيمة المقدار دقيقه المسلك لطيفه المآخذ واذا انتهينا الى تفصيل القول فيها استبان ما قلناه من الحاجة الى هذه المقدمات حتى يمكن بعدها احكام القول في هذا الشان ۝ وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يرد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس في اكثر هذا المعنى وسالنا سايل

ان تذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض
للجهال وتنهى الى ما يخطرلهم ويعرض لافهامهم من الطعن في وجه المعجزه
فاجبناه الى ذلك متقربين الى الله عز وجل ومتوكلين [illegible]سن توفيقه
ومعونته ۞ ونحن نبتين ما سبق فيه البيان من غيرنا ونشير اليه ولا
نبسط القول ليلا يكون ما القناه مكررا ومقولا بل يكون مستفادا
من جمله هذا الكتاب خاصة ونصف ما يجب وصفه من القول في تنزيل
متصرفات الخطاب وترتيب وجوه الكلام وما تختلف فيه طرق البلاغه وتتفاوت
من جهته سبل البراعه وما تشتبه له ظاهر الفصاحة ويختلف فيه المختلفون
من اهل صناعه العربيه والمعرفه بلسان العرب في اصل الوضع ثم ما اختلفت
به مذاهب مستعليه في فنون ما ينقسم اليه الكلام من شعر ورسايل وخطب و
غير ذلك من مجاري الخطاب وان كانت هذه الوجوه الثلثه اصول ما يبين فيه
التفاصح وتقصد فيه البلاغه لان هذه امور يتعمل لها في الاغلب ولا يتجون
فيها ۞ ثم من بعد هذا الكلام الدائر في محاوراتهم والتفاوت فيه اكثر لان
التعمل فيه اقل الا من غزاره طبع او فطانه تصنع وتكلف ونشير الى ما يجب
في كل واحد من هذه الطرق ليعرف محل عظيم القران وليعلم ارتفاعه عن
مواقع الوجوه وتجاوزه الحد الذي يصح او يجوز ان يوازن بينه وبينها او يشبه
ذلك على متامل ۞ ولسنا نزعم انه يمكننا ان نبين ما رمنا بيانه وارد نا
شرحه وتفصيله لمن كان عن معرفه الادب ذاهبا وعن وجه اللسان غافلا لان
ذلك مما لا سبيل اليه الا ان يكون الناظر في ما نعرض عليه مما قصدنا اليه
من اهل صناعه العربيه قد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه
وعرف جملة من طرق المتكلمين ونظر في شيء من اصول الدين وانما ضمن الله عز
وجل فيه البيان لمثل من وصفناه فقال كتاب فصلت اياته قرانا عربيا
لقوم يعلمون وقال انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون فصل
في ان نبوه النبي عليه السلم معجزتها القران الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفه
اعجاز القران ان نبوه نبينا عليه السلم ثبت على هذه المعجزة وان كان قد ايد
بعد ذلك بمعجزات كثيره الا ان تلك المعجزات قامت في اوقات خاصه واحوال
خاصه وعلى اشخاص خاصه ونقل بعضها نقلا متواترا يقع به العلم وجودا
وبعضها مما نقل نقلا خاصا الا انه حكي بمشهد من الجمع العظيم وانهم
شاهدوه فلو كان الامر على خلاف ما حكي لانكروه او لانكره بعضهم فحل محل

المعنى الاول وان لم يتواتر اصل النقل فيه وبعضها مما نقل من جهه الاد وكان
وقوعه بين يدي الاحاد ۞ فاما دلاله القران فهي عن معجزة عامه
عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجه بها في اول وقت ورودها
الى يوم القيامه على حد واحد وان كان قد يعلم بعجز اهل العصر الاول عن الاتيان
بمثله وجه دلالته وكذلك قد يغني عجز اهل هذا العصر عن الايتان بمثله
عن النظر في حال اهل العصر الاول وانما ذكرنا هذا الفصل لما حكي عن بعضهم
انه زعم انه وان كان قد عجز عنه اهل العصر الاول فليس اهل هذا العصر بما
جزين عنه ويكفي عجز اهل العصر الاول في الدلاله لانهم خصوصا بالتحري دون
غيرهم ونحن نبتين خطا هذا القول في موضعه ۞ فاما الذي يبتين
ما ذكرناه من ان الله تعالى حين اتبعثه جعل معجزته القران وبنى امر نبوته عليه
سور كثيره وايات نذكر بعضها وننبه بالمذكور على غيره فليس يخفى بعد التنبيه
على طريقه فمن ذلك قوله تعالى الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلما
الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد فاخبر انه انزله ليقع الاهتداء به
ولا يكون كذلك الا وهو حجة ولا يكون حجة ان لم تكن معجزه وقال عز وجل
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فلولا ان سماعه ايا ه
حجة عليه لم يقف امره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزه وقال عز
وجل وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من
المنذرين وهذا بين جدا فيما قلناه من انه جعله سببا لكونه منذرا ثم اوضح
ذلك بان قال بلسان عربي مبين فلولا ان كونه بهذا اللسان حجه لم يعقب
كلامه الاول به وما من سوره افتتحت بذكر الحروف المقطعه الا وقد
اشيع فيها بيان ما قلناه ونحن نذكر لتستدل بذلك على ما بعده وكثير من هذه
السور اذا تاملته فهو من اول الى اخره مبني على لزوم حجه القران والتنبيه على
وجه معجزته فمن ذلك سوره المؤمن قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم ثم وصف نفسه بما هو اهله من قوله غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب الى ان قال ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فدل على ان
الجدال في تنزيله كفر والحادم اخبر ما وقع من تكذيب الامم برسلهم بقوله
عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم الى اخر الايه فتوعدهم
بانه اخذهم في الدنيا بذنبهم في تكذيب الانبياء وردبر اهينهم فقال
فاخذتهم فكيف كان عقاب توعدهم بالنار فقال وكذلك حقت كلمة ربك

على الذين كفروا انهم اصحاب النار ثم عظم شان المومنين بهذه الحجه مما اخبر
من استغفار الملائكه لهم وما وعدهم عليه من المغفره فقال الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا
وسعت كل شي رحمه وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب
الجحيم فلولا انه برهان قاهر لم يذم الكفار على العدول عنه ولم يحمد
المومنين على المصير اليه ثم تمام الايات في دعاء الملائكه للمومنين ثم عطف على
وعيد الكافرين فذكر ايات ثم قال هو الذي يريكم اياته فامر بالنظر في اياته
وبراهينه الى ان قال رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء
من عباده لينذر يوم التلاق فجعل القرآن والوحي به كالروح لانه به يودي الى
حياه الابد ولانه لا فايدة للجسد من دون الروح فجعل هذا الروح سببا للانذار
وعلما عليه وطريقا اليه ولولا ان ذلك برهان بنفسه لم يصح ان يقع به الانذار
والاخبار عما يقع عند مخالفته ولم يكن الخبر عن الواقع في الاخره عند ردهم
دلالته من الوعيد حجه ولا معلوما صدقه فكان لا يلزمهم قبوله فلما خلص
من الايات في ذكر الوعيد على ترك القبول ضرب لهم المثل بمن خالف الايات
وجحد الدلالات والمعجزات فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين كانوا من قبلهم الى اخر الآيه ثم بين ان عاقبتهم صارت الى السوأى
بان رسلهم كانت تاتيهم بالبينات وكانوا لا يقبلونها منهم فعلم ان ما قدم
ذكره في السوره بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر قصه موسى ويوسف
عليهما السلم ومجيئهما بالبينات ومخالفتهم حكمها الى ان قال الذين يجادلون
في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار فاخبر ان جدالهم في هذه الايات لا يقع بحجه
وانما يقع عن جهل وان الله يطبع على قلوبهم ويصرفهم عن تفهم وجه البرهان
لجحودهم وعنادهم واستكبارهم ثم ذكر كثيرا من الاحتجاج على التوحيد ثم قال
الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون ثم بين هذه الجمله وان من اياته الكتاب
فقال الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون الى ان قال
وما كان لرسول ان ياتي باياه الا باذن الله فدل على الايات على ضربين احدهما كالمعجزات
التي هي ادله في دار التكليف والثاني الايات التي ينقطع عندها العذر ويقع
عندها العلم الضروري وانها اذا جاءت ارتفع التكليف ووجب الاهلاك الى ان
قال فلم يك ينفعهم ايمانهم راوا باسنا فاعلمنا انه قادر على هذه الايات ولكنه

ان

اذا اقامها زال التكليف وخفت العقوبه على الجاحدين وكذلك ذكر في حم السجده على
هذا المنهاج الذي شرحنا فقال عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فلولا انه جعله برهانا لم يكن بشيرا
ولا نذيرا ولم يختلف بان يكون عربيا مفصلا او بخلاف ذلك ثم اخبر عن جحودهم
وقله قبولهم لقوله فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ولولا انه حجه لم يضرهم
الاعراض عنه وليس لقايل ان يقول لم لا يكون وليس يحتاج في كونه بحجه
الى دلاله على صدقه وصحه نبوته وذلك انه انما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل
ولم يذكر حجه غيره وبين ذلك انه قال عقيب هذا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
فاخبر انه مثلهم لولا الوحي ثم عطف عليه بحمد المومنين به المصدقين له
فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ومعناه الذين امنوا
بهذا الوحي والتنزيل وعرفوا هذه الحجه ثم تصرف الاحتجاج على الوحدانيه و
القدره الى ان قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقه مثل صاعقه عاد وثمود
فوعدهم بما اصاب من قبلكم من المكذبين بايات الله من قوم عاد وثمود في الدنيا
ثم توعدهم بامر الاخره فقال ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون الى
انتهاء ما ذكره فيه ثم رجع الى ذكر القرآن فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ثم اثنى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول
فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكه الا تخافوا ولا
تحزنوا ثم قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
وهذا بينه على ان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف اعجاز القرآن وانه دلاله له
على جمله الاستدلال لان الضروريات لا يقع فيها نزغ الشيطان ونحن
نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه ثم قال ان الذين يلحدون في اياتنا الى ان
قال ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وهذا وان كان متاولا على انه لا يوجد فيه غير الحق مما يتضمنه
من اقاصيص الاولين واخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه
من الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي انبا انها تقع في الثاني
فلا يحرج من ان يكون متاولا على يقتضيه نظام الخطاب من انه لا ياتيه ما
يبطله من شبهه سابقه تقدح في معجزته او تعارضه في طريقه وكذلك لا
ياتيه من بعده قاطع يشككك في وجه دلالته وهذا اشبه بسياق الكلام
ونظامه ثم قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت

ايايه اعجمي وعربي فاخبر انه لو كان اعجميا لقالوا لكانوا يحتجون في ردّه
اما بان ذلك خارج عن عرف خطابهم وكانوا يعتدون بدها بهم عن معرفه معناه
وبانهم لا يبين لهم وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شانهم ولا من لسانهم او بغير
ذلك من الامور وانه اذا تحداهم الى ما هو من لسانهم وشانهم فعجزوا عنه
وجبت الحجه عليهم به على ما بيّنه في وجه هذا الفصل الى ان قال قل ارايتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد والذي
ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبّه على غيرهما من السور فكر هنا سرد
القول فيها فليتامل المتامّل ما دللناه عليه يجده كذلك ۞ ثم ممّا
يدل على هذا قوله عزّ وجلّ وقالوا لا انزل عليه ايه من ربّه قل انّما الايات عند الله
وانّما انا نذير مبين اولم يكفهم انّا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فاخبر ان
الكتاب ايه من اياته وعلم من اعلامه وانّ ذلك يكفي في الدلاله ويقوم مقام
معجزات غيره وايات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم ويدلّ عليه قوله
عزّ وجلّ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله
ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمحو الله
الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته فدلّ على انه جعل قلبه مستودعا لوحيه ومستنزلا
لكتابه وانّه لو شاء صرف ذلك الى غيره وكان له حكم دلالته على تحقيق الحقّ
وابطال الباطل مع صرفه عنه ولذلك اشباه كثيرة تدلّ نحو الدلالة التي
وصفناها فبان بهذا وبنظايره ما قلنا من انّ نباء نبوته صلى الله عليه وسلم
على دلالة القرآن ومعجزته وصار له من الحكم في دلالته على نفسه وصدقه
انّه يمكن ان يعلم انّه كلام الله تعالى وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزله
على الانبياء لانّها لا تدلّ على نفسها الا بامر زايد ووصف منضاف اليها
لانّ نظمها ليس معجزا وان كان ما يتضمّنه من الاخبار عن الغايبات والغيوب
معجزا وليس كذلك القرآن لانّه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها
في انّ نظمه معجز فيمكن ان يستدلّ به عليه وحلّ في هذا من وجه محلّ سماع
الكلام من القديم سبحانه لانّ موسى عليه السلم لمّا سمع كلامه علم انّه في
لحقيقه كلامه وكذلك من يسمع القرآن يعلم انّه كلام الله وان اختلف
الحال في ذلك من بعض الوجوه لانّ موسى عليه السلم سمعه من الله جلّ وعزّ
واسمعه نفسه متكلّما وليس كذلك الواحد منّا وكذلك قد يختلفان في غير
هذا الوجه وليس ذلك قصدنا بالكلام في هذا الفصل والذي نرومه الآن

ما بيّنا من انّا فهمنا في المعنى الذي وصفنا وهو انه عليه السلام
يعلم انه ما يستمعه كلام الله من جهة الاستدلال وكذلك
نحن نعلم ما نقرأه من هذا على جهة الاستدلال *

قد ثبت ما بيّنا في الفصل الاوّل ان نبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم
مبنيّة على دلالة معجز ان القرآن فيجب ان نبيّن وجه الدلالة
من ذلك فقد ذكر العلماء ان الاصل في هذا هو ان نعلم ان القرآن
الذي هو مسطور محفوظ مرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبيّ
صلّى الله عليه وسلّم وانه هو الذي تلاه على من في عصره ثلثا
وعشرين سنة والطريق الى معرفة هذا هو النقل المتواتر الذي
يقع عنده العلم الضروري به وذلك انه قام به في المواقف
وكتب به الى البلاد وحمله عنه الى الناس تابعه واورده على غيره
من لم يتابعه حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشتبه على احد
ولا يجيل انه قد خرج من اتي بقران يتلوه ويأخذه على غيره ويأخذ
غيره على الناس حتى انتشر ذلك في ارض العرب كلها وتعدّى الى
الملوك المصاقبة لهم كملك الروم والعجم والقبط والحبش وغيرهم
من ملوك الاطراف فلما ورد ذلك مضادّا لاديان اهل ذلك العصر
كلهم ومخالفا لوجوه اعتقاداتهم المختلفة في الكفر وقف جميع اهل
الخلاف على جملته ووقف جميع اهل دينه الذين اكرمهم الله بالايمان
على جملته وتفاصيله وتظاهر بينهم حتى حفظهم حفظه الرجال
وتنقلت به الرجال وتعلمه الكبير والصغير اذ كان عمدة دينهم
وعلما عليه والمفروض تلاوته في صلواتهم والواجب استعماله
في احكامهم ثم تناقله خلف عن سلف هم مثلهم في كثرتهم
وتوفر دواعيهم على نقله حتى انتهى الينا ما وصفناه بين
من حاله فلن يتشكك احد ولا يجوز ان يتشكك مع وجود
هذه الاسباب في انه اتى به هذه القران من عند الله فهذا اصل
واذا ثبت هذا الاصل وجودا فانا نقول انه تحدّاهم الى ان يأتوا
بمثله وقرعهم على ترك الاتيان به طول السنين التي وصفناها
فلم يأتوا بذلك والذي يدلّ على هذا الاصل انا قد علمنا ان ذلك

مذكور في القرآن في المواضع الكثيرة كقوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون
الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وكقوله أم يقولون
افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم
من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما
انزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون فجعل عجزهم
عن الإتيان بالأشباه دليلا على أنه منه ودليلا على وحدانيته
وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم أنه لا يمكن أن يعلم
بالقرآن الوحدانية وزعم أن ذلك مما لا سبيل إليه إلا من جهة العقل
لأن القرآن كلام الله عز وجل ولا يصح أن يعلم الكلام حتى يعلم المتكلم
أو لا ففلنا إذا ثبت بما بيناه إعجازه وأن الخلق لا يقدرون عليه
ثبت أن الذي أتى به غيرهم وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من
يختص بالقدرة عليهم وأنه صدق وإذا كان كذلك كان ما تضمنه
صدقا وليس إذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع أن يعرف
من الوجهين وليس الغرض تحقيق القول في هذا الفصل لأنه
خارج عن مقصود كلامنا ولكنا ذكرناه من جهة دلالة الآية
عليه ومن ذلك قوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله
أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا
صادقين فقد بينا بما بيناه أنه تحداهم إليه ولم يأتوا بمثله وفي
هذا وإن أحدهما التحدي إليه والآخر أنهم لم يأتوا بمثله والذي
يدل على ذلك النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري فلا يمكن
جحود واحد من هذين الأمرين وإن قال قائل لعله لم يقرأ عليهم
الآيات التي فيها ذكر التحدي وإنما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن
كان ذلك قولا باطلا يعلم بطلانه مثل ما يعلم به بطلان قول من
زعم أن القرآن أضعاف هذا وهو يبلغ حمل جمل وأنه كتم وسيظهره
المهدي أو يدعي أن هذا القرآن ليس هو الذي جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم وإنما هو شيء وضعه عمر أو عثمان رضي الله عنهما

حيث

حيث وضع المصحف أو يدعي فيه زيادة أو نقصانا وقد ضمن الله
تعالى حفظ كتابه إن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه
ووعده الحق وحكايته قول من قال ذلك يغني عن الرد عليه لأن
العدد الذين أخذوا القرآن في الأمصار وفي البوادي وفي الأسفار
والحضر وضبطوه حفظا من بين صغير وكبير وعرفوه حتى صار
لا يشتبه على أحد منهم حرف لا يجوز عليهم السهو والنسيان
ولا التغليط فيه والكتمان ولو أرادوا أو نقصوا أو غيروا لظهر وقد
علمت أن شعر امرئ القيس وغيره على أنه لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن
ولا أن يحفظ كحفظه وأن يضبط كضبطه وأن تمس الحاجة إليه
مساسها إلى القرآن لو زيد فيه بيت أو نقص منه بيت لأبل لو غير فيه
لفظ لنبرأ منه أصحابه ولأنكره أن يأتيه فإذا كان ذلك مما لا يمكن في شعر
امرئ القيس ونظرائه مع أن الحاجة إليه تقع لحفظ العربية فكيف
يجوز أو يمكن ما ذكروه في القرآن مع شدة الحاجة إليه في أصل
الدين ثم في الأحكام والشرائع واشتمال الهمم المختلفة على ضبطه
فمنهم من يضبطه لأحكام قرائته ومعرفة وجوهها وصحة أدائها
ومنهم من يحفظه للشرائع والفقه ومنهم من يضبطه ليعرف
تفسيره ومعانيه ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة
ومن الملحدين من يحصله لينظر في عجيب شأنه وكيف يجوز على
أهل هذه الهمم المختلفة والآراء المتباينة على كثرة أعدادهم
واختلاف بلادهم وتنافر أغراضهم أن يجتمعوا على التغيير والتبديل
والكتمان ويبين ذلك أنك إذا تأملت ما ذكر في أكثر السور مما بينا
ومن نظائر في رد قوله عليه ورد غيرهم وقولهم لو نشا لقلنا
مثل هذا وقول بعضهم أن هذا الاختلاف إلى الوجوه التي يصرف
إليها قولهم في الطعن عليه فمنهم من يستهين بها ويجعل ذلك سببا
لتركه الإتيان بمثله ومنهم من يزعم أنه مفتري فلذلك لا يأتي بمثله
ومنهم من يزعم أنه دارس وأنه أساطير الأولين وكرهنا أن نذكر كل آية
تدل على تحديه ليلا يقع التطويل ولو جاز أن يكون بعضه كثرنا
جاز على كله ولو جاز أن يكون بعضه موضوعا جاز في ذلك كله فثبت
بما بيناه أنه تحدي إليه وأنهم لم يأتوا بمثله وهذا الفصل قد بينا

أن الجميع قد ذكروه ونبوا عليه فاذا ثبت هذا وجب ان يعلم بعده
ان تركهم للاتيان بمثله كان لعجزهم عنه والذي يدل على انهم
كانوا عاجزين عن الاتيان بمثل القرآن انه تحداهم إليه حتى طال
التحدي وجعله دلالة على صدقه ونبوته وتضمن احكامه واباحة
دمائهم واموالهم وسبي ذريتهم فلو كانوا يقدرون على تكذيبه
لفعلوا وتوصلوا إلى تخليص انفسهم واهليهم واموالهم من حكمه
بامر قريب هو عادتهم في لسانهم وما ألوف من خطابهم وكان ذلك
يغنيهم عن تكلف القتال واكثار المراء والجدال وعن الجلاء عن
الاوطان وعن تسليم الاهل والذرية للسبي فلما لم يحصل هناك
معارضة منهم علم انهم عاجزون عنها ويبين ذلك ان العدو يقصد
لدفع قول عدوه بكل ما قدر عليه من المكائد لاسيما مع استعظامه
ما ابدعه بالمحل من خلع الهنه وتسفيه رأيه في ديانته وتضليل
آبائه والتغريب عليه بما جاء به واظهار امر يوجب الانقياد لطاعته
والتصرف على حكم ارادته والعدول عن الفه وعادته والانخراط
في سلك الاتباع بعد ان كان متبوعا والتشييع بعد ان كان مشيعا
وتحكيم الغير في ماله وتسليطه اياه على جملة احواله والدخول تحت
تكاليف شاقة وعبادات متعبة بقوله وقد علم ان بعض هذه
الاحوال مما يدعو الى سلب النفوس دونه هذا والحمية حمية تهم
والهمم الكبيرة همهم وقد بذلوا له السيف واخطروا بنفوسهم
واموالهم فكيف يجوز الا يتوصلوا الى الرد عليه والى تكذيبه
باهون سعيهم وما ألوف امرهم وما يمكن تناوله من غير ان
يعرق فيه جبين او يشتغل به خاطر وهو لسانهم الذي يتعاطون
به مع بلوغهم في الفصاحة النهاية التي ليس وراءها مطمع *
والرتبة التي ليس وراءها منزع ومعلوم انهم لو عارضوه بما يخدمهم
اليه لكان فيه توهين امره وتكذيب قوله وتفريق جمعه وتشتيت
اشياعه وكان من صدق به يرجع على اعقابه ويعود في مذهب
اصحابه فلما لم يفعلوا شيئا من ذلك مع طول المدة ووقوع الفسحة
وكان امره يتزايد حالا فحالا ويعلو شيئا فشيئا وهم على العجز
عن القدح في ايته والطعن في دلالته علم مما بيناه ان انهم كانوا *

لا

لا يقدرون على معارضته ولا على توهين حجته وقد اخبر الله تعالى
عنهم انهم قوم خصمون وقال لتنذر به قوما لدا وقال خلق الانسان
من نطفة فاذا هو خصيم مبين وعلم ايضا ان ما كانوا يقولونه من
وجوه اعتراضهم على القرآن مما حكى الله عز وجل عنهم من قولهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين وقوله ما هذا
الا افك مفتري وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين وقالوا يا ايها الذي
نزل عليه الذكر انك لمجنون وقالوا افتأتون السحر وانتم تبصرون
وقالوا أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون وقال الذين كفروا ان هذا
الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا
اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقال الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقوله الذين جعلوا القرآن عضين إلى
آيات كثيرة في نحو هذا تدل على انهم كانوا متحيرين في امرهم متعجبين
من عجزهم يفزعون إلى نحو هذه الامور من تعليل وتعذير ومدافعة
بما وقع التحدي إليه وعرف الحث عليه وقد علم منهم انهم ناصبوه
الحرب وجاهروه ونابذوه وقطعوا الارحام واخطروا بانفسهم
وطالبوه بالايمان والاتيان وغير ذلك من المعجزات يريدون
تعجيزه ليظهروا عليه بوجه من الوجوه فكيف يجوز ان يقدروا على
معارضته القريبة السهلة عليهم وذلك يدحض حجته ويفسد
دلالته ويبطل امره فيعدلون عن ذلك الى سائر ما صاروا اليه من الامور
التي ليس عليها من يد في المنابذة والمعاداة ويتركون الامر الخفيف
هذا مما يمتنع وقوعه في المعادات ولا يجوز اتفاقه من العقلاء والى
هذا قد استقصى اهل العلم الكلام واكثروا في هذا المعنى واحكموه
ويمكن ان يقال انهم لو كانوا قادرين على معارضته والاتيان بمثل
ما اتى به لم يجز ان يتفق منهم ترك المعارضة وهم على ما هم عليه
من الذرابة والسلاقة والمعرفة بوجوه الفصاحة وهو يستطيل
عليهم بانهم عاجزون عن مباراته وانهم يضعفون عن مجاراته
ويكرر فيما جاء به ذكر عجزهم عن مثل ما يأتي ويقرعهم ويوبخهم
عليه ويدرك اماله فيهم وينجح ما يسعى له بتركهم المعارضة وهو
يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه وتفخيم امره حتى يتلوا قوله قل لئن

اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره على من
يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقوله ولقد
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون وقوله وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون
وقوله هدى للمتقين وقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله الى غير ذلك من الآيات التي تتضمن لعظيم شان القرآن
فنها ما يتكرر في السور في مواضع منها ومنها ما ينفرد فيها وذلك
مما يدعوهم الى المباراة ويحضهم على المعارضة وان لم يكن متحديا
اليه الا ترى انهم قد كان بينا فرسعا وهم بعضهم بعضا ولهم في
ذلك مواقف معروفة واخبار مشهورة وايام منقولة وكانوا
يتنافسون على الفصاحة والخطابة والذلاقة ويتجمعون بذلك
ويتفاخرون بينهم فلن يجوز والحال هذه ان يتفاوتوا عن معارضته
لو كانوا قادرين عليها اتخذاهم اولم يتخذاهم اليها ولو كان هذا
القبيل مما يقدر عليه البشر لوجب في ذلك امر اخر وهو انه لو كان
مقدورا للعباد لكان قد اتفق الى وقت مبعثه من هذا القبيل *
ما كان يمكنهم ان يعارضوه به وكانوا لا يفتقرون الى تكلف وضعه
وتعمل نظمه في الحال فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق وخطبة
متقدمة ورسالة سالفة ونظم بديع ولا عارضوه به فقالوا هذا
افصح مما جئت به واعرب منه او هو مثله علم انه لم يكن الى ذلك
سبيل وانه لم يوجد له نظير ولو كان وجد له مثل لكان ينقل الينا
ولعرفناه كما نقل الينا اشعار اهل الجاهلية وكلام الفصحاء والحكماء
من العرب وادي الينا كلام الكهان واهل الرجز والسجع والقصيد
وغير ذلك من انواع بلاغاتهم وصنوف فصاحاتهم فان قيل الذي
بني عليه الامر في تثبيت معجزة القرآن انه وقع التحدي الى الاتيان
بمثله وانهم عجزوا عنه بعد التحدي اليه فاذا نظر الناظر وعرف
وجه النقل المتواتر في هذا الباب وجب له العلم بانهم كانوا عاجزين
عنه وما ذكرتم يوجب سقوط تاثير التحدي وان ما اتي به قد عرف

المعجز

المعجز عنه بكل حال قيل انما احتيج الى التحدي لاقامة الحجة واظهار
وجه البرهان لان المعجزة اذا ظهرت فانما تكون حجة بان يدعيها من
ظهرت عليه ولا تظهر على مدع لها الا وهي معلومة عند الله فاذا
كان يظهر وجه الاعجاز فيها للكافة بالتحدي وجب فيها التحدي
لانه تزول بذلك الشبهة عن الكل وينكشف للجميع ان المعجز واقع
عن المعارضة والا فان مقتضى ما قدمناه من الفصل ان من كان يعرف
وجوه الخطاب ويتقن مصارف الكلام وكان كاملا في فصاحته
جامعا للمعرفة بوجوه الصناعة لو انه احتج عليه بالقرآن وقيل له
ان الدلالة على النبوة والاية على الرسالة ما اتلوه عليك منه لكان ذلك
بلاغا في ايجاب الحجة وتماما في الزامه فرض المصير اليه وتما يؤكد هذا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الاحاد الى الاسلام محتجا *
عليهم بالقرآن لانا نعلم انه لم يكن منهم تصديقه تقليدا ونعلم ان
السابقين الاولين الى الاسلام لم يقلدوه وانما دخلوا على بصيرة
ولم نعلمه قال لهم ارجعوا الى جميع الفصحاء فان عجزوا عن الاتيان
بمثله فقد ثبت حجتي بل لما راهم يعلمون اعجاز الزمهم حكمه فقبلوه
وتابعوا الحق وبادروا اليه مسلمين ولم يشكوا في صدقه ولم
يرتابوا في وجه دلالته فمن كانت بصيرته اقوى ومعرفته ابلغ
كان الى القبول منه اسبق ومن استشبه عليه وجه الاعجاز والتبس
عليه بعض شروط المعجزات وادلة النبوات كان ابطا الى القبول حتى
تكاملت اسبابه واجتمعت له بصيرته وزادت عليه مواده وهذا
فصل يجب ان يتمم القول فيه من بعد فليس هذا موضعه وبين
ما قلناه ان هذه الاية علم يلزم الكل قبوله والانقياد له وقد علمنا
تفاوت الناس في ادراكه ومعرفته ووجه دلالته لان الاعجمي لا يعلم انه
معجز الا بان يعلم عجز العرب عنه وهو يحتاج في معرفة ذلك الى
امور لا يحتاج اليها من كان اهل صنعة الفصاحة فاذا عرف عجز
اهل الصنعة حل محلهم وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه وكذلك
لا يعرف المتوسط من اهل اللسان من هذا الشان ما يعرفه العالي
في هذه الصنعة فرتما حل في ذلك محل الاعجمي في الا يتوجه عليه الحجة
حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه وكذلك لا يعرف المتناهي

فى معرفة الشعر وحده او الغاية فى معرفة الخطب او الرسائل
وحدها غير هذا الشان ما يعرف من استكمل معرفة جميع تصاريف
الخطاب ووجوه الكلام وطرق البراعة فلا تكون الحجة قائمة عليّ
المختص ببعض هذه العلوم بانفراده دون تحققه بمجز البارع
فى هذه العلوم كلها عنه فاما من كان متناهيا فى معرفة وجوه
الخطاب وطرق البلاغة والفنون التى يمكن فيها اظهار الفصاحة
فهو متى يسمع القران عرف اعجازه وان لم نقل ذلك ادى هذا القول
الى ان يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعرف اعجاز القران حين
اوحى اليه حين صدر الحال بعجز اهل اللسان عنه وهذا خطا من القول
فصح فى هذا الوجه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين اوحى اليه
القران عرف كونه معجزا او بان قيل له انه دلالة وعلم على نبوتك
انه كذلك من قبل ان يقرأه على غيره او يتحدى اليه سواه ولذلك
قلنا ان المتناهى فى الفصاحة والعلم بالاساليب التى يقع فيها التفاضل
متى سمع القران عرف انه معجز لانه يعرف من حال نفسه انه لا يقدر عليه
ويعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه فيعلم ان عجز غيره كعجزه
هو وان كان يحتاج بعد هذا الى استدلال اخر على انه علم على نبوة
ودلالة على رسالة بان يقال له ان هذه اية لنبيه واعاظهرت عليه ودعاه
معجزة له وبرهانا على صدقه فان قيل فان من الفصحاء من يعلم عجز
نفسه عن قول الشعر ولا يعلم مع ذلك عجز غيره عنه فكذلك البليغ وان
علم عجز نفسه عن مثل القران فهو قد يخفى عليه عجز غيره قيل هو مع مستقر
العادة وان عجز عن قول الشعر وعلم انه مفحم فانه يعلم ان الناس لا ينفكون
من وجود الشعراء فيهم ومتى علم البليغ المتناهى فى صنوف البلاغات
عجزه عن القران علم عجز غيره لانه كما لا يعلم ان حاله وحال غيره فى هذا
الباب سواء اذ ليس فى العادة مثل للقران يجوز او يعلم فذرة احد من البلغاء
عليه فاذا لم يكن ذلك مثل فى العادة وعرف هذا الناظر جميع اساليب الكلام
وانواع الخطاب ووجد القران مباينا لها علم خروجه عن العادة وجرى
مجرى ما يعلم ان اخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادات فهو
لا يجوز من نفسه وكذلك لا يجوز وقوعه من غيره الا على وجه نقض
العادة بل نرى وقوعه موقع المعجزة وهذا وان كان بفارق فلق البحر

واخراج

واخراج اليد البيضاء ونحو ذلك من وجه وهو انه يستوى الناس
فى معرفة عجزهم عنه فكونه ناقضا للعادة من غير تامل شديد ولا
نظر بعيد فان النظر فى معرفة اعجاز القران يحتاج الى تامل ويفتقر
الى مراعاة مقدمات فى الكشف عن امور نحن ذاكروها بعد هذا الموضع
فكل واحد منها يؤول الى مثل حكم صاحبه فى الجمع الذى قدمناه ومما
يبين ما قلناه ان البليغ المتناهى فى وجوه الفصاحة يعرف اعجاز
القران وتكون معرفته حجة عليه اذا تحدى اليه وعجز عن مثله وان لم
ينتظر وقوع التحدى فى عجزه واما الذى يصنع ذلك الغير وهو
ما روى فى الحديث ان جبير بن مطعم ورد على النبى صلى الله عليه
وسلم فى معنى حليف له اراد ان يفاديه فدخل والنبى صلى الله
عليه وسلم يقرا سورة والطور وكتاب مسطور فى صلاة الفجر
قال فلما انتهى الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع قال
خشيت ان يدركنى العذاب فاسلمت وفى حديث اخر ان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه سمع سورة طه فاسلم وقد روى ان قوله عز وجل
فى اول حم السجدة الى قوله فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون نزلت
فى شيبة وعتبة ابنى ربيعة وابى سفين بن حرب وابى جهل
وذكرانهم بعثوهم وغيرهم من وجوه قريش بعتبة بن ربيعة الى
النبى صلى الله عليه وسلم ليكلمه وكان حسن الحديث عجيب
الشان بليغ الكلام واراد وا ان يأتيهم بما عنده فقرا النبى صلى
الله عليه وسلم سورة حم السجدة من اولها حتى انتهى الى
قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
فوثب مخافة العذاب فاستحكوه ما سمع فذكر انه لم يسمع منه
كلمة واحدة ولا اهتدى لجوابه ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم
يخف عليه وجه الاحتجاج والرد فقال له عثمان بن مظعون لتعلمن انه
من عند الله اذ لم يهتد لجوابه وابين من ذلك قول الله عز وجل
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه
مامنه فجعل سماعه حجة عليه بنفسه فدل على ان فيهم من يكون
سماعه اياه حجة عليه فان قيل لو كان على ما قلتم لوجب ان يكون
حال الفصحا الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم على طريقة

واحدة في اسلامهم عند سماعه قبل لا يجب ذلك لان صوارفهم
كانت كثيرة منها انهم يشكون ومنهم من يشك في اثبات الصانع
وفيهم من يشك في التوحيد وفيهم من يشك في النبوة الا ترى
ان ابا سفيان بن حرب لما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليسلم عام الفتح قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ان لك ان
تشهد ان لا اله الا الله قال بلى فشهد قال اما لك ان تشهد اني
رسول الله قال اما هذه ففي النفس منها شيء فكانت وجوه شكوكهم
مختلفة وطرق شبههم متباينة فمنهم من قلت شبهه وتأمل الحجة
حق تأملها ولم يستنكر فاسلم ومنهم من كثرت شبهه واعرض عن
تأمل الحجة حق تأملها اولم يكن في البلاغة على حد والنهاية فتطاول
عليه الزمان الى ان نظر واستبصر وراعى واعتبر واحتاج الى ان
يتأمل عجز غيره عن الاتيان بمثله فلذلك وقف امره ولو كانوا في
الفصاحة على مرتبة واحدة وكانت صوارفهم واسبابهم شفقة
لتوافقوا الى القبول جملة واحدة فان قيل فكيف يعرف البليغ الذي
وصفتموه باعجاز القرآن وما الوجه الذي ينظر فيه اليه والمنهاج الذي
يسلكه حتى يقف به على جلية الامر فيه قيل هذا سبيله ان يفرد له
فصل فان قيل فلم زعمتم ان البلغاء عاجزون عن الاتيان بمثله مع
قدرتهم على صنوف البلاغات وتصرفهم في اجناس الفصاحات وهلا
قلتم ان من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة والنوجة من هذه الطرق
الغريبة كان على مثل نظم القرآن قادرا واما بصرفة الله عنه صرفا من الصرف
او بمنعه من الاتيان بمثله صرفا من المنع او تقصر دواعيه دونه مع قدرته
عليه لينتكامل ما اراده الله من الدلالة ويحصل ما قصده من ايجاب الحجة
لان من قدر على نظم كلمتين بديعتين لم يعجز عن نظم مثلها فاذا اقدر
على ذلك قدر على ضم الثانية الى الاولى وكذلك الثالثة حتى يتكامل
قدر الاية والسورة فالجواب انه لو صح ذلك مع لكل من امكنه
نظم ربع بيت او مصراع من بيت ان ينظم القصائد ويقول الاشعار وصح
لكل ناطق قد يتفق في كلامه الكلمة البديعة نظم الخطب البليغة *
والرسائل العجيبة ومعلوم ان ذلك غير سائغ ولا ممكن على ان ذلك
لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظم الممتنع لكان مما حط

من

من رتبة البلاغة فيه ووضع من مقدار الفصاحة في نظمه كان
ابلغ في العجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ومنعوا عن معارضته
وعدلت دواعيهم عنه فكان يستغني عن انزاله على النظم البديع
واخراجه من العرض الفصيح العجيب على انه لو كانوا مرفوعا عنهم ما ادعاه
لم يكن في قبلهم من اهل الجاهلية مضرب في عما كان يعد له في
الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لانهم لم يتحدوا اليه
ولم تلزمهم حجته فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم ان ما ادعاه القائل
بالصرفة ظاهر البطلان وفيه معنى اخر وهو ان اهل الصنعة في
هذا الشان اذا سمعوا كلاما مطبوعا لم يخف عليهم ولم يشتبه لديهم
ومن كان متناهيا في فصاحته لم يجز ان يطمع في مثل هذا القرآن بحال فان
قال صاحب السؤال انه قد يطمع في مثل هذا القرآن بحال فان قال صاحب
السؤال انه قد يطمع في ذلك قيل له انت تزيد على هذا فتزعم ان كلام الاديب
قد يضارع القرآن وقد يزيد عليه في الفصاحة ولا يتحاشاه ويحسب
ان ما افشه في الجزل والظفرة هو ابدع واغرب من القرآن لفظا ومعنى ولكن
ليس الكلام على ما يقدره في نفسه ويحسبه ظانا من امره
والمرجوع في هذا الى جملة الفصحاء دون الاحاد ومتى تبين بعد هذا
وجه امتناعه عن الفصيح البليغ وعجزه في ذلك عن سائر اجناس
الخطاب ليعلم ان ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر
الخطاء بين الغلط وان هذا التقدير من جنس من حكى الله تعالى قوله في
محكم كتابه انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس
وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر
فهم يعترفون عن دعواهم انه يمكنهم ان يقولوا مثله فان ذلك من قول البشر
لان ما كان من فوق لهم فليس يقع فيه التفاضل الى الحد الذي يتجاوز ويحمل
امكان معارضته ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة انه لو كانت
المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وانما يكون المنع
معجزا او لا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه وليس هذا بأعجب
مما ذهب اليه فريق منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما يتأخرون
عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولا بأعجب من قول
فريق منهم انه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب

وانه يصح من كل واحد منها الاعجاز على حد واحد فان قيل فهل تقولون
بان غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز كالتوراة والانجيل والصحف
قيل ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم والتاليف وان كان معجزا كالقرآن
فيما يتضمن من الاخبار بالغيوب وان لم يكن معجزا لان الله تعالى لم يصفه
بما وصف به القرآن ولا نا قد علمنا انه لم يقع التحدي اليه كما وقع التحدي
الى القرآن ولمعنى اخر وهو ان ذلك اللسان لا يبلغ فيه من وجوه الفصاحة
ما يقع به التفاضل الذي ينتهي الى حد الاعجاز ولكنه يتقارب وقد رأيت
اصحابنا يذكرون هذا في سائر الالسنة ويقولون ليس يقع فيها من التفاوت
ما يتضمن التقديم العجيب ويمكن بيان ذلك بانا لا نجد في القدر الذي نعرفه
من الالسنة للشيء الواحد من الاسماء ما نعرف من اللغة وكذلك لا نعرف فيها
الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة على ما تناوله العربية وكذلك لا نعرف
في الاستعارات والاشارات ووجوه البديعة التي تجيء
تفصيلها بعد هذا ويشهد لذلك من القرآن ان الله تعالى وصفه بانه
بلسان عربي مبين وكرر ذلك في مواضع كثيرة وبين انه رفعه عن ان تجعله
اعجميا فلو كان يمكن في لسان العجم ايراد مثل فصاحته لم يكن ليرفعه عن هذه
المنزلة وانه وان كان يمكن ان يكون من فائدة قوله انه عربي مبين انه
مما يفهمونه ولا يفتقرون فيه الى الرجوع الى غيرهم ولا يحتاجون في تفسيره
الى من سواهم فلا يمتنع ان يفيد ما قلنا ايضا كما افاد بظاهره ما قدمناه
ويبين ذلك ان كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك الالسنة وهم من اهل البراعة
فيها وفي العربية فقد وقفوا على انه ليس يقع فيها من التفاضل والفصاحة
ما يقع في العربية ومعنى اخر وهو انا لم نجد اهل التوراة والانجيل ادعوا الاعجاز
لكتبهم ولا ادعى لهم المسلمون فعلم ان الاعجاز مما يختص به القرآن ويبين
هذا ان الشعر لا يأتي في ذلك الالسنة على ما قد اتفق في العربية وان
كان قد يتفق منها صنف او اصناف ضيقة لم يتفق فيها من البديع ما يمكن
ويأتي في العربية وكذلك لا يأتي في الفارسية جميع الوجوه التي يتبين
فيها الفصاحة على ما يأتي في العربية فان قيل فان المجوسي زعم ان كتاب
زراد شت وكتاب مانى معجزان قيل الذي يتضمنه كتاب مانى من كتاب
التريجان وضروب من السعوذة ليس يقع فيها اعجاز ويزعمون ان في الكتاب
الحكم وهي حكم منقولة متداولة على الالسن لا يختص بها امة دون امة

وان كان

وان كان بعضهم اكثر اهتماما بها وتحصيلا لها وجمعا لابوابها وقد ادعى
قوم ان ابن المقفع عارض القرآن وانما فزعوا الى الدرة اليتيمة وهما
كتابان احدهما يتضمن حكما منقولة توجد عند حكماء كل امة مذكورة
بالفضل فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى والاخر فشيء من الديانة
وقد تهوس فيه بما لا يخفى على متامل وكتابه الذي بيناه في الحكم
منسوخ من كتاب برزجمهر في الحكمة فاي صنع له في ذلك واي فضيلة
حازها في ما جاء به وبعد فليس يوجد له كتاب يدعي مدع انه عارض
في القرآن بل يزعمون انهم استعمل بذلك مدة ثم مزق ما جمع واستحيا
لنفسه من اظهاره فان كذلك فقد اصاب وابصر القصد ولا ينتبع
ان يشتبه عليه الحال في الابتداء يلوح له رشده ويتبين له امره
وينكشف له عجزه ولو كان يبقى على اشتباه الحال عليه لم يخف علينا
موضع عقله ولم يشتبه لدينا وجه شبهته ومتى امكن ان ندعي العوص
في شيء من كتبهم انه معجز في حسن تاليفه وعجيب نظمه

فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن

ذكر اصحابنا في غيرهم
في ذلك ثلاثة اوجه من الاعجاز احدها يتضمن من الاخبار عن الغيوب
وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم اليه في ذلك ما وعده
تعالى نبيه عليه السلام انه سيظهر دينه على الاديان بقوله
عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون ففعل ذلك وكان ابو بكر الصديق
رضي الله عنه اذا اغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من اظهار
دينه ليتقووا بالنصر ويستيقنوا بالنجح وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يفعل كذلك في ايامه حتى وقف اصحاب جيوشه عليه فكان سعد
ابن ابي وقاص رحمة الله عليه وغيره من امراء الجيوش من جهته يذكر
ذلك لاصحابه ويحرضهم به ويوثق لهم وكانوا يلقون الظفر من وجهاتهم
حتى فتح الى اخر ايام عمر رضي الله عنه الى بلخ وبلاد الهند وفتح في ايامه
مرو الشاهجان ومرو الروذ ومنعهم من العبور جيحون وكذلك فتح
في ايامه فارس الى الاصطخر وكرمان ومكران وسجستان وجميع ما كان
من مملكة كسرى وكل ما كان يملكه ملوك الفرس بين البحرين الى
الى جيحون وازال ملك ملوك الفرس فلم يعد الى اليوم ولا يعود ابدا

طرق

ان شاء الله تعالى ثم الى حدود ارمينية والى باب الابواب وفتح ايضا
ناحية الشام والاردن وفلسطين وقطاط مصر وان الملك فيصر
عنها وذلك من القران الى بحر مصر وهو ملك قيصر وغزو الخيول في
ايام ابراهيم عليه السلام الى حيث لم يبق دونها الا ما حجز دونه
بحر او حال عنه جبل منيع او ارض خشنة او بادية غير مسلوكة وقال الله
عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد
فصدق فيه وقال في اهل بدر وادى يعدكم الله احدى الطائفتين انها
لكم ووفى لهم بما وعد وجميع الايات التي تتضمنها القران من الاخبار عن
الغيوب يكثر جدا واذا اردنا ان نتبعه بالبعض على الكل والوجه الثاني
انه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اميا لا يكتب
ولا يحسن ان يقرأ وكذلك كان معروفا من حاله انه لم يكن يعرف شيئا
من كتب المتقدمين واقاصيصهم وانبائهم وسيرهم ثم اتى بجمل ما وقع
وحدث من عظيمات الامور ومهمات السير من حيث خلق الله ادم عليه
السلام الى حين مبعثه فذكر في الكتاب الذي جاء به معجزة له قصة ادم
عليه السلام وابتداء امره وما صار اليه امره من الخروج الى الجنة ثم هبوطه
من امر والديه واخوالهم وتوبته ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان
بينه وبين قومه وما انتهى اليه امره وكذلك امر ابراهيم عليه السلام
الى ذكر سائر الانبياء المذكورين في القران والملوك والفراعنة الذين كانوا
في ايام الانبياء صلوات الله عليهم ونحن نعلم ضرورة ان هذا مما لا سبيل
اليه الا عن تعلم وان كان معروفا انه لم يكن ملابسا لاهل الاثار وحملة الاخبار
ولا متردد الى المتعلم منهم ولا كان من يقرأ فيجوز ان يقع اليه كتاب فيأخذ
منه علم انه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال
عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذ لارتاب
المبطلون وقال وكذلك نفصل الايات وليقولوا درست وقد بينا
ان من كان يختلف الى تعلم علم ويشتغل بتلمذة اهل صنعة لم يخف
على الناس امره ولم يختلف عندهم مذهبه وقد كان يعرف فيهم من يحسن
هذا العلم وان كان نادرا وكذلك كان يعرف من يختلف اليه للتعليم وليس
يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها فلو كان منهم لم يخف امره والوجه
الثالث انه بديع النظم عجيب التاليف متناه في البلاغة الى الحد الذي

يعلم

يعلم عجز الخلق عنه والذي اطلقه العلماء هو على هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل
ونكشف الجملة التي اطلقوها فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للاعجاز وجوه منها
ما يرجع الى الجملة وذلك ان نظم القران على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج
عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمالوف من ترتيب خطابهم وله اسلوب يختص
به ويتميز في تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد وذلك ان الطرق التي يتقيد بها الكلام
البديع المنظوم ينقسم الى اعاريض الشعر على اختلاف انواعه ثم الى انواع الكلام الموزون
غير المقفى ثم الى اصناف الكلام المعدل المسجع ثم الى معدل موزون غير مسجع ثم الى
ما يرسل ارسالا فتطلب فيه الاصابة والافادة وافهام المعاني المعترضة على وجه بديع
وترتيب لطيف وان لم يكن معتمدا في وزنه وذلك شبيه في جملة الكلام الذي لا يتم
ولا ينصنع له وقد علمنا ان القران جارح عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق ويقفي
علينا ان نبين انه ليس من باب السجع ولا فيه شيء منه وكذلك ليس من قبيل الشعر
لان من الناس من زعم انه كلام مسجع ومنهم من يدعي فيه شعرا كثيرا والكلام عليهم يذكر
بعد هذا الموضع فهذا اذا تامله التامل تبين بخروجه عن اصناف كلامهم واساليب
خطابهم انه خارج عن العادة وانه معجز وهذه خصوصية ترجع الى جملة القران
وتتميز حاصل في جميعه ومنها انه ليس للعرب كلام يشتمل على هذه الفصاحة والغرابة
والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوايد الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في
البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر وانما ينسب الى
حكيمهم كلمات معدودة والفاظ قليلة والى شاعرهم قصايد محصورة يقع فيها
ما بينه بعد هذا من الاختلال ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف ويقع فيها ما بينه
من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف وقد حصل القران على كثرته وطوله متناسبا
في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال عز من قايل الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فاخبر ان كلام الادمي ان
امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال وهذا المعنى هو غير المعنى الاول الذي
بدانا بذكره فتامله تعرف الفضل وفي ذلك معنى ثالث وهو ان عجيب نظمه وبديع
تاليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف اليه من الوجوه التي منصرف فيها من ذكر
قصص ومواعظ واحتجاج وحكم واحكام واعذار وانذار ووعد ووعيد وبشير
وتخويف واوصاف وتعليم اخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة وغير ذلك
من الوجوه التي مشتمل عليها وتجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع

يختلف على حسب اختلاف هذه الامور فمن الشعراء من يجود في المدح دون
الهجو ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ومنهم من يسبق في التقريظ دون
التأبين ومنهم من يجود في التأبين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف
الابل او الخيل او سير الليل او وصف الحرب او وصف الروض او وصف الخمر او الغزل
او غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس
اذا ركب والنابغة اذا رهب وبزهير اذا رغب ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل
وسائر اجناس الكلام وميتنا ملك شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره
على حسب الاحوال التي ينصرف فيها قيابيّ بالغاية في البراعة في معنى فاذا
جاء الى غيره قصر عنه ووقف دونه وبان الاختلاف على شعره ولذلك ضرب
المثل بالذين سمّيتهم لانه لا خلاف في تقدمهم في صنعة الشعر ولا شك في تبريزهم
في مذهب النظم فاذا كان الاختلال بيّنا في شعرهم لاختلاف ما ينصرفون فيه *
واستغنيتا عن ذكر من هو دونهم وكذلك يسوغني به عن تفصيل نحو هذا في الخطب
والرسائل ونحوها ثم نجد في الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيد اصلا
ومنهم من ينظم القصيد ولكن يقصر فيه مما تكلفه او عمله ومن الناس من يجود في
الكلام المرسل فاذا ابتي بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ومنهم من يوجد بضد ذلك
وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما ينصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها
على حد واحد في حسن النظم وبديع التاليف والرصف لا تفاوت فيها ولا انحطاط
عن المنزلة العليا ولا اسفاف فيه الى الرتبة الدنيا وكذلك قد تأملنا ما يصرف
اليه وجوه الخطاب من الايات الطويلة والقصيرة فرأينا الاعجاز في جميعها على حد
واحد لا يختلف وكذلك قد تفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر القصة الواحدة *
فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة فعلمنا
بذلك انه مما لا يقدر عليه البشر لان الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت
الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الاسباب التي يتضمن ومعنى
رابع وهو ان كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بينا في الفصل والوصل والعلو والنزول
والتقريب والتبعيد وغير ذلك مما ينقسم اليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه القول
عند الضم والجمع الا ترى ان كثيرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى
الى غيره والخروج من باب الى سواه حتى ان اهل الصنعة قد انفقوا على تقصير
البحتري مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من التشبيب الى المديح واطبقوا
على انه لا يحسنه ولا يأتي فيه بشيء وانما انفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى

وتنقل

يستحسن وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء الى شيء والتحول
من باب الى باب ونحن نفصل بعد هذا ونفسر هذه الجملة ونبين ان القرآن على
اختلاف ما ينصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة بجعل المختلف كالمؤتلف
والمتباين كالمتناسب والمتنافر في الافراد الى احد الاحاد وهذا امر عجيب تشتبين به
الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج به الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف ويبين
خامس وهو ان نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الانس الجن
فهم يعجزون عن الاتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا وقد قال الله
عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان قيل هذه دعوى منكم وذلك انه لا سبيل لنا
الى ان نعلم عجز الجن عن مثله وقد يجوز ان يكونوا قادرين على الاتيان بمثله وان كنا
عاجزين كما انهم قد يقدرون على امور لطيفة واسباب غامضة دقيقة لا نقدر نحن
عليها ولا سبيل لنا للطف اليها واذا كان كذلك لم يكن الى علم ما ادعيتم سبيل قيل قد
يمكن ان نعرف ذلك بخبر الله عز وجل وقد يمكن ان يقال ان هذا الكلام خرج على ما كانت
العرب تعتقده من مخاطبة الجن وما يروون لهم من الشعر ويحكون عنهم من الكلام
وقد علمنا ان ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم والقدر الذي نقلوه قد تأملناه
فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الانس ولعله يقصر عنها ولا يمتنع ان يسمع
الناس كلامهم ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الانبياء صلوات الله عليهم
وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات على ان القوم الى الان يعتقدون
مخاطبة الغيلان ولهم اشعار محفوظة مروية في ذواويتهم قال نابغة بني [illegible]

وادهم قد جبت جلبابه كما ... اجتابت الكاعب الخيعلا
الى ان حدا الصبح اثناءه ... ومزق جلبابه الاليلا
على شيم نار يثور ثقابها ... فبت لها مدبرا مقبلا
فاصبحت والغول لي جارة ... فيا جارتا انت ما اهولا
وطالبتها بعضها فالتوت ... بوجه تهول واستفولا
فمن سال اين ثوت جارتي ... فان لها باللوى منزلا
وكنت اذا ما هممت اعتزمت ... واحزاذ اقلت ان افعلا

وقال اخر

عسوا ناري فقلت منون انتم ... فقال الجن قلت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم ... زعيم يحسد الانس الطعاما

ويذكرون لامرئ القيس قصيدة مع عمرو الجني واشعارا لهما كرهنا ذكرها لطولها

وقال عبيد بن ابوب

فلله در الغول اي رفيقة ... لصاحب قفر خائف متقفر
ارنت بلحن بعد لحن واوقدت ... حوالي بيرانا تبوخ وتزهر

وقال ذو الرمة بعد قوله

قد اعسف النازح المجهول معسفه ... في ظل اخضر يدعو هامه البوم
للجن بالليل في حافاتها رجل ... كانها وح يوم الريح عيسوم
دوية ودجا ليل كانهما ... يم تراطن في حافاتها الروم

وقال ايضا

وكم عرست بعد النوي من معرس ... لها من كلام الجن اصوات سامر

وقال ٢

ورمل عزيف الجن في عقباته ... هزيز كتقراب المغنين بالطبل

وان كان القوم يعتقدون كلام الجن ومخاطبتهم ويحكمون عنهم وذلك القدر المحكي لا يبرز امره على فصاحة العرب مع ما وصف عندهم من عجزهم عنه كعجز الانس وبين ذلك من القران ان الله تعالى حكى عن الجن مانفاه وصفوا فيه من القران فقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين الى اخر ما حكي عنهم فيما يتلونه فاذا ثبت انه وصف كلامهم وفاوفق ما يعتقدونه من نقل خطابهم صح ان يوصف الشيء المالوف فانه ينحط عن درجة القران في الفصاحة وهذا ان لم يكن عندي من جواب يعض المتكلمين عنه فان عجز الانس عن القران بثبت له حكم الاعجاز فلا يعتبر غيره الا ترى انه لو عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن عنه فقال لنا قائل قد دللتم على ان الملائكة تعجز عن الاتيان بمثله لم يكن لنا في الجواب غير هذه الطريقة التي قد بيناها واما قوله ضعفتا هذا الجواب لان الذي حكي وذكر عجز الجن والانس عن الاتيان بمثله فيجب ان نعلم عجز الجن عنه كما علمنا عجز الانس عنه ولو كان وصف عجز الملائكة عنه لوجب ان نعرف ذلك ايضا بطريقه فان قيل انتم قد انتهيتم الى ذكر الاعجاز في التفاصيل وهذا الفصل انما يدل على الاعجاز في الجملة قيل هذا كما انه يدل على الجملة فانه يدل على التفصيل ايضا فصح ان يلحق بهذا القبيل كما كان يصح ان يلحق بباب الجمل ومعنى سادس وهو ان الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار والجمع والتفريق *

والاستعارة والتصريح والتجوز والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجود في القران وكل ذلك مما ينجا وزحدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والابداع والبلاغة وقد مضتا بيان ذلك من بعد لان الوجه هاهنا ذكر المقدمات دون البسط والتفصيل ومعنى سابع وهو ان المعاني التي تضمنت في اصل وضع الشريعة والاحكام والاحتجاجات في اصل الدين والرد على الملحدين على ثلث الالفاظ البديعة وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع ذلك انه قد علم ان تخير الالفاظ للمعاني المتداولة المالوفة * والاسباب الدائرة بين الناس اسهل واقرب من تخير الالفاظ لمعان متبكرة واسباب مؤسسة مستحدثة فاذا برع اللفظ في المعنى البارع كان اللطف واعجب من ان يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المكرر والامر المتقرر المتصور ثم انضاف اليه ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تابيد ما يبتدا تاسيسه ويراد تحقيقه بان التفاضل في البراعة والفصاحة ثم اذا وجدت الالفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها لا يفضل احدهما على الاخر فالبراعة اظهر والفصاحة اتم ومعنى ثامن وهو ان الكلام بين فضله ورجحان فصاحته بان تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام او تقذف ما بين شعر فتاخذه الاسماع وتتشوف اليه النفوس ويبري وجه رونقه يا ديا غامر اساير ما يقرن به كالدرة التي تزي في سلك من خرز وكاليا قوتة في واسطة العقد وانت تزي الكلمة من القران يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غرة جميعه ووساطة عقده والمنادي على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله واعتراضه في جنسه وما يه وهذا الفصل ايضا مما يحتاج فيه الى تفصيل وشرح ونص * ليتحقق ما ادعيناه منه ولو لا هذه الوجوه التي بيناها لم يتحير فيه اهل الفصاحة ولكانوا يفزعون الى التحمل للمقابلة والتصنع للمعارضة وكانوا ينظرون في امرهم ويراجعون انفسهم او كان يراجع بعضهم بعضا في معارضته ويتوقفون لها فلما لم يزهم اشتغلوا بذلك علم ان اهل المعرفة منهم بالصنعة انما عدلوا عن هذه الامور لعلمهم بعجزهم عنه وقصور فصاحتهم دونه ولا يمتنع ان يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم ومتقدما في الفصاحة منهم هذه الحال حتى لا يعلم الا بعد نظر وتامل وحتى تعرف حال عجز غيره الا ترا ان ابنا سنادين يدهم واعيانهم ووجوههم سلموا ولم يشتغلوا بذلك تحققا بظهور العجز وتبينا له واما قوله تعالى حكاية عنهم قالوا انشانا فلنا مثل

هذا فقد يمكن أن يكونوا كاذبين فيما اخبروا به عن انفسهم وقد يمكن ان يكون
هذا الكلام انما خرج منهم وهو يدل على عجزهم ولذلك اورده الله مورد
تقريعهم لانه لو كانوا على ما وصفوا به انفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد
الى الانجاز والضمان الى الوفا فلما يستعملوا ذلك مع استمرار التحدي وتطاول
زمان الفسحة في اقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه علم عجزهم اذ لو كانوا قادرين
على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط ومعلوم من حالهم وحميتهم ان الواحد
منهم يقول في الحسران والهوام والحيات وفي وصف الأزمة والانساع والأمور
التي لا يويه لها ولا يحتاج اليها ويتنافسون في ذلك اشد التنافس
ويتبجحون به اشد التبجح فكيف يجوز ان تكنهم معارضته في هذه المعاني
الفسيحة والعبارات الفصيحة مع تضمن المعارضة تكذيبه والذب عن
اديانهم القديمة واخراجهم انفسهم من تسفيه رأيهم وتضليله اياهم
والتخلص من منازعته ثم من محاربته ومفارعته ثم لا يفعلون شيئا من ذلك
وانما يحيلون انفسهم على التعاليل ويعللونها بالاباطيل ومعي ناسع وهو ان
الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التي
افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه
الحروف في اوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو اربعة عشر حرفا ليدل
بالمذكور على غيره وليعرفوا ان هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينتظمون
بها كلامهم والذي ينقسم اليه هذه الحروف على ما قسمه اهل العربية
وبنوا عليها وجوهها اقسام نحن ذاكروها في ذلك انهم قسموها على حروف
مهموسة واخرى مجهورة فالمهموسة منها عشرة وهي الهاء والهاء والخا
والكاف والشين والتا والفا والثا والصاد والسين وما سوى ذلك من
الحروف فهي مجهورة وقد عرفنا ان نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة
الحروف المذكورة في اوائل السور وكذلك نصف الحروف المجهورة على
السوا لا زيادة ولا نقصان والمجهور معناه انه حرف اشبع الاعتماد في موضعه
ومنع ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت والمهموس كل حرف
اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس وذلك فيما يحتاج الى
معرفته لتبتني عليه اصول العربية وكذلك ما يقسمون اليه الحروف
يقولون انها على ضربين احدهما حروف الحلق وهي ستة الحرف العين
والحاء والهمزة والهاء والخاء والغين والنصف من هذه الحروف مذكورة

في

في جملة الحروف التي تشتمل على الحروف المبنية في اوائل السور وكذلك النصف
من الحروف التي ليست بحروف الحلق وكذلك تنقسم هذه الحروف الى قسمين
اخرين احدهما حروف غير شديدة والى الحروف الشديدة وهي التي يمنع
الصوت ان يجري فيه وهي الهمزة والقاف والكاف والجيم والطا والدال والطا
والبا وقد علمنا ان نصف هذه الحروف ايضا هي مذكورة في جملة تلك
الحروف التي بني عليها تلك السور ومن ذلك الحروف المطبقة وهي اربعة
احرف وما سواها منفتحة فالمطبقة الطاء والظاء والضاد والصاد وقد علمنا
ان نصف هذه في الجملة الحروف المبدوء بها في اوائل السور واذا كان القوم
الذين قسموا في الحروف هذه الاقسام لاغراض لهم في ترتيب العربية
وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وراوا
عيابي اللسان على هذه الجهة وقد نبه بما ذكر في اوائل السور على ما لم
يذكر على حد التنصيف الذي وصفنا دل على ان وقوعها الموقع الذي يقع
التواضع عليه بعد العهد الطويل لا يجوز ان يقع الا من الله عز وجل لان ذلك
يجري مجرى علم الغيوب وان كان انما نبه على ما بني عليه اللسان في
اصله ولم يكن لهم في التقسيم شيء وانما التاثير لمن وضع اصل اللسان فذلك
ايضا من البديع الذي يدل على ان اصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر
عنها اللسان فان كان اصل اللغة توقيفا فالامر في ذلك ابين وان كان على
سبيل التواضع فهو عجيب ايضا لانه لا يصح ان تجتمع هممهم المختلفة على
نحو هذا الا باذن من عند الله وكل ذلك يوجب اثبات الحكمة في ذكر هذه *
الحروف على حد يتعلق به الاعجاز من وجه وقد يمكن ان نعد فاتحة كل
سورة فائدة تخصها في النظم اذا كانت حروفا كنعوالم لان الالف المبدوء بها
هي اقصاها مطلعا واللام متوسطة والميم منطرفة لانها تاخذ في الشفة
فنبه بذكرها على غيرها من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين
ويشبه ان يكون التنصيف وقع في هذه الحروف دون الالف لان قد تلقى
وقد تقع الهمزة وهي موقعا واحدا ومعي عاشر وهو انه سهل سبيله
فهو خارج عن الوحشي المستنكر والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة
وجعله قريبا الى الافهام يبادر معناه لفظه الى القلب ويسابق الفكر فيه
عبارته الى النفس وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المنال غير مطمع
مع قربه في نفسه ولا موهم مع دنوه في موقعه ان يقدر عليه او يظفر

به فاما الانحطاط عن هذه الرتبة الى رتبة الكلام المبتذل والفوق
المسفسف فليس يصح ان تقع فيه فصاحة او بلاغة فيطلب فيه المنع
او يوضع فيه الاعجاز ولكن لو وضع في وحشي مستنكر او غريب وجوه
الصنعة او طبق بابواب التقشف والتكلف لكان لقائل ان يقول فيه
ويعتذر ويعيب ويقرع ولكنه اوضع منارة وقرب مناهجه وسهل
سبيله وجعله في ذلك منشابها مثليا وبين مع ذلك اعجازهم
فيه وقد علمت ان كلام فصحائهم وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف
في غريب مستنكر او وحشي مستكره ومعان مستبعدة ثم عدولهم
الى كلام مبتذل وضيع لا يوجد دونه في الرتبة ثم تحولهم الى كلام
معتدل بين الامرين متصرف بين المنزلتين فمن شاء ان يتحقق هذا نظر
في قصيدة امرئ القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما ينصرف اليه هذه القصيدة ونظايرها
ومنزلتها من البلاغة ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها على وجه يوخذ
باليد ويتناول من كثب ويتصور في النفس كتصور الاشكال ليتبين
ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن واعلم ان من قال من اصحابنا
ان الاحكام معللة بعلل موافقة مقتضى العقل جعل هذا وجها من وجوه
الاعجاز وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كنحو ما يعللون به الصلاة وعظم
الفروض واصولها ولهم في كثير من تلك العلل طرق قريبة ووجوه تستحسن
واصحابنا من اهل خراسان يولعون بذلك ولكن الاصل الذي يبنون عليه
عندنا غير مستقيم وفي ذلك كلام ياتي في كتابنا في الاصول
وقد يمكن في تفاصيل ما اوردنا من المعاني الزيادة والافراد فانا جمعنا
بين امور وذكرنا المزية المتعلقة بها وكل واحد من تلك الامور مما قد
يمكن اعتماده في اظهار الاعجاز فيه فان قيل فهل تزعمون انه بعض لانه حكاية
لكلام القديم سبحانه وتعالى او لانه عبارة عنه او لانه قديم في
نفسه قيل لسنا نقول باحد هذه الوجوه فكيف يصح التركيب على الفاسد
ولا نقول ايضا ان وجه الاعجاز في نظم القرآن انه حكاية عن الكلام القديم
لانه لو كان كذلك لكانت التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل
معجزات في النظم والتاليف وقد بينا ان اعجازها في غير ذلك وكذلك
كان يجب ان تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردها وقد ثبت

فصل في شرح ما بيناه من وجوه اعجاز القرآن

فاما الفصل الذي بدانا بذكره من الاخبار عن الغيوب والصدق والاصابة
في ذلك كله فهو كقوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم
اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فاغزاهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
الى قتال العرب والفرس والروم وكقوله الم غلبت الروم في ادنى الارض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وراهن ابو بكر الصديق
رضي الله عنه في ذلك وصدق الله وعده وكقوله في قصة اهل بدر
سيهزم الجمع ويولون الدبر وكقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين
لا تخافون وكقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم في قصة اهل
بدر وكقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وصدق الله تعالى وعده في كل ذلك
وقال في قصة المخلفين عنه في غزوته لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا فحقق ذلك كله وصدق ولم يخرج عن المخالفين الذين خوطبوا
بذلك معه احد وكقوله ليظهره على الدين كله وكقوله قل تعالوا ندع
ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله
على الكاذبين فامتنعوا من المباهلة ولو اجابوا اليها اضطرمت عليهم الاودية
نارا على ما ذكر في الخبر وكقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم ولو تمنوه لوقع بهم فهذا وما اشبهه

فصل

واما الوجه الثاني الذي ذكرناه من اخباره عن قصص الاولين وسير
المتقدمين فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على الاخبار ولم يشتغل
بدرس الاثار وقد حكي في القرآن تلك الامور حكاية من شاهدها وحضرها
ولذلك قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون وقال وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى

وقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك فبين وجه دلالته من اخباره بهذه الامور الغايبة السالفة
وقال تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا الاية فاما الكلام في الوجه الثالث وهو الذي بيناه من الاعجاز الواقع
في النظم والتاليف والرصف فقد ذكرنا من هذا الوجه وجوها منها انا قلنا
انه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم وضروبه لاساليب
خطابهم ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من ان يصحح انه ليس من قبيل النثر
ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى لان قوما من كفار قريش ادعوا انه
شعر ومن الملحدة من يزعم ان فيه شعرا ومن اهل الملة من يقول انه كلام
مسجع الا انه افصح مما قد اعتادوه من اسجاعهم ومنهم من يدعي انه كلام
موزون فلا يخرج بذلك عن اصناف ما يتعارفونه من الخطاب

فصل في نفي الشعر من القران

قد علمنا ان الله تعالى نفى الشعر من القران ومن النبي صلى الله عليه وسلم
فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين وقال في ذم
الشعراء والشعر أيتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون الى اخر ما وصفهم
به في هذه الايات فقال وما هو بقول شاعر لا بد ان يكون محمولا على
انهم لسبوه في القران الى ان الذي اتاهم به هو من قبيل الشعر الذي
يتعارفونه على الاعاريض المحصورة المالوفة او يكون محمولا على ما كان
يطلق الفلاسفة على حكمائهم واهل الفطنة منهم في وصفهم اياهم بالشعر
لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق وان كان ذلك الباب
خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة او يكون محمولا على انه اطلق بعض
الضعفاء منهم في معرفة اوزان الشعر وهذا بعد الاحتمالان فاذن حمل
على الوجهين الاولين كان ما اطلقوه صحيحا وذلك ان الشاعر يفطن لما لا
يفطن له غيره واذا قدر على صنعة الشعر كان مادونه في رايهم وعندهم
اقدر فنسبوه الى ذلك لهذا السبب فان زعم زاعم انه قد وجد في القران
شعر كثير افي ذلك ما يزعمون انه بين تام او ابيات تامة ومنه
ما يزعمون انه مصراع كقول القايل

قد قلت لما قالوا سلوني هيهان هيهات لما توعدون

ومما يزعمون انه بين قوله

وجفان كالجوابي وقدور راسيات

قالوا هو من الرمل من البحر الذي قيل فيه

ساكن الريح نطوف المزن منهل العزالي

وكقوله

من تزكى فانما يتزكى لنفسه

كقول الشاعر من بحر الخفيف

كل يوم بشمسه وغد مثل امسه

وكقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب قالوا هو من المتقارب وكقوله وداينة عليهم
ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويشبعون حركة الميم فيزعمون
انه من الرجز وذكر عن ابي نواس أنه ضمن

وفتية في مجلس وجوههم

ريحانهم قد عدموا الثقيلا

دانية عليهم ظلالها

وذللت قطوفها تذليلا

وقوله عز وجل ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
زعموا انه من الوافر كقول الشاعر

لنا غنم نسوقها غزار كان قرون جلتها عصي

وكقوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم
ضمنه ابو نواس في شعره ففصل وقال فذاك الذي وشعره

وقرا معلنا ليصدع قلبي

والهوى يصدع الفواد السقيما

ارايت الذي يكذب بالدين

فذاك الذي يدع اليتيما

وهذا من الخفيف كقول الشاعر

وفوادي كهده بسليمى هوى لم يجل ولم يتغير

وكما ضمنه في شعره من قوله

سبحان من سخرلنا حقا وما كنا له مقرنين

فزاد فيه حتى انتظم له الشعر وكما يقولونه في قوله عز وجل والعاديات
ضبحا فالموريات قدحا ونحو ذلك في القران كثير كقوله والذاريات ذروا
فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا وهو عندهم شعر من بحر البسيط

عن هذه الدعوة التي ادعوها من وجوه أولها ان الفصحاء
منهم حين اورد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدونه شعرا ولم يروه *
خارجا عن اساليب كلامهم لبادروا الى معارضته لان الشعر
مسخر لهم مسهل عليهم لهم فيه ما قد علمت من التصرف العجيب
والاقتدار اللطيف فلما رأيتهم اشتغلوا بذلك ولا عولوا عليه علم
انهم لا يعتقدوا فيه شيئا مما يقدره الضعفاء في الصنعة والمرتدون
في هذا الشان وان استدراك من يجئ الآن على فصحاء قريش وشعراء
العرب فاضحة في ذلك الزمان وبلغائهم وخطبائهم وزعمه
انه قد ظفر بشعر من القرآن ذهب اوليك النفر عنه وخفي
عليهم مع شدة حاجتهم الى الطعن في القرآن والغض منه
والتوصل الى تكذيبه بكل ما قدروا عليه فلن يجوز ان يخفى
على اوليك وان يجهلوه ويعرفه من جاء الان وهو بالجهل حقيق
واذا كان كذلك علم ان الذي اجاب به العلماء عن هذا
السؤال سديد وهو انهم قالوا ان البيت الواحد وما كان
على وزنه لا يكون شعرا واقل الشعر بيتان قصاعدا
والى ذلك ذهب اكثر اهل صناعة العربية من أهل
الاسلام وقالوا ايضا ان من كان على وزن بيتين الا انه يختلف
رويهما وقافيتهما فليس بشعر ثم منهم من قال ان الرجز
ليس بشعر اصلا لا بيتا اذا كان مشطورا او منهوكا
وكذلك ما كان يقارنه في قلة الاجزاء وعلى هذا يسقط السؤال
ثم يقولون ان الشعر انما يطلق ميتى قصد الفاصد اليه
على الطريق الذي يعتمد ويسلك ولا يصح ان يتفق
مثله الا من الشعراء دون ما يستوي فيه العامي
والجاهل والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما
يتفق من كل واحد فليس بكتسب اسم الشعر *
ولا صاحبه اسم شاعر لانه لو صح ان يسمى كل من اغزق
في كلامه الفاظ تتزن بوزن الشعر * *

او تنتظم

ما بينا من اتفاقهما في المعنى الذي وصفنا وهو انه عليه السلم يعلم انه ما يسمعه
كلام الله من جهة الاستدلال وكذلك نحن نعلم ما نعلمه من هذا على جهة الاستدلال

فصل في الدلالة على ان القرآن معجز

قد بنت بما بينا في هذا الفصل الاول ان نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم مبنية على
دلالة معجزة القرآن فيجب ان نبين وجه الدلالة من ذلك * قد ذكر العلماء
ان الاصل في هذا هو ان نعلم ان القرآن الذي هو متلو محفوظ مرسوم
في المصاحف هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانه هو الذي تلاه على من
في عصره ثلثا وعشرين سنة والطريق الى معرفه هذا هو النقل المتواتر الذي يقع
عنده العلم الضروري به وذلك انه قام به في المواقف وكتب به الى البلاد و
تحمله عنه اليها من تابعه واورده على غيره من لم يتابعه حتى ظهر فيهم الظهور
الذي لا يشتبه على احد ولا يحيل انه قد خرج من اتى بقرآن يتلوه ويأخذه على
غيره ويأخذ غيره على الناس حتى انتشر ذلك في ارض العرب كلها وتعدى الى
الملوك المصاقبة لهم كملك الروم والعجم والقبط والحبش وغيرهم من
ملوك الاطراف ولما ورد ذلك مضادا لاديان اهل ذلك العصر كلهم و
مخالفا لوجوه تنتظم انتظام بعض الاعاريض كانا لناس كلهم شعراء لان
كل متكلم لا ينفك من ان يعرض في جملة كلامه كثيرا يقوله ما قد يتزن بوزن الشعر
وينتظم انتظامه الا ترى ان العامي قد يقول لصاحبه اغلق الباب واسق
بالطعام ويقول الرجل لاصحابه اكرموا من لقيتم من تميم ومتى تبتغ الانسان
هذا عرف انه يكثر في تضاعيف الكلام مثله واكثر منه وهذا القدر الذي يصح
فيه التوارد ليس بعده اهل الصناعه سرقة لم تعلم فيه حقيقه الاخذ
كقول امرئ القيس وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك
اسا وتجمل وكقول طرفه *
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسا وتجلد ومثل هذا كثير فاذا صح
مثل ذلك في بعض البيت ولم يمنع التوارد منه فكذلك لا يمتنع وقوعه في الكلام
المنثور انعاما غير مقصود اليه فاذا اتفق لم يكن ذلك شعرا وكذلك يمتنع التوارد
على بيتين وكذلك يمتنع في الكلام المنثور وقوع البيتين ونحوهما فثبت بهذا
ان ما وقع هذا الموقع لم يعد شعرا وانما يعد شعرا ما اذا قصده صاحبه تاتى له
ولم يمتنع عليه فاذا كان هو مع قصده لا يتاتى له وانما يعرض في كلامه عن غير
قصد اليه لم يصح ان يقال انه شعر ولا ان صاحبه شاعر ولا يصح ان يقال ان هذا

يوجب ان مثل هذا لو اتفق من شاعر مجيد ان يكون شعرا لانه لو قصده لكان يتاتى
منه وانما لم يصح ذلك لان ما ليس بشعر فلا يجوز ان يكون شعرا من احد وما كان شعرا
من احد من الناس كان شعرا من كل احد الا ترى ان الستوقى قد يقول اسقنى الماء يا غلام
سريعا وقد يتفق ذلك من الساهى ومن لا يقصد النظم فاما الشعر اذا بلغ الحد
الذى بيناه فلا يصح ان يقع الا من قاصد اليه ۞ واما الرجز فانه يعرض فى
كلام العوام كثيرا فاذا كان بيتا واحدا فليس ذلك بسعر وقد قيل ان اقل
ما يكون منه شعرا اربعه ابيات بعد ان سفق قوافيها ولم يتفق فى القرآن
بحال ۞ فاما دون اربعه ابيات منه او ما يجرى مجراه فى قله الكلمات فليس
بشعر وما اتفق فى ذلك من القرآن مخالف للروى ويقولون انه متى اختلف
الروى خرج من ان يكون شعرا ۞ وهذه الطرق التى سلكوها فى الجواب
معتمده اوكثرها ولو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تتشوف الى معارضته لان
طريق الشعر غير مستصعب على اهل الزمان الواحد واهله يتقاربون فيه
او يضربون فيه بسهم ۞ فان قيل فى القرآن كلام موزون كوزن الشعر
وان كان غير مقفى بل هو مزاوج نتساوى الضروب وذلك اخر اقسام كلام العرب
۞ قيل من سبيل الموزون من الكلام ان تتساوى اجزاوه فى الطول والقصر و
السواكن والحركات فان خرج عن ذلك لم يكن موزونا كقوله رب ساغ كنت به
مغتبطا اشد كفى بعرى صحبته تمسكا منى بالود ولا احسبه يزهد فى ذى امل
تمسكا منى بالود ولا احسبه بغير العمد ولا يحول عنه ابدا فخاب فيه املى ۞
وقد علمنا ان هذا القرآن ليس من هذا القبيل بل هذا قبيل غير ممدوح ولا
مقصود من جمله الفصيح وربما كان عندهم مستنكرا بل اكثره على ذلك
وكذلك ليس فى القرآن من الموزون الذى وصفناه اولا وهو الذى شرطنا فيه
التعادل والتساوى فى الاجزاء غير الاختلاف الواقع فى التقفيه وبين ذلك
ان القرآن خارج عن الوزن الذى بيناه وتتم فايدته بالخروج منه واما الكلام
الموزون فان فايدته تتم بوزنه **فصل فى نفى السجع من القرآن**
ذهب اصحابنا كلهم الى نفى السجع من القرآن وذكره ابو الحسن الاشعرى فى غير
موضع من كتبه وذهب كثير ممن يخالفهم الى اثبات السجع فى القرآن وزعموا
ان ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان
والفصاحه كالتجنيس والالتفات وما اشبه ذلك من الوجوه التى تعرف بها
الفصاحه واقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على ان موسى افضل من هرون

عليهما

عليهما السلم ولما كان السجع قيل فى موضع هرون وموسى ولما كانت الفواصل فى
موضع اخر بالواو والنون قيل موسى وهرون قالوا وهذا يفارق امر الشعر لانه لا يجوز
ان يقع فى الخطاب الا مقصودا اليه واذا وقع غير مقصود اليه كان دون القدر الذى
يسمّيه شعرا وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر و
اما ما فى القرآن من السجع فهو كثير لا يصح ان يتفق كله غير مقصود اليه ويبنون الامر
فى ذلك على تحديد معنى السجع قال اهل اللغه هو موالاه الكلام على وزن واحد
قال ابن دريد سجعت الحمامه معناها رددت صوتها وانشد
طربت فابكتك الحمام السواجع ممتيل بها ضحوا عضون نوائح النوائح الموايل من قولهم
جايع نايع اى متمايل ضعفا ۞ وهذا الذى يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن
سجعا لكان غير خارج عن اساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز
ولو جاز ان يقال هو سجع معجز جاز لهم ان يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان
يالفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن اجدر بان يكون حجه من نفى الشعر لان
الكهانه تنافى النبوات وليس كذلك الشعر وقد روى النبى صلى الله عليه وسلم
قال للذين جاوه وكلموه فى شان الجنين كيف ندى من لا اكل ولا شرب ولا صاح
فاستهل اليس دمه قد يطل فقال اسجاعه كسجاعه الجاهليه وفى بعضها اسجعا
كسجع الكهان فراى ذلك مذموما لم يصح ان يكون فى دلالته والذى يقدرونه انه
سجع فهو وهم لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا لان ما يكون به
الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض لان السجع من الكلام تتبع المعنى فيه
اللفظ الذى يودى السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن
لان اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى ۞ **وفصل بين ان** ينتظم
الكلام فى نفسه بالفاظه التى تودى المعنى المقصود فيه وبين ان يكون المعنى
منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى السجع كان افاده السجع كافاده
غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا للتجنيس الكلام دون
تصحيح المعنى **فان قيل فقد يتفق فى القرآن** ما يكون من القبيلين
جميعا فيجب ان تسموا احدهما سجعا **قيل الكلام فى** فى تفصيل هذا خارج
عن غرض كتابنا والا كنا نات على فصل من اول القرآن الى اخره ونبين فى المواضع
الذى يدعون الاستغناء عن السجع من الفوايد ما لا يخفى ولكنه خارج عن
غرض كتابنا وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضعين ثم ان سلم لهم مسلم موضعا
او مواضع معدوده وزعم ان وقوع ذلك موقع الاستراحه فى الخطاب الى الفواصل

لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سايرالكلام ۞
وزعم ان الوجه في ذلك انه من باب الفواصل اوزعم ان ذلك وقع غير
مقصود اليه وان ذلك اذا اعترض في الخطاب لم يعد سجعا على ما قد بينا من
القليل من الشعر كالبيت الواحد والمصراع والبيتين من الرجز ونحو ذلك ويعرض
فيه فلا يقال انه شعر لانه لا يقع مقصودا اليه وانما يقع معمورا في الخطاب
فكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه ويقال لهم لو كان الذي في القرآن
على ما يقدرونه سجعا لكان مذموما مرذولا لان السجع اذا تفاوتت اوزانه
واختلفت طرقه كان قبيحا من الكلام وللسجع منهج مرتب محفوظ وطريق
مضبوط متى خل به المتكلم اوقع الخلل في كلامه ونسب الى الخروج عن
الفصاحه كما ان الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطيا وكان شعره
مرذولا وربما اخرجه من كونه شعرا وقد علمنا ان بعض ما يدعونه سجعا
متقارب الفواصل متدانى المقاطع وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه
وترد الفاضله على ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مرضي
ولا محمود **فان قيل متى خرج السجع المعتدل** الى نحو ما ذكرتموه خرج من ان يكون
سجعا وليس على المتكلم ان يلتزم ان يكون كلامه كله سجعا بل ياتي به طورا ثم يعدل
عنه الى غيره ثم قد يرجع اليه ۞ **قيل متى وقع احد مصراعي البيت** مخالفا
للاخر كان تخليطا وخطا وكذلك متى اضطرب احد مصراعي الكلام المسجع و
تفاوت كان خطا وعلم ان فصاحه القرآن غير مذمومه في الاصل فلا يجوز ان يقع
فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب ولو كان الكلام الذي هو في صوره السجع منه
لما تحيروا فيه وكانت الطباع تدعوا في المعارضه لان السجع غير ممتنع عليهم
بل هو عادتهم فكيف ينقض العاده بما هو نفس العاده وهو غير خارج عنها ولا
مميز منها وقد يتفق في الشعر كلام على منهاج السجع وليس بسجع عندهم وذلك
نحو قول البحتري تشكى الوجا والليل ملتبس الدجى عزيزية الانساب
مرت تفيعها **وقوله ايضا** قريب المدى حتى يكون
الى الندى عدو البخل حتى يكون معالى ورايت بعضهم يرتكب هذا فيزعم انه سجع
مداخل ونظيره من القرآن قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركائي
الذين تشاقون فيهم وقوله امرنا مترفيها ففسقوا فيها وقوله احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله وقوله التوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل وقوله
اتى وهن العظم مني ولو كان ذلك عندهم سجعا لم يتحيروا فيه ذلك التحير حتى

سماه بعضهم مسحرا وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه اليه وتيوهمونه فيه
وهم في الجمله عارفون بعجزهم عن طريقه وليس القوم بعاجزين عن تلك الاساليب
المعتاده عندهم المالوفه لديهم والذي تكلمنا به في هذا الفصل كلام على جمله دون
التفصيل ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ما يكشف عن مباينه ذلك وجوه السجع
۞ ومن جلس السجع المعتاد عندهم قول ابي طالب لسيف ابن ذي يزن انبتك منبتا
طاب اروسته وعزت جرثومته وثبتت اصلة وبسق فرعة ونبت زرعه في اكرم
موطن واطيب معدن وما يجري هذا المجرى من الكلام والقرآن مخالف لنحو هذه
الطريقه مخالفته للشعر وسايراصناف كلامهم الدايربينهم ولا معنى لقولهم ان
ذلك مشتق من ترديد صوت الحمامه صوتها على نسق واحد وروى غير مختلف
لان ما جرى هذا المجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده ولو بني عليه لكان الشعر
سجعا لان رويه يتفق ولا يختلف وتتردد القوافي على طريقة واحده ۞
واما الامور التي يستريح اليها الكلام فانها تختلف فربما كان ذلك مسمى
قافيه وذلك انما يكون في الشعر وربما كان ما ينفصل عنده الكلام من مقاطع السجع
وربما سمي ذلك فواصل وفواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين
سايرالكلام فيها ولا تناسب ۞ واما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون
عليهما السلم في موضع وتاخيره عنه في موضع لمكان السجع ۞ ولتساوي
مقاطع الكلام فليس بصحيح لان الفايده عندنا غير ما ذكروه وهي ان اعاده ذكر
القصه الواحده بالفاظ مختلفه تودي معنى واحدا من الامر الصعب الذي تظهر
فيه الفصاحه وتتبين فيه البلاغه واعيد كثير من القصص في مواضع مختلفه
على ترتيبات متفاوته وتبهتوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدا به و
مكررا ولو كان فيهم تمكن من المعارضه لقصدوا تلك القصه فغيروا عنها
الفاظ لهم تودي تلك المعاني وتحويها وجعلوا بازاء ما جاء به وتوصلوا بذلك
الى تكذيبه والى مساواته فيما جاء به كيف وقد قال لهم فلياتوا بحديث مثله ان
كانوا صادقين فعلى هذا يكون المقصد تقديم بعض الكلمات وتاخيرها اظهار
الاعجاز على الطريقين جميعا دون التسجيع الذي توهموه ۞ فان قال قايل القرآن
مختلط من اوزان كلام العرب ففيه من جنس خطبهم ورسايلهم وسجعهم
وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى ولكنه ابدع فيه ضربا من الابداع لبراعته
وفصاحته ۞ قيل قد علمنا ان كلامهم ينقسم الى نظم ونثر وكلام مقفى غير
موزون ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع ونظم مقفى موزون له

روى ﷺ ومن هذه الاقسام ما هو سجيّة الاغلب من الناس قنا وله اوزب وسلوكه
لا يتعذر ومنه ما هو اصعب تناولا كالموزون عند بعضهم او الشعر عند الاخرين
وكل هذه الوجوه لا تخرج عن ان يقع لهم باحد امرين اما تبعّل او تكلّف وتعلم وتصنع
او باتفاق من الطبع وقذف من النفس على اللسان للحاجه اليه ولو كان ذلك مما
يجوز اتفاقه من الطبايع لم نيفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم ويتعرض على
الستنهم وتجيش به خواطرهم ولا ينصرف عند الكل مع شدّة الدواعي اليه
ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه ولتعلموه فالمهلة لهم فسيحه والامد واسع
وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم فقد قيل انه اتفق في الاصل
غير مقصود اليه على ما يعرض من اصناف النظام في تضاعيف الكلام ثم لما
استحسنوه واستطابوه وراوه انه تالقه الاسماع وتقبله النفوس تتبعوه
من بعده وتعملوه وحكى لي بعضهم عن ابي عمرو غلام ثعلب عن
ثعلب ان العرب تعلم اولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض
اوزان الشعر كانه على وزن قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وليس من ذلك
الوضع المتير واشتقاقه من المتر وهو الجذب او القطع يقال مترت الحبل معنى
قطعته اوجذبته ولم يذكر هذه الحكايه عنهم غيره فيحتمل ما قاله واما ما وقع
السبق اليه فيشبه ان يكون على ما قدمنا ذكره اولا وقد يحتمل على قول من قال
بان اللغه اصطلاح انهم تواضعوا على هذا الوجه من النظم وقد يمكن ان يقال
مثله على المذهب الاخر وانهم وقفوا على ما يتصرف اليه القول من وجوه التفاضح
او توافقوا بينهم على ذلك ويمكن ان يقال ان التواضع وقع على اصل الباب و
كذلك التوقيف ولم يقع على فنون تصرف الخطاب وان الله اجرى على لسان بعضهم
من النظم ما اجرى وفطنوا لحسنه فتتبعوه من بعد وبنوا عليه وطلبوه ورتبوا
فيه المحاسن التي يقع الاضطراب بوزنها وتهش النفوس اليها وجمع دواعيهم و
وخواطرهم على استحسان وجوه من ترتيبها واختيار طرق من تنزيلها وعرفهم
محاسن الكلام ودلهم على كل طريقه عجيبه ثم اعلمهم عجزهم عن الايتان بالقرآن
الذي يتناهى اليه قدرهم هو ما لم يخرج عن لغتهم ولم يشذ من جميع كلامهم بل قد
عرض في خطابهم ووجد وان هذا انما تعذر عليهم مع التحدي والتقريع الشديد
والحاجه الماسه اليه مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر وتكامل احوالهم فيه
دل على انه اختص به ليكون دلالة على النبوه ومعجزة على الرساله ولو كان ذلك
لكان القوم اذا اهتدوا في الابتداء الى وضع هذه الوجوه التي يتصرف اليها الخطاب

على براعته

على براعته وحسن انتظامه فلان يقدروا بعد التشنيه على وجهه والتحدي اليه
اولى ان يبادروا اليه لو كان لهم اليه سبيل فلو كان الامر على ما ذكره السايل
لوجب الا يتحيروا في امرهم ولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم ولكانوا ايسر عون
الى الجواب وبيادرون الى المعارضه ومعلوم من حالهم ان الواحد منهم يقصد
الى الامور البعيده عن الوهم والاسباب التي لا يحتاج اليها فكثر فيها من شعر
ورجز وبخل من بعينه على نقله عنه على ما قدمنا ذكره من وصف الابل ونتاجها
وكثير من امرها لا فايده في الاشتغال به في دين ولا دنيا ثم كانوا يتفاخرون
باللسن والذلاقه والفصاحه والدرايه ويتنافرون فيه وتجري بينهم فيه سر
اسباب المنقوله في الآيثار الاثار على ما لا يخفا على اهله فاستدللنا بتحيرهم
في امر القرآن على خروجه عن علاده كلامهم ووقوعه موقعا يخرق العادات
وهذه سبيل المعجزات فبان بما قلنا ان الحروف التي وقعت في الفواصل متنا
سبه موقع النظاير التي تقع في الاسجاع لا يخرجها عن حدها ولا يدخلها في
باب السجع وقد بينا انهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال
الاجزاء فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها تبلغ كلمات ولا يرون في ذلك
فصاحة بل يرونه عجزا فلو راوا ان ما تلي عليهم من القرآن سجعا لقالوا نحن
نعارضه بسجع معتدل فتريد في الفصاحه على طريقه القرآن ويتجاوزه في
البراعه والحسن ولا معنى لقول من قدر انه ترك السجع تاره الى غيره ثم رجع اليه
لانما تحلل من الامرين يوذن بان وضع الكلام غير ما قدروه من التسجيع لانه
ولو كان من باب السجع لكان ارفع نهاياته وابعد غاياته ولا بد لمن جوز السجع
فيه وسلك ما سلكوه من ان يسلم ما ذهب اليه النظام وعباد بن سلمان و
هشام القرطي ويذهب مذهبهم في انه ليس في نظم القرآن وتاليفه اعجاز و
انه يمكن معارضته وانما صرفوا عنه ضربا من الصرف ويتضمن كلامه تسليم
الخبط في طريقه النظم وانه منتظم من فرق شتى ومن انواع مختلفه ينقسم
اليها خطابهم ولا يخرج عنها ويستهين ببديع نظمه وعجيب تاليفه الذي
وقع التحدي اليه وكف بعجزهم الخروج عن السجع والرجوع اليه وقد علمنا
عادتهم في خطبهم وكلامهم انهم كانوا لا يلزمون ابدا طريقه السجع و
الوزن بل كانوا يتصرفون في انواع مختلفه فاذا ادعوا على القرآن مثل ذلك
لم يجدوا فاصله بين نظمي الكلامين فصل في ذكر البديع من الكلام
من الكلام ان سال سايل فقال هل يمكن ان يعرف اعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه

من البديع قيل ذكر اهل الصنعه ومن صنّف في هذا المعنى من
صفه البديع الفاظا نحن نذكرها ثم نبيّن ما سألوا عنه ليكون الكلام واردا
على امر مبين مقرر وباب مصوّر ۝ ذكروا انّ من البديع في القرآن قوله عزّ
ذكره واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمه وقوله وانّه في امّ الكتاب لدينا
لعليّ حكيم وقوله واشتعل الرأس شيبا وقوله وآية لهم اللّيل نسلخ منه
النهار فاذا هم مظلمون وقوله اويأتيهم عذاب يوم عقيم وقوله نور على نور
وقد يكون البديع من الكلمات الجامعه الحكميّه كقوله ولكم في القصاص حياة
وفي الالفاظ الفصيحه كقوله فلمّا استيأسوا منه خلصوا نجيا وفي الالفاظ
الالهيّه كقوله وله على كلّ شيء وقوله وما بكم من نعمة فمن الله وقوله لمن الملك اليوم
لله الواحد القهّار ويذكرون من البديع من قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
خير الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله كلّما سمع هيعة طار اليها
وقوله ربّنا تقبّل توبتي واغسل حوبتي وقوله غلب عليكم داء الامم قبلكم الحسد
والبغضاء وهي الحالقة حالقة الدّين لا حالقة الشعر وكقوله الناس كابل مائة
لا تجد فيها راحله وكقوله وهل يكبّ الناس على مناخرهم في نار جهنّم الا حصائد
السنتهم وكقوله انّ ممّا ينبت الربيع ما يقتل خبطا او يلمّ وكقول ابي بكر
الصدّيق رضي الله عنه في كلام له قد نقلناه بعد هذا على وجهه
۝ وقوله لخالد بن الوليد احرص على الموت توهب لك الحياه وقوله فر من الشرف
يتبعك الشرف وكقوله على ابن ابي طالب رضي الله عنه في كتابه الى ابن عباس
وهو عامله على البصره ارغب راغبهم واحلل عقده الخوف عنهم ۝
وقوله حين سيل عن قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انّما قال ذلك والدّين في
قلّ فامّا وقد اتّسع نطاق الاسلام فكلّ امرئ وما اختار ۝
وسئل علي رضي الله عنه بعض كتّاب فارس عن احمد
ملوكهم عندهم فقال لا ازدشير فضيله السبق غير انّ احمدهم انوشروان قال
فاىّ اخلاقه كان اغلب عليه قال الحلم والاناة فقال علي رضي الله عنه هو تمام
ينتجها علوّ الهمّة وقال فيه كلّ امرئ ما يحسن وقال العلم قفل ومفتاحه
المسئله ۝ وكتب خالد بن الوليد الى مرازبه فارس امّا بعد فالحمد لله الّذي
فضّ خدمتكم وفرّق كلمتكم والحدمه لاحقه المستديره ولذلك قيل للخلاخيل
خدام وقال الحجّاج دلّوني على رجل سمين الامانه ۝ ولمّا عقدت
الرياسه لعبد الله ابن وهب الراسبيّ على الخوارج اراد وه على الكلام

من خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال لا خير في الرأي الفطير وقال دعوا الرأي يغبّ وقال اعرابيّ في شكر نعمة
ذاك عنوان نعمه الله عزّ وجلّ ۝ ووصف اعرابيّ قوما فقال
اذا اصطفوا سفرت بينهم السّهام واذا تصافحوا بالسيوف قعد الحمام
وسيل اعرابيّ عن رجل فقال صفرت عياب الودّ منه وبينه بعد
امتلأ بها واكفهرّت وجوه كانت مما بها وقال اخر من ركب ظهر الباطل نزل
دار النّدامه وقيل لرؤبه كيف خلقت ما وراك فقال التواب
يابس والمال عابس ۝ ومن البديع في الشعر طرق كثيره قد نقلنا منها جملة لتستدلّ
بها على ما بعدها فمن ذلك قول امرئ القيس وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الاوابد هيكل فقوله قيد الاوابد عندهم من البديع ومن الاستعاره و
يرونه من الالفاظ الشريفه وعنى بذلك انّه اذا ارسل هذا الفرس على الصيد
صار قيدا لها وكانت بحاله المقيّد من جهه سرعه احضاره واقتدى به النّاس
واتبعه الشعراء فقيل قيد النواظر وقيد الحاظ وقيد الكلام وقيد الحديث
وقيد الرهان وقال الاسود بن يعفر بمقلّص عتر جهير
شدّه قيد الاوابد والرهان نجاد وقال ابو عمّام ۝
لها منظر قيد الاوابد لم يزل يروح ويغدو في خفارته الحبّ
وقال اخر الحاظه قيد عيون الورى فليس طرف
يتعدّاه وقال اخر قيد الحسن عليه الحاقا وذكر
الاصمعيّ وابو عبيدة وحمّاد وقبلهم ابو عمرو انّه احسن في هذه اللّفظه و
انّه اتبع فيها فلم يلحق وذكروه في باب الاستعاره البليغه وسمّاها بعض اهل
الصّنعه باسم اخر وجعلوها من باب الارداف وهو ان يريد الشاعر دلالة على
معنى فلا يأتي باللّفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ هو تابع له وردف قالوا
ومثله قوله نؤوم الضّحى لم تنتطق عن تفضّل
وانّما اراد ترفتها بقوله نوم الضّحى ومن هذا الباب قول الشّاعر
بعيده مهرىّ القرط امّا النوفل ابوها وامّا عبد شمس هاشم وانّما اراد ان يصف
طول جيدها فاتى بردفه ومن ذلك قول امرئ القيس وليل كموج
البحر ارخى سدوله ۝ وذلك من الاستعاره المليحه ويجعلون من هذا القبيل
ما قدّمنا ذكره من القرآن واشتعل الرأس شيبا واخفض لهما جناح الذلّ
من الرّحمه وممّا يعدّونه من البديع المتشبيه الحسن كقول امرئ القيس
كانّ عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الّذي لم يثقّب وقوله

كانّ قلوب الطّير رطبًا ويابسًا لدى وكرها العنّاب والحشف البالى واستبدعوا
تشبيهه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ويزعمون انّ لحسن ما وجد فى هذا
للمحدثين قول بشّار كانّ مثار النّقع فوق رؤوسهم واسيافنا ليل تهاوى
كواكبه وقد سبق امرؤ القيس الى صحّة التّقسيم فى التّشبيه ولم يتمكن بشّار من
الاّ من تشبيه احدى الجملتين بالاخرى دون صحّة التّقسيم والتّفصيل وكذلك
عدّوا من البديع قول امرئ القيس فى اذنى الفرس وسامعتان
يعرف العتق فيهما كسامعتى مذعورةٍ وسط ربرب واتبعه طرفه
فقال فيه ٥ وسامعتان يعرف العتق فيهما كسامعتى شاةٍ بحومل
مفرد ومثله قول امرئ القيس فى وصف الفرس
وعينان كالماويّتين ومحجرٍ الى اسندٍ مثل الصّفيح المنصّب وقال طرفه فى وصف
عينى ناقته وعينان كالماويّتين اسكنتا بكهفى حجاجى
صخرةٍ قلت مورد ومن البديع فى التّشبيه قول امرئ القيس
له ايطلا ظبىٍ وساقا نعامةٍ وارخاءَ سرحانٍ وتقريب تتفل وذلك فى تشبيه اربعه
اشياءَ باربعه اشياءَ احسن فيها ٥ ومن التّشبيه الحسن فى القرآن قوله
تعالى وله الجوار المنشأت فى البحر كالاعلام وقوله تعالى كانّهنّ بيض مكنون
ومواضع نذكرها بعد هذا ٥ ومن البديع فى الاستعاره قول امرئ القيس
وليلٍ كموج البحر ارخى سدوله علىّ بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لمّا تمطّى بجوزه وارداف اعجازًا ونآ بكلكل
وهذه كلّها استعاراتٌ اتى بها فى ذكر طول الليل ومن ذلك قول النّابغه
وصدرٍ اراح اللّيل عازب همّه تضاعف فيه الحزن من كلّ جانب فاستعاره من
اراحت الراعى ابله الى مواضعها الّتى تاوى اليها بالكيل واخذ منه ابن
الدّمينه فقال اقضّى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى
والهمّ والليل جامع ومن ذلك قول زهير
صحى القلب عن ليلى واقصر باطله وعرّى افراسى الصّبا ورواحله ومن
ذلك قول امرئ القيس سموت اليها بعد ما نام اهلها سموّ حباب
الماءَ حالًا على حال واخذه ابو تمّامٍ فقال سموّ عباب الماءَ
جاشت غوارب به وانّما اراد امرؤ القيس اخفاءَ شخصه ومن ذلك قوله
كانّى واصحابى على قرن اعفرا يريد انّهم غير مطمئنّين ومن ذلك ما كتب

مصنف هذا الكتاب يروى عن ابى عبد الله بن سعيد والنقل الصّفوة هو والماخذ الذكر فيه عن ابى احمد العسكرى

الى الحسن ابن عبد الله ابن سعيدٍ قال اخبرنى انى قال اخبرنا عسل ابن ذكوان اخبرنا

ابو عثمان

ابو عثمان المازنى قال سمعت الاصمعى يقول اجمع اصحابنا انّه لم يقل احسن ولا اجمع
من قول النّابغه فانّك كاللّيل الّذى هو مدركى وان خلت انّى
المنتأى عنك واسع قال الحسن ابن عبد الله واخبرنا محمد ابن يحيى اخبرنا عون
ابن محمدٍ الكندى اخبرنا فضل ابن محرز قال سمعت الاصمعى يقول سمعت ابا عمرٍو ويقول
كان زهير يمدح السّوق ولو ضرب على اسفل قدميه ما يتاد قال صمى على ان يقول
كقول النّابغه فانّك كاللّيل الّذى هو مدركى وان خلت
انّ المنتأى عنك واسع لما قال يريد انّ سلطانه كاللّيل يصل الى كلّ مكانٍ واتبعه
الفرزدق فقال ولو حملتنى الرّيح ثمّ طلبتنى لكنت كشىءٍ ادركتنى مقادره فلم
يات بالمعنى ولا اللّفظ على ما سبق اليه النّابغة ثمّ اخذه الاحكل فقال وانّ
امير المومنين وفعله لكالدّهر لا عار بما فعل الدّهر وقد نحو هذا عن النّبى صلّى الله
عليه وسلّم نصرت بالرّعب وجعل رزقى تحت ظلّ رمحى وليدخلنّ هذا الدّين على
ما دخل عليه اللّيل واخذه على ابن ابى طالب فقال

وما امرئ حاولته عنك مهرب ولو كان فى جوّ السّماءِ المطالع
بلى هارب لا يهتدى لمكانه ظلام ولا ضوءٌ من الصّبح طالع

ومثله قول سلم الخاسر
فانت كالدّهر مبثوثًا حبايله والدّهر لا ملجاءٌ منه ولا هربٌ
ولو ملكت عنان الرّيح اصرفه فى كلّ ناحيةٍ ما فاتك الطّلب
فاخذه البحترى فقال ولو انّهم ركبوا الكواكب
لم يكن بنجيهم عن خوف باسك مهرب ومن بديع الاستعاره قول زهيرٍ
فلمّا وردن الماءَ زرقًا حمامه وضعن عصىّ الحاضر المتخيّم
وكقول الاعشى وانّ عتاق العيس سوف تذوركم تنآ على
اعجاز هنّ معلّق ومنه اخذ نصيبٌ فقال فعاجوا فاثنوا بالّذى
انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب ومن ذلك قول تابّط شرًّا
فخالط سهلًا له ارض لم يكدح الصّفا به كدحةً والموت خزيان ينظر ومن الاستعارة
فى القرآن كثير كقوله وانّا لذكرك ولقومك يريد ما يكون الذّكر عنه شرفًا ٥
وقوله صبغه الله ومن احسن من الله صبغه قيل دين الله اراد وقوله اشتروا الضّلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم ومن البديع عندهم الغلو كقول النّمرين تولبٍ
ابقى الحوادث وله ايّام من عمرٍ اسناد سيفٍ قديمٍ اشره باد
تظلّ تحفر عنه ان ضربت به بعد الذّراعين والقيدين والهادى

وكقول النابغه تقد السلوقي المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح
نار الحباحب وكقوله عنتره فازوين من وقع القنا بلبانه وشكى الى
بعبرة وتحمحم وكقول ابى تمام لو يعلم الركن من قد
جاء يلثمه لخر يلثم منه موطئ القدم وكقول البحترى
ولوان مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لمشى اليك المنبر ومن هذا الجنس فى القرآن
يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله تكاد تميز من الغيظ ٥ ومما يعدونه من البديع
المماثله وهو ضرب من الاستعاره وذلك ان يقصد الاشاره الى معنى فيضع الفاظا
تدل عليه وذلك المعنى بالفاظه مثال للمعنى الذى قصد له اشاره اليه نظيره من
المنثور ان يزيد بن المهلب بلغه ان مروان بن محمد يتلكأ عن بيعته فكتب اليه اما
بعد فانى اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى فاعتمد على ايتهما شئت وكنحو ما كتب به
الحجاج الى المهلب فان انت فعلت ذاك والا اشرعت اليك الرمح فاجابه المهلب
فان اشرع له امير الرمح قلبت اليه ظهر المجن وكقول زهير
ومن يعص اطراف الزجاج فانه يطيع العوالى ركبت كل لهذم ٥
وكقول امرى القيس وما ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك
فى اعشار قلب مقتل وكقول عمرو بن معدى كرب فلو ان قومى
انطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت وكقول القايد
بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعد ما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا
وكقول الاخر اقول وقد شدت والنا بنسعة امعشر تيم
اطلقوا عن لسانيا ومن هذا الباب فى القرآن كقوله فما اصبرهم على النار وكقوله
وثيابك فطهر قال الاصمعى اراد البدن قال وتقول العرب فدى لك ثوباى يريد نفسه
وانشد الا ابلغ ابا حفص رسولا فدى لك من اخى ثقة ازارى
ويرون من البديع ايضا ما يسمونه المطابقه واكثرهم على ان معناها ان يذكر الشئ وضده
كالليل والنهار والسواد والبياض واليه ذهب الخليل ابن احمد والاصمعى ومن المتاخرين
عبد الله بن المعتز وذكر ابن المعتز من نظايره من المنثور ما قاله بعضهم اتيناك لنسلك
بنا سبيل التوسع فادخلتنا فى ضيق الضمان ونظيره من القرآن ولكم فى القصاص حياة
وقوله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وقوله يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل ومثله كثير جدا وكقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار انكم تكثرون عند
الفزع وتقلون عند الطمع وقال اخرون بل المطابقه ان تشترك معنيان

بلفظ واحد واليه ذهب قدامة ابن جعفر الكاتب فمن ذلك قول الافوه الاودى واقطع الهوجل مستانسا بهوجل مستانس عنتريس عنى بالهوجل
الاول الارض وبالثانى الناقه ومثل قول زياد الاعجم وتبئتهم
يستنظرون بكاهل وللوم فيهم كاهل وسنام ومثله قول ابى داوود
عهدت لها منزلا داثرا والاء على الماء يحملن الافالاول الاول اعمده الخيام تنصب
على البير للمستقى والآل الثانى السراب وليس عنده قول من قال المطابقه انما تكون
باجتماع الشئ وضده بشئ ومن المعنى الاول قول الشاعر اهين لهم نفسى
لاكرامها بهم ولن تكرم النفس التى لا تهينها ومثله قول امرى القيس
وتزدى على عاصم صلاب ملاطس شديدات عقد لينات متان وكقول النابغه
ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب وكقول زهير وقد
جمع فيه طباقين بعزمه مامور مطيع وامر مطاع فلا يلقى لحزمهم
مثل وكقول الفرزدق والشيب ينهض فى الشباب كانه
ليل يصيح بجانبيه نهار وربما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير
وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكم بشماليا وكقول رجل من باهلة
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن ساءة اهل السوء احسانا وروى انا لحسن
ابن على رضى الله عنهما تمثل بقول القايل فلا الجود يفنى المال والجد مقبل
ولا البخل يبقى المال والجد مدبر وكقول اخر
فسرى كاعلانى وتلك سجيتى وظلمه ليلى مثل ضوء نهاريا وكقول قيس ابن الخطيم
اذا انت لم تنفع فضر فانما يرجى الفتى كيما يضر وينفعا وكقول السموءل
الخطيم وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل فهذا ياب يرونه
من البديع وباب اخر وهو التجنيس
ومعنى ذلك ان تاتى بكلمتين متجانستين فمنه ما تكون الكلمه تجانس الاخرى فى
ما ليفحروفها واليه ذهب الخليل ومنهم من زعم ان التجانسه ان تشترك اللفظتان
على جهه الاشتقاق كقوله عز وجل فاقم وجهك للدين القيم وكقوله واسلمت مع سليمان
وكقوله باسفا على يوسف وكقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وكقوله وهم ينهون عنه وينؤن عنه وكقول النبى صلى الله عليه وسلم اسلم
سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصيه عصت الله ورسوله وكقوله الظلم ظلمات
يوم القيامه وكقوله لا يكون ذو الوجهين وجيها عند الله ٥ وكتب بعض
الكتاب العذر مع التعذر واجب فرايك فيه وقال معاويه لابن عباس ما لكم يا بنى

هاشم تصابون فى ابصاركم فقال كما تصابون فى بصايركم ۞ وقال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه هاجروا ولا تهجروا ومن ذلك قول **قيس ابن عاصم**
ونحن حفرنا الحوفزان بطعنه كسته بجيعا من دم الجوف اشكلا **وقال اخر**
امل عليها بالبلى الملوان **وقال الاخر** وذكم ان ذل الجار لكم وان
انفكم لا تعرف الا نفا وكتب الى بعض مشايخنا قال انشدنا الاخفش عن المبرد
عن الثورى وقالوا حمامات فحم لقاؤها وطلح فزبرت والمطى طلوح
عقابا اعفاب من التاى بعد ما جرت نية تمنى المحب طروح
وقال اصحابى هدهد فوق بانة هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا دم دامت مواثيق عهده ودام لنا حسن الصفاء صريح
وقال اخر اقبلن من مصر يبارين البرى **وقال القطامى**
ولما ردها فى الشول شالت بذيال يكون لها لماعا وقد يكون التجنيس بزيادة حرف
اوما بقارب ذلك **كقول البحترى** هل الما فات من تلاف ام لشاك
من الصبابه شاف **وقال ابن مقبل** يمشين هيل النقا مالت جوانيه
والثرى حينا **وقال زهير** هم يضربون حبيك البيض اذ
لحقوا لا ينكلون اذا ما استلحموا وحموا **ومن ذلك قول ابى تمام**
يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب وابو نواس يقصد
فى مصراعى مقدمات شعره هذا الباب كقوله الادارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم
الصهباء حتى تهينها **وكذلك قوله** ديار نوار ما ديار تنوار
كسونك شجوا هن منه عوار **وكقول ابن المعتز** سأثنى على عهد
المطيره والقصر واد عوالها بالساكنين وبالقطر **وكقوله ايضا**
هى الدار الا انها منهم قفر وانى بها ثاو وانهم سفر **وكقوله ايضا**
للاما فى حديث يقر ويسوء الدهر من قد يسر **وكقوله المتنبى**
وقدارانى الشباب الروح فى بدنى وقدارانى المشيب الروح فى بدلى وقد قيل ان من
هذا القبيل قوله عز وجل خلق الانسان من عجل ساريكم ايات فلا تستعجلون وقوله
قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه ۞ ويعدون من البديع
المقابله وهى ان يوفق بين معان ونظايرها والمضاد بضده وذلك مثل قول
النابغه الجعدى فتم فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعادى
وقال تابط شرا به فى تدوقة الحى عطفه كما هز عطفى الهجان
الاوارك **وكقول الاخر** واذا حديثا سانى ألم اكتئب واذا حديث

سرنى لم اشر **وكقول الاخر** وذى اخوه قطعت اقران بينهم كما تركونى
واحدا لا اخا لياو نظيره من القرآن ثم اذا مسكم الضر فاليه تجزون ثم اذا كشف
الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ۞ ويعدون من البديع الموازنه وذلك
كقول بعضهم اصبر على حر اللقاء سليم الشطا عبل الشوى شيخ
النسا ۞ ونظيره من القرآن والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد
والمشهود ۞ ويعدون من البديع المساواه وهى ان يكون اللفظ مساويا للمعنى
لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وذلك يعد من البلاغه وذلك كقوله زهير ومهما تكن
عند امرئ من خليقه وان خالها تخفى على الناس تعلم **وكقول جرير**
فلو شاء قومى كان حلمى فيهم وكان على اعداء جهلهم جهلى **وكقول**
الاخر اذا انت لم تقصر عن الجهل والخنا اصبت حليما او اصابك جاهل
وكقول الهذلى فلا تجزعن من سنة انت سرتها واول راض سيرة
من يسيرها **وكقول الاخر** فان هم طاوعوك فطاوعيهم وان
عاصوك فاعصى من عصاك ونظير ذلك فى القرآن كثير ومما يعدون من البديع
الاشاره وهو اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيره ۞ وقال بعضهم فى وصف
البلاغه لمحة دالة ومن ذلك قول طرفه فظل لنا يوم لذيذ بنعمه
فقل فى مقيل نحسه متغيب **وكقول زيد الخيل** فخيبة من يخيب
على غنى وباهلة ابنا عصر والرباب ونظيره من القرآن ولو ان قرانا سيرت به
الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ومواضع كثيره ۞ ويعدون من البديع
المبالغه والغلو والمبالغه تاكيد معانى القول وذلك كقول الشاعر ونكرم
جارنا ما كان فينا ونتبعه الكرامه حيث مالا **ومن ذلك قول الاخر**
وهم تركوك اسلح من جارى رات صقرا واشرد من نعام فقوله رات صقرا مبالغه
ومن الغلو **قول ابى نواس** توهمتها فى كاسها فكانما توهمت شيئا ليس
يدركه العقل فاير تقى التكييف فيها الى مدى يحد به الا ومن قبله قبل ۞
وكقول زهير لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوما باوليهم
او مجدهم قعدوا **وكقول النابغه** بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا
انا لنرجو فوق ذلك مظهرا **وكقول الخنساء** وما بلغت كف امرئ
متناول بها المجد الا حيث ما نلت اطول وما بلغ المهدون فى القول مدحة
وان اطنبوا الا الذى فيك افضل **وكقول الاخر**
له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر

له راحة لوان معشان جودها على البرصار البراندى من البحر
ويريدون من البديع الايغال في الشعر حاصة فلا يطلب مثله في القرآن الا في الفواصل
كقول امرى القيس كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع
الذى لم يثقب وقد اوغل بالقافيه في الوصف واكد التشبيه لها والمعنى قد يستقل
دونها ومن البديع عندهم التوشيح وهو ان يشهد اول البيت بقافيته واول
الكلام باخره كقول البحترى فليس الذى حللته بمحلل وليس الذى حرمته
بحرام ومثله في القرآن فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ومن ذلك رد
عجز الكلام على صدره كقول الله عز وجل انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا ۝ وكقوله لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
وقد خاب من افترى ۝ ومن هذا الباب قول القايل وان لم يكن
الا نغال ساعة قليلا فانى نافع لى قليلها وقول جرير سقى الرمل
جون مستهل غمامه وامّا ذاك الاحب من حل بالرمل وكقول الاخر
يود الفتى طول السلامه والغنا فكيف يرى طول السلامة يفعل ۝
وكقول ابى صخر الهذلى عجبت لسعى الدهر بينى وبينها فلما انقضى ما
بيننا سكن الدهر واصد بايدى العيس عن قصد ارضها وقلبى اليها بالمودة قاصد وكقول عمرو بن معدى كرب
اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما يستطيع ومن البديع صحة التقسيم
ومن ذلك قول نصيب فقال فريق القوم لا م فريقهم نعم وفريق قال
ويحك ما يدرى وليس في اقسام الجواب اكثر من هذا وكقول الاخر الكندى
فكاتما فيه نهار ساطع وكانه ليل عليها مظلم وقول المقنع
وان يأكلوا لحمى وفرت لحومهم وان يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان يضيعوا غيبتى حفظت غيوبهم وانهم هووا غيى هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس تمرنى زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
وكقول عروه ابن جزام بمن لو راه غايبا لفداه ومن لو رانى غايبا
لفدانى ونحوه قول الله عز وجل الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ونحوه صحة
التفسير كقول القايل ولى فرس للحلم بالحلم ولى فرس للجهل بالجهل
مسرج ومن البديع التكميل والتتميم كقول نافع ابن خليفه رجال اذا لم يقبلوا
الحق منهم ويعطوه عادوا بالسوف القواطع وانما تم جودة المعنى بقوله ويعطوه

وذلك

وذلك كقول الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة الى آخر الآية ثم قال ان الله عليم
خبير ۝ ومن البديع الترصيع وذلك من الوان منها قول امرى القيس
مخش مخش مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل
ابى نواس يا منة امتنها الشكر ما ينقضى متى لها الشكر
وكقوله وقد ذكرناه قبل هذا ديار نوار ما ديار نوار كسونك شجوا هن منه عوار
ومن ذلك الترصيع مع التجنيس كقول ابن المعتز الم تجزع على الربع
المحيل واطلال واثار محول ونظيره من القرآن كقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم
طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغى ثم لا يقصرون
وقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وكقوله وانه على ذلك لشهيد
وانه لحب الخير لشديد وكقوله والطور وكتاب مسطور وقوله والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا وقد اولع الشعراء بنحو هذا فاكثروا فيه ومنهم من اقتنع
بالترصيع في بعض اطراف الكلام ومنهم من بنى كلامه عليه كقول ابن الرومى
ايد انهن وما لبسن من الحرير معا حرير
ارداتهن وما مسسن من العبير معا عبير
وكقوله فلراهب الا يريب ما به ولراغب الا يريث
نجاحه ومما يقارب الترصيع ضرب يسمى المضارعه وذلك كقول الخنساء حامى
الحقيقه محمود الخليقه مهدى الطريقه نفاع وضرار جواب قاصيه جرار
ناصيه عقاد الويه للخيل جرار ومن البديع باب التكافو وذلك قريب من المطابقه
كقول المنصور لا تخرجوا من عز الطاعه الى ذل المعصيه وقول عمر ابن ذر اتم
بخذلك اذ عصيت الله فينا خيرا من ان تطيع الله فيك ومنه قول بشار
اذا ايقظتك حروب العدى فنبه لها عمرا ثم نم ومن البديع باب التعطف كقول
عود على عود على عود خلق وقدم تقدم مثاله ومن البديع السلب والايجاب
كقول القايل وننكر ان شينا على الناس قولهم ولا ينكرون القول
حين نقول ومن البديع الكنايه والتعريض كقول القايل واحمر كالديباج
اما سماوه فريا واما ارضه فمحول ومن هذا الباب لحن القول ومن ذلك العكس
والتبديل كقول الحسن ان من خوفك لتا من خير ممن امنك لتخاف وكقوله اللهم
اغننى بالفقر اليك ولا تفقرنى بالاستغناء عنك وكقوله بع دينك باخرتك
تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدينك فتخسرهما جميعا وكقول القايل
واذا الدرز ان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا وقد يدخل في هذا الباب

امرى القيس ب

هذا المصنف روى عن الحسن ابن عبد الله العسكري في مواضع من كتابه هذا

قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ومن البديع لذ النفات فمن ذلك ما كتب الي الحسن ابن عبد الله العسكري اخبرنا محمد ابن عبد الله الصولي حدثني يحيى ابن علي المنجم عن اسه عن اسحاق ابن ابرهيم قال قال لي الاصمعي رضي الله عنه اتعرف التفاتات جرير قلت لا فما هي قال اتنسى اذ تودّعنا سليمى بفرع بشامةٍ سقي البشامُ ومثل ذلك لجرير متى كان الخيام بذي طلوحٍ سقيت الغيث ايتها الخيام ومعنى الالتفات انه اعترض في الكلام قوله سقيت الغيث ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتا وكان الكلام منتظماً وكان يقول متى كان الخيام بذي طلوحٍ ايتها الخيام فمتى خرج عن الكلام لذ اول ثم رجع اليه على وجهٍ يلطف كان ذلك التفاتا ومثله قول النابغه الجعدي الا زعمت بنو سعدٍ اني لاكذبهم اكبير السنّ فاني ومثله قول كثيّر لو انّ الباذلين وانت منهم راوك تعلموا منك المطالا ومثله قول ابي تمام وانجد تم من بعدا تهام دار كم فيا دمع انجدني على ساكني نجد وكقول جرير طروب الحمام بذي الاراك فشاقني لاذلت في غلل وايكٍ ناضر التفت الى الحمام بذي الاراك فدعاها ومثله قول حسان ان التي ناولتني فرددتها قتلت فهاتها لم تقتل ۞ ومنه قول عبد الله ابن معاوية ابن عبد الله ابن جعفر ۞ واجمل اذا ما كنت لابدّ مانعاً وقد يمنع الشيء الفتى وهو مجمل وكقول ابن ميّاده فلا صرمه يبدو ولي الياس راحه ولا وصله يصفو لنا فتكارمه ونظير ذلك من القرآن ما حكى الله تعالى عن ابرهيم الخليل من قوله اعبدوا الله واتقوه ذلكم خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثاناً وتخلقون افكاً الى قوله فما كان جواب قومه وقوله عزّ وجلّ اِنْ يَشَأْ يُذهبكم ويأت بخلقٍ جديدٍ وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعاً ومثله قوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه ايانا فانسلخ منها الى قوله فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ومثله قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه ومنهم من لا يعدّ الاعتراض والرجوع من هذا الباب ومنهم من يفرده عنه كقول زهير ۞ قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم وكقول الاعرابي اليس قليلاً نظرةً ان نظرتها اليك وكلاً ليس منك قليل وكقول ابن هرمة ليت حظي كلحظة المعين منها وكثير منها القليل المهنّا ومن الرجوع قول القايل

بكلٍ

بكلٍ تداوينا فلم يشف ما بنا على ان قرب الدار خير من البعد وقال الاعشى صرمت ولم اصرمكم وكصارم اخ قد طوى كشحا وأب ليذهبا وكقول بشّارٍ

لحيله فيمن ينيم وليس في الكذّاب حيلهْ
من كان يكذب ما يقول فحيلتي فيه قليله

وقال الاخر وما بي انتصار ان غدا الدهر ظالمي على بلى ان كان من عندك النصر وباب اخر من البديع يسمّى التذييل وهو ضربٌ من التاكيد وهو ضدّ ما قدمنا ذكره من الاشاره كقول ابي داوود اذا ما عقدنا له ذمّةً شددنا العناج وعقد الكرب واخذه الحطيئه فقال فدعوا نزال فكنت اوّل نازلٍ وعلام اركبه اذا لم انزل وكقول جريرٍ لقد كنت فيها يا فرزدق تابعاً وريش الدنابى تابع للقوادم ومثله قوله عزّ وجلّ ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعاً الى قوله انه كان من المفسدين ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمّة ونجعلهم الوارثين الى قوله كانوا خاطيين ۞ وباب من البديع يسمّى الاستطراد فمن ذلك ما كتب الى الحسن ابن عبد الله قال انشدني ابو بكر ابن دريدٍ قال انشدنا ابو حاتمٍ عن ابي عبيدةٍ لحسان ابن ثابتٍ رضي الله عنه

ان كنت كاذبة التي حدّثتني فنجوت منجا الحرث بن هشام
ترك الاحبّة لم يقاتل دونهم ورمى براس طمرّةٍ ولجام

وكقول السموءل وانا لقوم لا نرى القتل سبّةً اذا ما رأته عامرٌ و سلول وكقول الاخر خليلي من كعبٍ اعينا اخاكما على دهره انّ الكريم معين ولا تخلي بخل ابن قرعة انه مخافة ان يزجى براه حزين وكقول الاخر فما ذرّ قرن الشمس حتى كاتما من العين تحكي احمد ابن هشام وكقول زهير انّ البخيل ملومٌ حيث كان ولكنّ الجواد على علّاته هرم وفيما كتب الى الحسن ابن عبد الله قال اخبرني محمد بن يحيى حدثني محمد ابن علي الانباري قال سمعت البحتري يقول انشدني ابو تمام لنفسه

وسابحٍ فطل التعدّاء هتّار على الجرّامين غير خوّان
اظما الفصوص ولم تظما قوايمه فحل عينك في ريان ظمآن
ولو نزاه مشيحاً والحصى فلقٌ بين السنابك من مشنٍ ووحدان
ايقنت ان لم تثبّت انّ حافره من صخر تدمر او من وجه عثمان

وقال لي ما هذا من الشعر قلت لا ادري قال هذا المستطرد او قال الاستطراد قلت

وما معنى ذلك قال يرى انه يصف الفرس ويريد هجآء عثمان فقال **وقال البحترى** ما ان يعاف قذى ولو اوردته يوما خلايق حمدويه الاحول قال فقيل للبحترى انك اخذت هذا من ابى تمام فقال ما يعاب على ان اخذ منه واتبعه فيما يقول ومن هذا الباب **قول ابى تمام**

صب الفراق علينا صب من كثب ترع الوشاه

عليه اسحق يوم الروع منتقما **ومنه قول السرى الرفا**

لنا بسهم قطيعه يرمى بسهمه الحين من يرمى به

ليت الزمان اصاب حب قلوبهم بقنا ابن عبد الله او بحرابه

ونظيره من القرآن اولم يروا الى ما خلق الله من شى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملآئكه وهم لا يستكبرون كانه كان المراد ان يجرى بالقول لاول الى الاخبار عن ان كل شى يسجد لله عز وجل وان كان ابتدآء الكلام فى امر خاص ومن البديع عندهم التكرار هلا سألت جموع كنده يوم ولوا اين اينا **وكقول الاخر** وكانت فزارة تصلى بنا فاولى لها وفزارة اولى لها ونظيره من القرآن كثير كقوله ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وكالتكرار فى قوله قل يا ايها الكافرون وهذا فيه معنى زايد على التكرار لانه يفيد الاخبار عن العيب ٥ ومن البديع عندهم ضرب من الاستثنآء **كقول النابغه**

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب

وكقول النابغه الجعدى

فتى كملت اخلاقه غير انه جواد فلا يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا

وكقول الاخر حليم اذا ما الحلم زين اهله مع الحلم فى عين العدو مهيب

وكقول ابى تمام

تنصل ربها من غير جرم اليك سوى النصيحة والوداد

ووجوه البديع كثيره جدا فاقتصرنا على ذكر بعضها ونبهنا بذلك على ما لم نذكر كراهه التطويل فليس الغرض ذكر جميع ابواب البديع وقد قدر مقدرون انه يمكن استفادة اعجاز القرآن من هذه الابواب التى قلناها وان ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه وليس كذلك عندنا لان هذه الوجوه اذا وقع التنبه عليها امكن التوصل اليها بالتدرب والتصنع لها وذلك كالشعر الذى اذا عرف الانسان طريقه صحه منه التعمل له وامكنه نظمه والوجوه التى نقول ان اعجاز القرآن يمكن ان يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل اليه بحال ويبين ما قلنا ان كثيرا من المحدثين قد تصنع لابواب الصنعه

كقول الشاعر

حتى

حتى حشى جميع شعره منها واجتهد الا يفوته بيت الا وهو يميلوه من الصنعه كما صنع ابو تمام **فى كلمته**

متى انت عن ذهليه الحى ذاهل وصدرك منها مدة الدهر اهل

تظل الطلول الدمع فى كل موقف وتمثل بالصبر الديار الموائل

دوارس لم يحف الربيع ربوعها ولا مرخى اعفالها وهو غافل

فقد سحبت فيها السحاب ذيولها وقد خملت بالنور تلك الخمايل

تعفين من زاد العفاة اذا انتحى على الحى صرف الازمه المتماحل

لهم سلف سمر العوالى وسامر وفيهم جمال لا يغيض وجامل

ليالى اضللت الغزآء وخذلت بغفلك ارام الحدور الغفايل

من الهيف لو ان الخلاخيل صيرت لها وشحا حالت عليه الخلاخل

مهى الوحش الا ان هاتا اوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل

هوى كان خلسا ان من اطيب الهوى هوى جلت فى فيافيه وهو خامل

ومن الادبآء من عاب عليه هذه الابيات ونحوها على ما قد تكلف فيها من البديع و تعمل من الصنعه فقال قد ذهب ماء هذا الشعر ورونقه وفايدته اشتغالا بطلب التطبيق وساير ما جمعه وقد تصعب عليه احمد ابن عبيد الله ابن عمار واسرف حتى تجاوز الى الغض من محاسنه ولما قد اولع به من الصنعة وربما اعطى على بصره حتى يبدع فى القبح وهو يريد ان يبدع فى الحسن **كقوله فى قصيده له اولها**

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتادا عندها كل مرقد

فقال فيها

لعمرى لقد حررت يوم لقيته لوان القضآء وحده لم يبرد

وكقوله

لولم تدارك مسن المجد مذ زمن بالجود والباس كان المجد قد خرفا

فهذا من الاستعارات القبيحه والبديع المقيت **كقوله**

تسعون الفا كاساد الشرى نضجت اعمارهم قبل نضج التين والعنب

وكقوله

لولم يمت بيراطرافا لرماح اذا لمات اذلم يمت من شده الحزن

وكقوله

خشنت عليه اخت بنى خشين الا يمد الدهر كفا

وكقوله

بسيئ الى مجتدى نصر فتقطع من الرتد

وقال فى وصف المطايا

لو كان كلفها عبيد حاجة يوما لزنى شدها وجديلا

وكقوله

فضربت الشتآء فى اخدعيه ضربة غادرته عودا ركوبا

فهذا وما اشبهه انما يحدث من غلوه فى محبة الصنعه حتى يعميه عن وجه الصواب وربما اسرف فى المطابق والمجانس ووجوه البديع من لزوم استعاره وغيرها حتى استثقل نظمه

واستوخم رصعه وكان التكلف باردًا والتصرف جامدًا وربما اتفق مع ذلك فى كلامه
النادر المليح كما يتفق البادر القبيح فامّا التحرّى فانه لا يرى فى التجنيس ما يراه
ابو تمام ويقل التصنّع له فاذا وقع فى كلامه كان فى الاكثر حسنًا رشيقًا وظريفًا
جميلًا وتصنّعه للمطابق كثير حسن ونعمقه فى وجوه الصنعه على وجه طلب
السلامه والرغبه فى السلامه فلذلك يخرج سليمًا من العيب فى الاكثر واما
وقوف الالفاظ به عن تمام الحسنى وقعود العبارات عن الغايه القصوى فشئ لا بدّ
منه وامر لا محيص عنه كيف وقد وقف على من هو اجلّ منه واعظم قدرًا فى هذه
الصنعه واكبر فى الطبقه كامرئ القيس وزهير والنابغه والى يومه ونحن نبيّن
تميّز كلامهم وانحطاط درجه قولهم ونزول طبقه نظمهم عن بديع نظم القرآن
فى باب مفرد يتصوّر به ذو الصنعه ما يجب تصوّره ويتحقّق وجه الاعجاز فيه
بمشيّه الله وعونه ۞ ثم رجع الكلام بنا الى ما قدّمناه
من انه لا سبيل الى معرفه اعجاز القرآن من البديع الذى ادّعوه فى الشعر ووصفوه
فيه وذلك انّ هذا الفنّ ليس فيه ما يخرق العاده ويخرج عن العرف بل يمكن
استدراكه بالتعلم والتدرّب به والتصنّع له كقول الشعر ورصف الخطب وصنا
عة الرسالة والحذق فى البلاغه وله طريق يسلك ووجه يقصد وسلّم يرتقى فيه
اليه ومثال قد يقع طالبه عليه فرب انسانٍ تيعوذ ان ينظم جميع كلامه شعرًا
او تيعوذ ان يكون جميع خطابه سجعًا او صنعةً متصلةً لا يسقط من كلامه حرف
وقد يباده ما قد تعوّده وانت ترى دهاءً زمانتنا يضيفون المحاسن فى جزء وكذلك
يوالفون يقولون انواع البارع ثم ينظرون فيه اذا ارادوا انشاء قصيده او رساله
او خطبه فيحشون به كلامهم ومن كان قد تدرّب وتقدّم فى حفظ ذلك اشتغل
عن هذا التصنيف ولم يحتج الى تكلف هذا التاليف وكان ما اشرف عليه من هذا
الشان باسطا من باع كلامه وهو شحًا بانواع البديع ما يحاوله من قوله وهذا
طريق لا يتعذّر وباب لا يمتنع وكل يا خذ فيه ماخذًا ويقف فيه موقفًا على قدر
ما معه من المعرفه وبحسب ما يمدّه من الطبع فامّا شأو نظم القرآن فليس له مثال
يحتذى اليه ولا امام يقتدى به ولا يصحّ وقوع مثله اتّفاقًا كما يتفق للشاعر
البيت النادر والكلمه الشارده والمعنى الغريب والشئ القليل العجيب وكما
يلحق من كلامه بالوحشيّات ويضاف من قوله الى الاوابد لانّ ما جرى هذا المجرى
ووقع هذا الموقع فانما يتفق للشاعر فى لمع من شعره وللكاتب فى قليل من رسايله
وللخطيب فى يسير من خطبه ولو كان كل شعره نادرًا ومثلًا سايرًا ومعنًى بديعًا

ولفظًا رشيقًا وكل كلامه مملوًا من رونقه ومائه ومملّأ ببهجته وحسن روايه ولم
يقع فيه المتوسط من الكلامين والمتردّد بين الطرفين ولا البارد المستثقل والغثّ
المستنكر لم يكن له اعجاز فى الكلام ولم يكن التفاوت العجيب بين النظام والنظام
وهذه جمله تحتاج الى تفصيل ومنهم قد يحتاج فى بعضه الى تفسير وسنذكر ذلك
بمشيّه الله وعونه ولكنّ قد يمكن ان يقال فى البديع الذى حكيناه واضفناه اليهم
انّ ذلك باب من ابواب البراعه وجنس من اجناس البلاغه وانه لا ينفكّ القرآن من
فنّ من فنون بلاغاتهم ولا وجه من وجوه فصاحاتهم واذا ورد هذا المورد ووضع
هذا الموضع كان جديرًا واتمّ لم نطلق القول اطلاقًا لانا لا نجعل الاعجاز متعلّقًا
بهذه الوجوه الخاصّه ووقفًا عليها ومضافًا اليها وان صحّ ان تكون هذه الوجوه
موتّرةً فى الجمله اخذه بحظّها من الحسن والبهجه متى وقعت فى الكلام على
غير وجه التكلف المستبشع والتعمّل المستنشع **فصل فى كيفيّه**
الوقوف على اعجاز القرآن قد بيّنا انه لا يتهيّا لمن كان
لسانه غير العربيّه من العجم والترك وغيرهم ان يعرفوا اعجاز القرآن الّا ان يعلموا
انّ العرب قد عجزوا عن ذلك فاذا عرفوا هذا بان علموا انهم قد تحدّوا على ان يا توا
بمثله وقرعوا على ترك الاتيان بمثله ولم يا توا به تبيّنوا انهم عاجزون عنه واذا
عجز اهل ذلك اللسان فهم عنه اعجز ۞ وكذلك نقول انّ من كان من اهل اللسان
العربىّ الّا انه ليس يبلغ فى الفصاحة الحدّ تيناهى الى معرفه اساليب الكلام ووجوه
تصرف اللغة وما يعدّونه فصيحًا بليغًا بارعًا من غيره فهو كالاعجمىّ فى انّه
لا يمكنه ان يعرف اعجاز القرآن الا بمثل ما بيّنا انه يعرف به الفارسىّ الذى بدانا
بذكره وهو ومن ليس من اهل اللسان سواء ۞ فامّا من كان قد تناهى فى معرفه
اللسان العربىّ ووقف طرقها ومذاهبها فهو يعرف القدر الذى ينتهى اليه وسع
المتكلم من الفصاحه ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدر فليس يخفى
عليه اعجاز القرآن كما يتميّز بين جنس الخطب والرسايل والشعر الجيّد والردىّ و
الفصيح والبديع والنادر والبارع والغريب وهذا كما يتميّز اهل كلّ صناعه صنعتهم
فيعرفوا القصير فى كلّ من النقد ما يخفى على غيره وان كان يبقى مع معرفه هذا الشان
امر اخر وربّما اختلفوا فيه لانّ من اهل الصنعه من يختار الكلام المتين والقول
الرصين ومنهم من يختار الكلام الذى يروق ماوه وتروع بهجته ورواه و
يسلس ماخذه ويسلم وجهه ومنفذه ويكون القريب المتناول غير عويص اللفظ
ولا غامض المعنى كما يختار قوم ما يغمض معناه ويعرب لفظه ولا يختار ما سهل

على صح

بنى امر الحروف التى ابتدئ بها السور على هذا فاكثر هذه السور التى ابتديت بذكر الحروف
ذكر فيها ثلثه احرف وما هو اربعه احرف سورتان وما ابتدئ بخمسه احرف
سورتان فاما ما ابتدئ بحرف واحد فقد اختلفوا فيه فمنهم من لم يجعل ذلك حرفا
وانما جعله فعلا واسما لشى خاص ومن جعل ذلك حرفا قال اراد ان يحقق الحروف
مفردها ومنظومها ولضيق ما سوى كلام العرب ولخروجه عن الاعتدال يتكرر
فى بعض الالسنة الحرف الواحد فى الكلمه الواحده والكلمات المختلفه كثيرا كنحو تكرر
الطاء والسين فى لسان يونان وكنحو الحروف الكثيره هى اسم لشى واحد فى لسان
الترك وكذلك لا يمكن ان ينظم من الشعر فى تلك الالسنه على الاعاريض التى تمكن
فى اللغه العربيه والعربيه اشدها تمكنا واشرفها تصرفا واعدلها وكذلك جعلت
حليه لنظم القرآن وعلق بها الاعجاز وصارت دلاله فى النبوه واذا كان الكلام انما
يفيد الابانه عن الاغراض القايمه فى النفوس التى لا يمكن التوصل اليها بانفسها وهى
محتاجه الى ما يعبر عنها فما كان اقرب فى تصويرها واظهر فى كشفها للفهم الغايب
عنها وكان مع ذلك احكم فى الابانه عن المراد واشد تحقيقا فى الايضاح عن المطلب
واعجب فى وضعه وارشق فى تصرفه وابرع فى نظمه كان اولى واحرى بان يكون شريفا
وقد شبهوا النطق بالخط والخط يحتاج مع بيانه الى رشاقه وصحه
ولطف حتى يجوز الفضيله ويجمع الكمال وشبهوا الخط والنطق بالتصوير وقد
اجمعوا ان من احذق المصورين من صور ذا لباكى المتضاحك والباكى الحزين والمضاحك المبتاكى والضاحك المستبشر وكما انه يحتاج الى لطف يد فى تصويره هذه لامثاله وكذلك يحتاج الى لطف فى اللسان والطبع فى تصوير ما فى النفس للغير وفى جمله الكلام الى ما تقصر عبارته وتفضل معانيه وفيه ما تقصر المعانى وتفضل العبارات وفيه ما يقع كل واحد منهما وقفا للاخر ثم تنقسم ما يقع وقفا الى انه قد يفيدها على تفصيل وكل واحد منهما قد ينقسم الى يفيدها على ان يكون كل واحد منهما بديعا شريفا وغريبا لطيفا وقد يكون كل واحد منهما مستحليا متكلفا ومصنوعا متعسفا وقد يكون كل واحد منهما حسنا رشيقا وبهيجا نظيرا وقد يتفق احدهما لامرين دون الاخر وقد يتفقان نسلم الكلام والمعنى من غير رشاقه ولا نضاره فى واحد منهما وانما يميز من يميز ويعرف من يعرف والحكم فى ذلك صعب شديد والفضل فيه شاق بعيد وقد قال من يميز اصناف الكلام فقد حكى عن طبقة ابى عبيده وخلف الاحمر وغيرهم فى زمانهم انهم قالوا اذا ذهب من يعرف نقد الشعر وقد بينا قبل هذا اختلاف القوم فى الاختيار وما يجب ان يجمعوا عليه

ويرجعوا

ويرجعوا عند التحقيق اليه ٥ وكلام المقتدر نمط وكلام المتوسع باب وكلام المطبوع
له طريق وكلام المتكلف له منهاج والكلام المصنوع المطبوع له باب ومتى تقدم
لانسان فى هذه الصنعه لم تخف عليه هذه الوجوه ولم يشتبه عنده هذه الطرق
فهو يميز قدر كل متكلم بكلامه وقدر كل كلام فى نفسه ويحله محله ويعتقد فيه
ما هو عليه ويحكم فيه بما يستحق من الحكم وان كان المتكلم يجود فى شى دون شى عرف
ذلك منه وان كان يعم احسانه عرف الا نرى ان منهم من يجود فى المدح دون
الهجو ومنهم من يجود فى الهجو وحده ومنهم من يجود فى المدح والتخف ومنهم
من يجود فى الاوصاف والعالم لا يشذ عنه مراتبها ولا يذهب عليه
اقدارهم حتى اذا عرف طريقه شاعر فى قصايد معدوده فانشد غيرها من شعره
لم يشك ان ذلك من نسجه ولم ترتب فى انه من نظمه كما انه اذا عرف خط رجل
لم يشتبه عليه خطه حيث راه من بين الخطوط المختلفه وحتى يميز بين رسايل
كاتب وبين رسايل غيره وكذلك امر الخطب فان اشتبه عليه البعض فهو
لاشتباه الطريقين وتماثل الصورتين كما قد يشتبه شعر ابى تمام بشعر البحترى
فى القليل الذى يترك ابو تمام فيه التصنع ويقصد فيه التسهل ويسلك الطريقه
الكتابيه ويتوجه فى تقريب الالفاظ وترك تعويص المعانى ويتفق له مثل بهجه
اشعار البحترى والفاظه ولا يخفا على احد يميز هذه الصنعه سبك ابى نواس
ولا نسج ابن الرومى من نسج البحترى وينبهه ديباجه شعر البحترى وكثره ما به
وبديع رونقه وبهجه كلامه الا فيما يسترسل فيه فيشتبه بشعر ابن الرومى
ويحركه الشعر ابى نواس من الحلاوه والرقه والرشاقه والسلاسه حتى يفرق
بينه وبين شعر مسلم وكذلك يميز بين شعر لاعشى فى التصرف وبين شعر امرى
القيس وبين شعر النابغه وزهير وبين شعر جرير ولاخطل والبعيث والفرزدق
وكل له منهج معروف وطريق مالوف ٥ ولا يخفا عليه فى زماننا الفصل بين
رسايل عبد الحميد وطبقته وبين طبقه من بعده حتى انه لا يشتبه عليه ما بين
رسايل ابن العميد وبين رسايل اهل عصره ومن بعده ممن برع فى صنعه
الرسايل وتقدم فى شاوها حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقه المتاخرين
حتى خلص لنفسه طريقه وانشاء لنفسه منهاجا فسلك تاره طريقه الجاحظ
تاره طريقه السجع وتاره طريقه لاصل وبرع فى ذلك باقتداره وتقدم بحذقه
ولكنه لا يخفا مع ذلك على اهل الصنعه طريقه من طريق غيره وان كان قد يشتبه
ويرق القليل وتغمض الاطراف وتشد النواحى وقد تيفاوت سبك نفر من

شعراء عصرٍ وتدانى وسايل كتّاب دهرٍ حتّى تشتبه اشتباها شديدًا او
تتماثل تماثلًا قريبًا فيغمض الفضل ه وقد تتشاكل الفرع ولد اصل وذلك فيما
لا يتعذر دراكه امدهُ ولا يتصعب طلابه شاوه ولا يتمنع بلوغ غايته والوصول
الى نهايته لان الذى يتفق من الفصل بين اهل الزمان اذا تفاضلوا تفاوتا و
فصلٌ قريبٌ وامرٌ يسيرٌ وكذلك لا يخفى عليهم معرفه سارق الالفاظ وسارق
المعانى ولا من يخترعها ولا من يلم بها ولا من يجاهر بالاخذ ممن يكاتم به ولا ممن
يخترع الكلام اختراعًا ويبتدهه ابتداهًا ممن يروّى فيه ويجيل الفكر فى تنقيحه
ويصبر عليه حتى يتخلص له ما يريد وحتى يتكرر نظره فيه قال ابو عبيده سمعت
اباعمرٍ ويقول زهير والحطيه واشباههما عبيد الشعر لانقحوه ولم يذهبوا فيه
مذهب المطبوعين وكان زهير يسمى كبر شعره الحوليات المنقحه

وقال عدى ابن الرقاع

وقصيدةٍ قد بتّ اجمع بينها حتى اقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناة حتى يقيم ثقافه منادها

وكهول سويد بن كراع ابيت بابواب القوافى كانما اصادى بها سربًا
من الوحش نزّاعًا ومنهم من يعرف بالبديهه وحدّه الخاطر ونفاذ الطبع وسرعه
النظم يرتجل القول ارتجالًا ويطبعه عفوًا صفوًا فلا يقعد به عن قومٍ قد تقعبوا
وكدّوا انفسهم وجاهدوا خواطرهم وكذلك لا يخفى عليهم الكلام المعلوىّ و
اللفظ الملوكى كما لا يخفى عليهم الكلام العامى واللفظ السوقى ثم تراهم
يتزلون الكلام تنزيلًا ويعطونه كيف تصرّف حموفه ويعرفون مراتبه فلا يخفا
عليهم ما يختصّ به كل فاضلٍ تقدّم فى وجهٍ من الوجوه النظم من الوجه الذى لا
يشاركه فيه غيره ولا يساهمه سواه الا تراهم وصفوا زهيرًا بانّه امدحهم واشدهم
اسر شعرٍ قاله ابو عبيده ه وروى انّ الفرزدق انحل بيتًا من شعر جريرٍ وقال
هذا يشبه شعرى فكانها ولاء لا يخفا عليهم ما قد نسبناه اليهم من المعرفة
بهذا الشان وهذا كما يعلم البزّازون هذا الديباج عمل بتستر وهذا لم يعمل بتستر
وانّ هذا من صنعه فلانٍ دون فلانٍ ومن نسج فلانٍ دون فلانٍ حتى لا يخفى عليه
وان كان قد يخفى على غيره ثم انهم يعلمون ايضا من له سمت بنفسه ورفت براسه
ومن يقتدى فى الالفاظ وفى المعانى وفيهما لغيره ويجعل سواه قدوةً له ومن يلم
فى الرجاز بمذهب غيره ويطوى فى الرجاز وهذه امور ممهده عند العلماء و
اسباب معروفه عند الادباء وكما يقولون انّ البحترى يغير على ابى تمامٍ اعارةً و

حذ البديهه

ياخذ منه صريحًا واشارةً ويستانس بالاخذ منه بخلاف ما يستانس بالاخذ
من غيره وبالفاظ اتباعه كما لا يالف اتباع سواه وكما كان ابو تمامٍ يلم بابى نواس وكما
يعلم انّ بعض الشعراء ياخذ من كل احدٍ ولا يتحاشى ويولف ما يقوله من فرقٍ شتّى
وما الذى ينفع المتنبى جحوده الاخذ وانكاره معرفه الطائيين واهل الصنعه يدلون
على كل حرفٍ اخذه منهما جهارًا اولم به فيه سرارًا **واما ما لم ياخذ عن**
الغير ولكن سلك النمط وراعى النهج فهم يعرفونه و
يقولون هذا اشبه به من التمره بالتمره واقرب اليه من الماء الى الماء وليس بينهما
الا كما بين الليله والليله فاذا تباينا وذهب احدهما فى غير مذهب صاحبه وسلك
فى غير جانبه **قيل بينهما ما بين السماء والارض وما بين النجم**
والنون وما بين المشرق والمغرب وانما اطلت عليك ووضعت جميعه بين يديك
لتعلم انّ اهل الصنعه يعرفون دقيق هذا الشان وجليله وغامضه وجليّه وقريبه
وبعيده ومعوجّه ومستقيمه فكيف يخفى عليهم الجنس الذى هو بين الناس متداول
وهو قريبٌ متناول من امرٍ يخرج عن اجناس كلامهم ويبعد عمّا هو فى عرفهم ويفوت
مواقع قدرهم واذا اشتبه ذلك فانما يشتبه على ناقصٍ فى الصنعه او قاصرٍ
عن معرفه طرق الكلام الذى يتصرّفون فيه ويديرونه بينهم ولا يتجاوزونه
فلكلامهم سبلٌ مضبوطه وطرقٌ معروفه محصوره وهذا كما يشتبه على من
يدّعى الشعر من اهل زماننا والعلم بهذا الشان فيدعى انّه اشعر من البحترى و
يتوهّم انّه ادقّ مسلكًا من ابى نواسٍ واحسن طريقًا من مسلمٍ وانت تعلم انهما
متباعدان وتحقق انهما لا يجتمعان ولعلّ احدهما انما يلحظ عبارا صاحبه و
يطالع ضياء بخمه ويراعى حفوف جناحه وهو راكد فى موضعه ولا نصيّر البحترىّ
ظنّه ولا يلحقه بشاوه وهمه فان اشتبه على متادّبٍ او متشاعرٍ او ناشئ او مرمدٍ
فصاحه القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته فما عليك منه انما يخبّر عن نقصه
ويدلّ على عجزه ويبيّن عن جهله ويصرح بسخافه فهمه وركاكه عقله وانما قدّمنا
ما قدّمناه فى هذا الفصل لتعرف انّ ما ادّعيناه من معرفه البليغ بعلوّ شان القرآن
وعجيب نظمه وبديع تاليفه امرٌ لا يجوز غيره ولا يحتمل سواه ولا يشتبه على ذى
قصيره ولا بخيلٍ عند اخى معرفهٍ كما يعرف الفصل بين طباع الشعراء من اهل الجاهليّه
وبين الحضريين وبين المحدثين ويميّز بين من يجرى على شاكلة طبعه وعريزه نفسه
وبين من يشتغل بالتكلّف والتصنع وبين من يصير التكلف له كالمطبوع وبين من
كان مطبوعه كالمتعمل المصنوع هيهات هيهات هذا امرٌ اذقّ فله قومٌ يقتلونه

علماً واهل يحيطون به فهماً ويعرفونه اليك ان شيت ويصورونه لديك ان اردت
ويجلون على خواطرك ان احببت ويعرضونه لفطنتك ان حاولت **وقد قال**
القايل للحرب والضرب اقوام لها خلقوا وللدواوين كتّاب وحسّاب
ولكل عمل رجال ولكل صنعة ناشرون وفي كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط
ولكن قد قل من يميز في هذا الفن خاصّه وذهب من يحصل في هذا الشان الا
قليلاً فان كنت ممن هو بالصفه التي وصفنا من التناهي في معرفه الفاحات والتحقق
بمجاري البلاغات فانما يكفيك التامل ويغنيك التصور وان كنت في الصنعه
مهداً وفي المعرفه بها متوسطاً فلا بد لك من التقليد ولا غنى بك عن التسليم ان
الناقص في هذه الصنعه كالخارج عنها والشادي فيها كالبايّن منها فاذا اراد ان
يقرب عليه امرًا ويفسح له طريقاً ويفتح له باباً ليعرف به اعجاز القرآن فانما
تصع بين يديه الامثله وتعرض عليه الاساليب وتصور له صور كل قبيل من النظم
والنثر وتحضره من كل فن من القول شيئاً يتامله ويراعيه حق مراعاته فيستدل
استدلال العالم ويستدرك استدراك الناقد ويقع له الفرق بين الكلام الصا
در عن الربوبيه الطالع عن الهيه الجامع بين الحكم والحكم والمراخبار عن الغيوب
والغايبات والمتضمن لصالح الدنيا والدين والمستوعب لجليه اليقين والمعاني
البخترعه في تاسيس اصل الشريعه وفروعها بالالفاظ الشريفه على تفننها
وتصرفها ونعمد الى شي من الشعر المجمع عليه قبيين وجه النقص فيه وندل على
الخطاط رتبته ووقوع ابواب الخلل فيه حتى اذا تامل ذلك وتامل ما نذكره من
تفصيل اعجاز القرآن وفصاحته وعجيب براعته انكشف له واتضح وثبت ما
وصفناه لديه ووضح وليعرف حدود البلاغه ومواقع البيان والبراعه ووجه
التقدم في الفصاحه وذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ان الفارسي سيل
فقيل له ما البلاغه فقال معرفه الفصل من الوصل وسيل اليوناني عنها فقال تصحيح
الاقسام واختيار الكلام ٥ وسيل الرومي عنها فقال حسن الاقتضاب عند البداهه
والغزاره يوم الاطاله ٥ **وسيل الهندي** عنها فقال وضوح الدلاله و
انتهاز الفرصه وحسن الاشاره ٥ وقال مره التماس حسن الموقع والمعرفه بساعات
القول وقلة الحرق بما التبس من المعاني او غمض وشرد من اللفظ وتعذر وزينته
ان تكون الشمايل موزونه والالفاظ معدله والمنهجه نقيه والا يكلم سيد لامه
بكلام الامه ويكون في قواه فصل التصرف في كل طبقه ولا يدقق المعاني كل
التدقيق ولا ينقح الالفاظ التنقيح ويصفيها كل التصفيه ويهذبها بغايه

واما البراعه ففيما يذكر اهل اللغه الحذق بطريقه الكلام وتجويده
وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول او صناعه ٥ واما الفصاحه فقد
اختلفوا فيها منهم من عبر عن معناها باتّه ما كان من جزل اللفظ حسن المعنى
وقد قيل معناها الاقتدار على لدابانه عن المعاني الكامنة في النفوس على عبارات
جليه ومعان نقيه بهيه والذي يصور عندك ما ضمنا تصويره ويحصل عندك
معرفته اذا كنت في صنعه لدادب متوسطاً وفي علم العربيه متبيناً ان تنظر
اولاً في نظم القرآن ثم في شي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فتعرف الفصل
بين النظمين والفرق بين الكلامين فان تبين لك الفاصله ووقعت على
جليه لدامر وحقيقه الفرق فقد ادركت الغرض وصادفت المقصد فان لم تفهم
الفرق ولم تقع على الفصل فلا بد لك من التقليد وعلمت انك من جمله العامه وان
سبيلك سبيل من هو خارج من اهل اللسان ٥ **خطبة النبي**
صلى الله عليه وسلم روى طلحه بن عبيد الله قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره يقول الا ايها الناس توبوا
الى ربكم قبل ان تموتوا وبادروا الاعمال الصالحه قبل ان تشغلوا وصلوا الذي بينكم
وبين ربكم بكثره ذكركم له وكثره الصدقه في السر والعانيه ترزقوا و
توجروا وتنصروا واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعه في مقامي هذا
في عامي هذا في شهري هذا الى يوم القيامه حياتي ومن بعد موتي فمن تركها وله امام
فلا جمع الله له شمله ولا بارك له في امره الا ولا حج له الا ولا صوم له الا ولا صدقه له
الا ولا بر له الا ولا يومّ اعرابي مهاجراً الا ولا يؤمّ فاجر مومناً الا ان يقهره سلطان
يخاف سيفه او سوطه **خطبه له صلى الله عليه وسلم**
ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم
ان المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي
لا يدري ما الله قاض عليه فيه فليا خذ العبد لنفسه من نفسه ومن
دنياه لاخرته ومن التشبيه قبل الكبر ومن الحياه قبل الموت والذي نفس محمد بيده
ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنه والنار ٥
خطبه له صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله احمده واستعينه نعوذ
بالله من شرور انفسنا وسيات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ان احسن الحديث كتاب الله
قد افلح من زينه الله في قلبه وادخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه

من احاديث الناس انه احسن الحديث وابلغه اجتوا من احب الله واجتوا
الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسوا عليه قلوبكم اعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا اتقوا الله حق تقاته وصدقوا صالح ما تعلمون بافواهكم وتحابوا
يروح الله بينكم والسلم عليكم ورحمة الله ۞ **خطبه له في ايام التشريق** قال بعد حمد الله ايها الناس هل تدرون في اي شهر
انتم وفي اي يوم انتم وفي اي بلد انتم قالوا في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام
قال الا فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا في شهركم هذا
في بلدكم هذا الى يوم يلقونه ۞ ثم قالوا اسمعوا مني تعيشوا الا لا تظالموا
ثلثا الا انه لا مال لامرئ مسلم الا بطيب نفس منه الا ان كل دم ومال وما ثره
كانت في الجاهليه تحت قدمي هذه الا وان اول دم وضع دم ربيعه ابن الحرث
ابن عبد المطلب كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل الا وان كل ربا كان
في الجاهليه موضوع الا وان الله تعالى قضى اول ربا يوضع ربا عمي العباس لكم
رووس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون الا وان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق
الله السموات والارض منها اربعه حرم ذلك الدين القيم ولا تظلموا فيهن انفسكم
الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا وان الشيطان
قد يئس ان يعبده المصلون ولكن في التحريش بينكم اتقوا الله في النساء فانهن
عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا وان لهن عليكم وحقا ولكم عليهن
حقا لا يوطئن فرشكم احدا غيركم فان خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن في
المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فانما
اخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله الا ومن كانت امانته
فليودها الى من ائتمنه عليها ثم بسط يده فقال الا هل بلغت الا هل بلغت ليبلغ
الشاهد الغايب فرب مبلغ ابلغ من سامع **خطبته يوم فتح مكه** وقف على باب الكعبه ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثره او دم او مال يدعى فهو تحت قدمي
هاتين الا سدانة البيت وسقايه الحاج الا وقتيل الخطاء العمد بالسوط والعصا
فيه الديه مغلظة منها اربعون خلفه في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله
قد اذهب عنكم نخوة الجاهليه وتعظمها بالاباء الناس من ادم خلق من تراب ثم
هذه الايه يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الايه يا معشر قريش او يا اهل مكه
ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ قال فاذهبوا فانتم الطلقاء

وادم

وروى زيد ابن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب بالخيف من منى ۞ **خطبته بالخيف** نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم اداها
الى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه الى من هو افقه منه
ثلث لا يغل عليهن قلب المومن اخلاص العمل لله والنصيحه لاولي الامر ولزوم الجماعه
ان دعوتهم تكون من ورايه ومن كان همته الاخره جمع الله له شمله وجعل غناه في
قلبه واتته الدنيا وهي راغمه ومن كان همه الدنيا فرق الله امره وجعل فقره بين
عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له **خطبته له صلى الله عليه وسلم** رواها ابو سعيد الخدري رضي الله عنه خطب بعد العصر فقال الا ان الدنيا خضره
حلوه الا وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء
الا لا يمنعن رجلا مخافه الناس ان يقول الحق اذا علمه قال ولم يزل يخطب حتى
لم تبق من الشمس الا حمره على اطراف السعف فقال انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا
كما بقي من يومكم هذا فيما مضى ۞ **كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملك فارس** من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام
على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بدعاء الله فاني انا رسول الله الى الناس كافه
لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم ۞ **كتاب له الى النجاشي** من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشه
سلم انت فاني احمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى
ابن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبه فحملت بعيسى فخلقه من
روحه ونفخه كما خلق ادم بيطيه بيده ونفخه واني ادعوك الى الله وحده لا شريك
له والموالاه على طاعته وان تتبعني وتومن بالذي جاءني واني ادعوك وجنودك
الى الله تعالى فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى ۞
نسخه عهد الصلح مع قريش عام الحديبيه هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سهيل ابن عمرو واصطلحا
على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف فيه بعضهم عن
بعض على انه من اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن وليه رده عليهم ومن
جاء قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وان بيننا عيبة
مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من احب ان يدخل في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عهد قريش وعهدهم

دخل فيه وانك ترجع عتا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة واذا كان عاما قابلا فحجنا
عنك فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلثا وان معك سلاح الراكب والسيوف في
الركب فلا تدخلها بغير هذا ۞ ولا اطول عليك واقتصر على ما القيته اليك فان
كان لك في الصنعه حظ او كان لك في هذا المعنى حس او كنت تضرب في الادب بسهم
او في العربيه بقسط وان قل ذلك السهم او نقص ذلك النصيب فما احسب انه
يشتبه عليك الفرق بين براعه القرآن وبين ما نسجتاه لك من كلام الرسول صلى الله
عليه وسلم في خطبه ورسايله وما عساك تسمعه من كلامه ويتساقط اليك
من الفاظه واقدر انك ترى بين الكلامين نوعا بعيدا وامدا مديدا وميدانا واسعا
ومكانا شاسعا فان قلت لعله ان يكون تعمل للقرآن وتصنع لنظمه وشبه
عليك الشيطان ذلك من خنثه فتثبت في نفسك وارجع الى عقلك واجمع لبك
وتيقن ان الخطب يحتشدى لها في المواقف العظام والمحافل الكبار والمواسم الضخام
ولا يتجوز فيها ولا يستهان بها والرسايل الى الملوك مما يجمع لها الكاتب جراميزه
ويشمر لها عن حد واجتهاد فكيف يقع بها الراخلال وكيف تعرض المتفريط فستعلم
لا محاله ان نظم القرآن من الامر الالاهي وان كلام النبي صلى الله عليه وسلم من
الامر النبوي فاذا اردت زياده في التبين وتقدما في التقرف واشرافا على الجليه و
فوزا بحكم القضيه فتامل هداك الله ما ننسخه لك من خطب الصحابه والبلغاء
لتعلم ان نسجها ونسج ما نقلنا من خطب النبي صلى الله عليه وسلم واحد وسبكها
سبك غير مختلف وانما يقع بين كلامه وكلام غيره ما يقع من التفاوت بين كلام
الفصيحين وبين شعر الشاعرين وذلك امر له مقدار معروف وحد ينتهي اليه
مضبوط فاذا عرفت ان جميع كلام الادمي منهاج ولجملته طريق وتبينت
ما يمكن فيه من التفاوت نظرت الى نظم القرآن نظره اخرى وتاملته مره ثانيه
فتراه بعد موقعه وعلى محله وموضعه وحكمت بواجب من اليقين وثلج
الصدر باصل الدين **خطبه لابي بكر الصديق رضي الله عنه**
قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني وليت امركم ولست بخيركم و
ولكن نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم وعلمنا فعلمنا واعلموا ان
الكيس التقي وان احمق الحمق الفجور وان اقواكم عندي الضعيف حتى اخذ له بحقه
وان اضعفكم عندي القوي حتى اخذ منه الحق ايها الناس انما انا متبع ولست
بمبتدع فان احسنت فاعينوني **عهد لابي بكر الصديق رضي الله عنه**
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر خليفه

رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخره ساعه يومن
فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر اني استخلفت عليكم عمر ابن الخطاب فان بر وعدل
فذاك ظني به ورأي فيه وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير اردت لكم ولكل
امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ۞ وفي حديث
عبد الرحمن ابن عوف رحمة الله عليه قال دخلت على ابي بكر الصديق رضي الله عنه
في علته التي مات فيها فقلت اراك بارئا يا خليفه رسول الله اما اني على ذلك
لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين اشد علي من وجعي اني وليت
اموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم انفه ان يكون له الامر دون الله لتتخذن
نضايد الديباج وستور الحرير ولنامن النوم على الصوف الادربي كما يالم احدكم
النوم على حسك السعدان والذي نفسي بيده لان يقدم احدكم فتضرب رقبته
في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا يا هادي الطريق جزت انما هو والله
الفجار او البحر قال فقلت حفض عليك يا خليفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
هذا نهصك الى ما بك فوالله ما زلت صالحا مصلحا لا تاسى على شيء فاتك من
امر الدنيا ولقد تخلبت بالامر وحدك فما رايت الا خيرا وله خطب ومقامات
مشهوره اقتصرنا منها على ما نقلنا منها قصته السفيفه ۞
نسخة كتاب كتب ابو عبيده ابن الجراح ومعاذ ابن جبل
الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ۞ سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي
لا اله الا هو اما بعد فانا عهدناك وامر نفسك لك مهتم فاصبحت وقد وليت امر
هذه لرامه احمرها واسودها يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف و
الوضيع ولكل حصته من العدل فانظر كيف انت يا عمر عند ذلك فانا نحذرك يوما
تعنو فيه الوجوه وتحث فيه القلوب وانا كنا نتحدث ان هذه لرامه يرجع
في اخر زمانها ان يكون اخوان العلانيه اعداء السريره وانا نعوذ بالله ان نترك كتابا
سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا فانا انما كتبنا اليك نصيحه لك والسلم
فكتب اليهما من عمر ابن الخطاب الى ابي عبيده ابن الجراح ومعاذ ابن جبل
سلام عليكما فاني احمد اليكما الله الذي لا اله الا هو ۞ اما بعد فقد جاني كتابكما
تزعمان انه بلغكما اني وليت امر هذه لرامه احمرها واسودها يجلس بين يدي الصديق
والعدو والشريف والوضيع وكتبتما ان انظر كيف انت يا عمر عند ذلك وانه لا حول
ولا قوة لعمر عند ذلك الا بالله كتبتما تحذراني ما حذرت به لرام قبلنا وقديما كان
اختلاف الليل والنهار باجال الناس يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان

بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة او النار ثم توفى كل نفس بما
كسبت ان الله سريع الحساب كتبتما تزعمان ان امر هذه الامة يرجع في آخر زمانها ان
يكون اخوان العلانية اعداء السريرة ولستم بذاك وليس هذا ذلك الزمان ولكن
زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبة فتكون رغبة بعض الناس الى بعض اصلاح
دينهم ورهبة بعض الناس اصلاح دنياهم وكتبتما تعوذاتني بالله ان انزل كما بكما
منى سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما وانما كتبتما نصيحة لي وقد صدقتما فتعمداني
منكما بكتاب فلا غنى بي عنكما

عهد من عهود عمر رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر ابن الخطاب امير
المومنين الى عبد الله ابن قيس سلام عليك اما بعد فان الفضا فريضة محكمة وسنة
متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا يعلم تكلم بحق لا نفاذ له اس بين الناس في
وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من
عدلك ۞ البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا
صلحا احل حراما او حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس وراجعت
فيه عقلك وهديت لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير
من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب
ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك واعمد الى اشبهها
بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا او بينة امدا ينتهي اليه فان احضر بينة اخذت
له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه انفى للشك واجلى للعمى المسلمون
عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا
في ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرا بالايمان والبينات واياك و
القلق والضجر والتاذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق في مواطن
الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته واقبل على نفسه كفاه
الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه
الله فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام ۞
ولعمر رضي الله عنه خطب مسهورة مذكورة في التاريخ لم ننقلها اختصارا اه

ومن كلام عثمان ابن عفان رضي الله عنه

خطبة لعثمان ابن عفان رضي الله
عنه قال ان لكل شيء افة وان لكل نعمة عاهة وان هذا الذين عيابون ظنانون يظهرون
لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم وتقولون طعام مثل النعام
يتبعون اول ناعق احب موارده اليهم النازح لقد اقرتم لابن الخطاب باكثر مما

نقمتم

نقمتم علي ولكنه وقفكم وقعكم وزجركم زجر النعاء المخرمة والله اني
لاقربكم ناصرا واعزكم نفرا وافقى ان قلت هلم ان تجاب دعوتي من عمر
هل تفقدون من حقوقكم شيئا فاني لا افعل في الحق ما استاذا
فلم كنت اماما

كتابه ابي علي حين حضر رضي الله تعالى عنها

اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وطمع في من لا يدفع
عن نفسه فاذا انا كتابي هذا فاقبل الي علي كنت امرئ
فان كنت ماكولا فكن خير اكل والا فادركني ولما امزق
ومن كلام علي رضي الله تعالى عنه

قال فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض
النبي صلى الله عليه وسلم وجاء علي باكيا مسترجعا وهو يقول
اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه ابو بكر
فقال رحمك الله ابا بكر كنت الف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانسه
وثقته وموضع سره كنت اول القوم اسلاما واخلصهم ايمانا واشدهم
يقينا واخوفهم لله واعظمهم غناء في دين الله واحوطهم على رسوله واينهم
على الاسلام واحنهم على اصحابه احسنهم صحبة واكثرهم مناقب وافضلهم
سوابق وارفعهم درجة واقربهم برسول الله صلى الله عليه وسلم شبها
وهديا ورحمة وفضلا واشرفهم منزلة واكرمهم عليه واوثقهم عنده جزاك
الله عن الاسلام وعن رسوله خيرا كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدقت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك الله في
تنزيله صديقا فقال والذي جاء بالصدق وصدق به واسيته حين بخلوا
ووفقت معه عند المكاره حين عنه قعدوا وصحبته في الشدة اكرم الصحبة
ثاني اثنين وصاحبهما في الغار والمنزل عليه السكينة والوقار ورفيقه في الهجرة
وخليفته في دين الله وفي امته احسن الخلافة حين ارتد الناس فنهضت حين وهن
اصحابك وبرزت حين استكانوا وفويت حين ضعفوا ووقيت بالامر حين فشلوا
ونطقت حين تتعتعوا ومضيت بنور الله اذ وقفوا واتبعوك فهدوا وكنت اصوبهم
منطقا واطولهم صمتا وابلغهم قولا واكرمهم رايا واشجعهم قلبا واعرفهم
بالامور واشرفهم عملا كنت للدين يعسوبا اول حين نفر عنه الناس واخرا
حين قفلوا كنت للمومنين ابا رحيما اذ صاروا عليك عيالا حملت اثقالا ما ضعفوا

ورعيت ما اهملوا وحفظت ما أضاعوا واشرت اذ خنعوا وعلوت اذ هلعوا وصبرت
اذ جزعوا واذ ركنت اونار ما طلبوا ورجعوا رشدهم برايك فظفروا ونالوا بك ما لم
نحتسبوا وكنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس عليه في صحبتك
وذات يدك وكنت كما قال ضعيفا في بدنك قويا في امر الله متواضعا في نفسك عظيما
عند الله جليلا في اعين الناس كبيرا في انفسهم لم يكن لاحد فيك مغمز ولا لاحد مطمع ولا
لمخلوق عندك هوادة الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تاخذ له بحقه والقوي العزيز
عندك ضعيف ذليل حتى تاخذ منه الحق القريب والبعيد عندك سواء اقرب الناس
اليك اطوعهم لله شانك الحق والصدق والرفق قولك حكم وامرك حزم ورايك
علم وعزم فابلغت وقد نهج السبيل وسهل العسير واطفات النيران واعتدل بك الدين
وقوي الايمان وظهر امر الله ولو كره الكافرون واثبتت من يعدك اثبابا شديدا ووزنت بالجد
فوزا مبينا فجللت عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الانام فانا لله
وانا اليه راجعون رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له امره فوالله لن يصاب المسلمون
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثلك ابدا فالحقك الله بنبيه ولاحرمنا اجرك ولا اضلنا
بعدك وسكت الناس حتى انقضى كلامه ثم بكوا حتى علت اصواتهم

خطبة اخرى لعلي رضي الله تعالى عنه

اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وان المضمار اليوم
وغدا السباق الا وانكم في ايام مهل ومن ورائه اجل فمن اخلص في ايام امله قبل حضور اجله فقد خير عمله وضر امله الا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة الا واني
لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به
الهدى يجر به الضلال الا وانكم قد امرتم بالظعن وديل لتم على الزاد الا وان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل
فخطب فقال بعد حمد الله ايها الناس اتقوا الله فان امرء عبا قيلهو ولا اهل دري يغلو مادنياه
التي تحبب اليه تخلف من الاخرة التي قدمها سوء النظر اليه واما المنسيس الذي ظفر به من الدنيا يا على عنه
كالاخرة الذي ظفر به من الاخرة من سهمته

وكتب علي رضي الله عنه الى عبد الله بن عباس رحمة
الله عليه وهو بالبصرة اما بعد فان المرء يسره درك مالم يكن ليحزنه وليسوءه فوت فوت مالم يكن ليدركه فليكن
سرورك بما قدمت من اجر وليكن اسفك على ما خلفت من ذلك وافرط ما فاتك من الدنيا فلا تكن عليه حرصا
وما نلته فلا تشم به فرحا وليكن همك لما بعد الموت

كلام لابن عباس رضي الله عنه قال عتبة بن
ابي سفين لابن عباس ما منع امير المؤمنين ان يبعثك مكانا ابا موسى يوم الحكمين فقال منعه الله من ذلك حاجز القدر وقصر المدة ومحنة
الابتلاء اما والله لو بعثني مكانه لاعرضت له في مدارج نفسه ما فضلما ابرم وبرما لما نقض الف اذا طار وابرا اذا الف ولكن رضي فتذرع
وتقلص ومضى لوقته والاخر بحر لا يدرك قعره

خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه اصدق الحديث كتاب الله

واوثق

واوثق العرى كلمة التقوى خير الملل ملة ابرهيم واحسن السنن سنة النبي صلى الله
عليه وسلم خير الامور اوساطها وشر الامور محدثاتها ما قل وكفى خير مما كثر و
الهى خير الغنى غنى النفس وخير ما القى في القلب اليقين الحمر جماع الاثم النساء
حباله الشيطان الشباب شعبة من الحنون حب الكهاية مفتاح المعجزة من الناس
من لا ياتى الجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا هجرا اعظم الخطايا اللسان الكذوب
سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه معصيه من يتال على الله يكذب ومن
يغفر يغفر له مكتوب في ديوان الحسنين من عفى عفى عنه الشقى من شقى في بطن
امه والسعيد من وعظ بغيره الامور بعواقبها ملاك العمل خواتيمه اشرف
الموت الشهاده من يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرف البلاء ينكره ٥

خطبه لمعويه ان ابى سفيان رضى الله عنه قال الراوى لما حضرته الوفاه قال
لمولى له من بالباب فقال نفر من قريش يتباشرون بموتك فقال ويحك ولم ثم اذن
للناس فحمد الله فاوجز ثم قال ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن شديد
يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا ينتفع بما علمنا ولا نسئل عما
جهلنا ولا نخاف من قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعه اصناف منهم من لا يمنعهم
الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره ومنهم من المصلت
سيفه والمجلب برجله والمعلق بشره قد اسرط نفسه واتقد دينه كالحطام ينتهزه
او مقنب يقوده او منبر يقرعه وبين المتجران تراها لنفسك ثمنا وما لك عند الله
عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخره ولا يطلب الاخره بعمل الدنيا قد طامن
من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانه واتخذ ستر الله
ذريعة الى المعصيه ومنهم من اقعده عن الملك ضوولة في نفسه وانقطاع سببه
فقصرته الحال فتحلى باسم القناعه وتزين بلباس الزهاد وليس من ذلك في مراح ولا
مغدى وبقى رجال اغض ابصارهم ذكر المرجع وارا ق دموعهم خوف المحشر فهم
بين شريد نادو خائف منقمع وساكت مكعوم وداع مخلص وموجع ثكلان قد
اخملتهم التقيه وشملتهم الذله فهم في بحر اجاج افواههم داميه وقلوبهم
قرحه قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا في
عيونكم اقل من حتاته القرط وقراضه الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم
من بعدكم فارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم

خطبة لعمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه ايها الناس انكم ميتون
ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمري لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن

كنتم كاذبين لقد هلكتم يا ايها الناس انه يقدر له رزق براس جبل وبحضيض ارض
يأته فاجملوا فى الطلب **خطبة للحجاج ابن يوسف** حمد الله واثنى عليه ثم
قال يا اهل العراق ويا اهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق وبنى اللكيعة و
عبيد العصا واولاد الاماء والفقع بالقرقر انى سمعت تكبيرا لا يراد به الله وانما
يراد به الشيطان وانما مثلى ومثلكم ما قال ابن براقة الهمذانى

وكنت اذا قوم غزونى غزوتهم فهل انا فى ذا يال همذان ظالم
متى تجمع القلب الزكى وصارما وانفا حميا تجتنبك المظالم

اما والله لا تقرع عصا عصا الا جعلها كامس الدابر **خطبة لقس بن**
ساعدة الايادى اخبرنى محمد ابن على الانصارى ابن محمد ابن عامر
قال حدثنا على ابن ابرهيم حدثنا عبد الله ابن داود ابن عبد الرحمن العمرى قال
حدثنا الانصارى على ابن محمد الحظلى من ولد حنظلة الغسيل حدثنا جعفر ابن
محمد عن محمد ابن حسان عن محمد ابن حجاج اللخمى عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس قال
لما وفد وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم يعرف قس ابن
ساعده قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال لست انساه بعكاظ اذ وقف على بعير له
احمر فقال ايها الناس اجتمعوا واذا اجتمعتم فاسمعوا واذا سمعتم فعوا واذا وعيتم
فقولوا واذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت امطار
بعده فان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع و
نجوم تمور وبحار لا تغور لقسم قس بالله قسما حقا لا كاذبا فيه ولا اثما لئن كان
فى الارض رضا ليكونن سخطا ان الله تعالى دينا هو احب اليه من دينكم الذى انتم
وقداتاكم اوانه ولحقتكم مدته مالى ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا
بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يروى
شعره **فانشدوه**

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومى نحوها يسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الى ولا من الباقين غابر
ايقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر

اخبرنى الحسن ابن عبد الله ابن سعيد حدثنا على ابن الحسين ابن اسمعيل حدثنا محمد ابن
زكريا حدثنا عبد الله ابن الضحاك عن هشام عن ابيه ان وفدا من ايادٍ قدموا على رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فسالهم عن حال قس ابن ساعده فقالوا قال قس **شعر**

يا ناعى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصعق
منهم عراة ومنهم ثيابهم منها الجديد ومنها الاورق الخلق
مطر ونبات وآباء وامهات وذاهب وآت وآيات فى اثر آيات وامواتٍ بعد
اموات ضوء وظلام وليال وايام وغنى وفقير وشقى وسعيد ومحسن ومسىء
اين الارباب الفعلة ليصلحن كل عامل عمله كلا بل هو الله واحد ليس بمولود ولا والد
اعاد وابداء واليه المآب عدا مما بعد يا معشر ايادٍ اين ثمود وعاد واين الاباء ولد
اجداد اين الحسن الذى لم يشكر اين الظلم الذى لم ينقم كلا ورب الكعبة ليعودن
ما بدا ولين ذهب يوم ليعودن يوم **قال وهو قس بن ساعده ابن حذاق**
ابن ذهل ابن ايادٍ ابن نزار اول من امن بالبعث من اهل الجاهلية واول من توكا على
عصا واول من تكلم بامما بعد **خطبة لابى طالب**
الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وجعلنا بلدا حراما وبيتا
محجوجا وجعلنا الحكام على الناس وان محمد ابن عبد الله ابن اخى لا يوازن به فتى من
قريش الا رجح به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال مقلا فان
المال عارية مسترجعه وظل زايل وله فى خديجة خير بعل ترغبه ولها فيه مثل ذلك
وما اردتم من الصداق فعلى **قد نسخت لك جملا من كلام الصدر الاول**
ومحاورتهم وخطبهم واحيلك فيما لم انسخ على التواريخ والكتب المصنفة فى هذا
الشان فتامل ذلك وساير ما هو مسطر من اخبار المأثوره عن السلف واهل
البيان واللسن والفصاحه والفطن والالفاظ المنثوره والمخاطبات الدايره
بينهم ولا امثال المنقوله عنهم ثم انظر بسكون طاير وخفض جناح وتقريع لبٍ
وجمع عقل فى ذلك فسيقع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين و
تعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الادميين وتعلم الحد الذى يتفاوت بين
كلام البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن
جملة فان خيل اليك وشبه عليك وظننت انه يحتاج ان يوازن من نظم الشعر
والقرآن لان الشعر افصح من الخطب وابرع من الرسايل واذق مسلكا من جميع
اصناف المحاورات ولذلك قالوا صلى الله عليه وسلم هو شاعر او ساحر وسول
اليك الشيطان ان الشعر ابلغ و وارق وابرع واحسن الكلام وابدع فهذا
فصل فيه نظر بين المتكلمين وكلام بين المحققين

سمعت افضل من رايت من اهل العلم بالادب والحذق بهذه الصناعه مع تقدمه
فى الكلام يقول ان الكلام المنثور تيأتى فيه من الفصاحه والبلاغه ما لا يتأتى فى
الشعر لان الشعر ضيق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهايه ويصدّه عن تصرّفه على
سننه وحضره من يتقدم فى صنعه الكلام فراجعه فى ذلك وذكر انه لا يمتنع ان
يكون الشعر ابلغ اذا صاد فى شروط الفصاحه وابدع اذا تضمّن اسباب البلاغه
ويشهد عندى للقول لا اخيرا ان معظم براعه كلام العرب فى الشعر ولا نجد فى
منثور قولهم ما نجد فى منظومه وان كان قد احدثت البراعه فى الرسايل على
حدّ لم يعهد فى سالف ايام العرب ولم تنقل من رواتهم واخبارهم وهو
وان ضيق نطاق القول فهو يجمع حواشيه ويضم اطرافه ونواحيه فهو اذا تهذّب
فى بابه وووفى له جميع اسبابه لم يقاربه من كلام لاديبين كلام ولم يعارضه من
خطابهم خطاب وقد حكى عن المتنبّى انه كان ينظر فى ده
المصحف فدخل اليه بعض اصحابه فانكر نظره فيه لما كان راه عليه من سوء اعتقا
فقال له هو المكى على فصاحته كان مفحما فان صحت هذه الحكايه عنه فى الحاده عرف
لها انه كان يعتقد ان الفصاحه فى قول الشعر ابلغ واذا كانت الفصاحه فى قول
السعر ولم تكن وبينا ان نظم القرآن يزيد فى فصاحته على كل نظم ويتقدم
فى بلاغته على كل قول بما يتضح به لك امر اتضاح الشمس وبين به بيان الصبح
وقفت على جليه هذا الشان فانظر فيما نعرضه وتصور بفهمك ما تصوره ليقع لك
موقع عظيم شان القرآن وتامل ما نرتبه ينكشف لك الحق واذا اردنا تحقيق ما ضمناه
لك فمن سبيلنا ان نعمد الى قصيده متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجوده بلاغتها
ومعانيها واجماعهم على ابداع صاحبها فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدّم فى
الصناعه والمعروفين بالحذق فى البراعه فنقفك على مواضع خللها وعلى تفاوت
نظمها وعلى اختلاف فصولها وعلى كثره فضولها وعلى شدّة تعسفها وبعض
تكلّفها وما تجمع من كلام رفيع تقرن بينه وبين كلام وضيع وبين لفظ سوقى
يقرن بلفظ ملوكى وغير ذلك من الوجوه التى بحى تفضيلها ونبيّن ترتيبها و
تنزيلها فاما كلام مسيلمة الكذاب وما زعم انه قرآن
فهو اخس من ان نستعمل به واسخف من ان نفكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتعجب
القارى وليتبصّر الناظر فانه على سخافته قد اضل وعلى ركاكته قد زل و
ميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله كان جديرا ان
يحمد الله على ما رزقه من فهم واتاه من علم فمما كان يزعم انه نزل عليه من السماء و

الليل الاسحم والذيب الاذلم والجذع الاروم ما انتهكت اسيد من محرم وذلك قد كر
فى خلاف وقع بين قوم اتوه من اصحابه وقال ايضا والليل الدامس
والذيب الهامس ما قطعت اسيد من رطب ولا يابس وكان يقول فى الشاء
والوانها واعجبها السود والبانها والشاه الستود واللبن الابيض انه لعجب
محض وقد حرم المذق فما لكم لا تجمعون وكان يقول ضفدع بنت ضفدعين
نقى ما تنقين اعلاك فى الماء واسفلك فى الطين لا الشارب تمنعين ولا الما
تكدرين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وكان
يقول والمبديات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات
طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد
فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر ريفكم فامنعوه والمعنز فاووه والباغى
فناووه وقالت سجاح بنت الحارث ابن عقبان وكانت تتنبا فاجتمع مسيلمة معها
فقالت له ما اوحى اليك فقال الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج منها نسمة تسعى
بين صفاق وحشى وقالت فما بعد ذلك قال اوحى الى ان الله خلق النساء افواجا
وجعل الرجال لهن ازواجا قولج فيهن قعسا ايلاجا ثم نخرجها اذا شينا اخراجا
فينتجن لنا سخالا انتاجا فقالت اشهد انك نبى وكان يقول كلما ذكر من سخفه كراهيه
التثقيل وروى انه سال ابو بكر الصديق رضى الله عنه اقواما قدموا عليه
من بنى حنيفه عن هذه الالفاظ فحكوا بعض ما نقلناه فقال ابو بكر سبحان الله و
يحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن الّ فاين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن
الّ اى عن رب بويه ومن كان له عقل لم يشتبه عليه سخف هذا الكلام فنرجع
الآن الى ما ضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم اصحابها فى
صناعتهم ليبين لك تفاوت انواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغه وتستدل
على مواضع البراعه وانت لا تشك فى جوده شعر امرى القيس ولا ترتاب فى براعته
ولا تتوقف فى فصاحته وتعلم انه قد ابدع فى طرق الشعر اء امورا اتبع فيها من
ذكر الديار والوقوف عليها الى ما تيصل بذلك من البديع الذى ابدعه والتشبيه
الذى احدثه والمليح الذى تجد فى شعره والتصرف الكثير الذى تصادفه فى قوله و
الوجوه التى ينقسم اليها كلامه من صناعه وطبع وسلاسه وعفو ومتانه ورقه
واسباب تحمد وامور توثر وتمدح وقد ترى الاباء اولا يوازنون بشعره فلانا
وفلانا ويضمون اشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعره من لقيناه وبين
فى اشياء لطيفه وامور بديعه وربما فضلوهم عليه اوسووا بينهم وبينه او قربوا

موضع تقدمهم عليهم وبروزه بين ايديهم ولما اختاروا قصيدته فى السبعيات
اضافوا اليها امثالها وقرنوا بها نظايرها ثم تراهم يقولون لفلانٍ لاميته مثلها ثم
ترى نفس الشعراء تتشوق الى معارضته وتساويه فى طريقته وربما عبرت فى
وجهه فى اشياء كثيرةٍ وتقدمت عليه فى اسبابٍ عجيبةٍ واذا جاوا الى تعداد محاسن
شعره كان امرًا محصورًا وشيئًا معروفًا انت تجد من ذلك البديع او احسن منه
فى شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع فى كلام سواه وتنظر الى المحدثين كيف تو غلوا
الى حيازه المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام الى سلاسته ومتانته الى عذوبته
والاصابه فى معناه الى تحسين يجبه حتى انه منهم من ان قصرعته فى بعضٍ تقدم عليه
فى بعضٍ لان الجنس الذى يرمون اليه والغرض الذى يتواردون عليه مما للادمى فيه
محال والمشترى فيه مثال فكل يضرب فيه بسهمٍ ويفوز فيه بقدحٍ ثم قد تتفاوت
السهام تفاوتًا وتتباين تباينًا وقد تتقارب تقاربًا على حسب مشاكلتهم فى
الصنايع ومساهمتهم فى الحرف ونظم القرآن حبس مميز واسلوب متخصص و
قبيل عن النظم متخلص فاذا شيت ان تعرف عظم شانه فتامل ما نقوله فى هذا
الفصل لامرئ القيس فى اجواد اشعاره وما نبين لك من عواره على ⊙

التفصيل وذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقرات لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوبٍ وشمال

الذين يتعصبون له او يدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البديع لانه وقف
واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واسترجع
كله فى بيتٍ ونحو ذلك وانما بيناها هذا ليلا يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن
ان كانت ولا عقلتنا عن مواضع الصناعة وجدت تامل ارشدك الله و
انظر هداك الله انت تعلم انه ليس فى البيتين شئ قد سبق فيه انه شاعرًا
ولا تقدم به صانعًا وفى لفظه ومعناه خلل فاول ذلك انه استوقف ثم سكى
لذكر الحبيب ذكراه لا يقتضى بكا الخلى وانما يصح طلب الاسعاد فى مثل هذا على
ان سكى لبكايه ويرق لصديقه فى شده برخايه فاما ان سكى على حبيبٍ صديقه
وعشيق رفيقه فامر محال فان كان المطلوب وقوفه وبكاه ايصاعا شقا صح
الكلام وفسد المعنى من وجهٍ اخر لانه من السخف لا يغار على حبيبه وان يدعو غيره
الى المنازل عليه والتواجد معه فيه ثم فى البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع
وتسميه هذه لما امكن من الدخول وحومل وتوضح والمقراه وسقط اللوى وقد

كان

كان يكفيه ان يذكر فى التعريف بعض هذا وهذا التطويل اذا لم يفد كان ضربًا
من العى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر له اصمعى من محاسنه انه باقٍ فيخن تحزن على
مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بان يكون من مساويه اولى لانه ان كان
صادق الود فلا يزيده عفا الرسوم الا جده عهدٍ وشده وجدٍ وانما قرع لذا اصمعى
لما افادته هذه الفايده خشيه ان يعاب عليه فيقال اى فايده لان يعرفنا انه
لم يعف رسم منازل حبيبه واى معنًى لهذا الحشو فذكر ما يمكن ان يذكر ولكن لم
يخاصه بانتصاره من الخلل ثم فى هذه الكلمه خلل اخر لانه عقب البيت بان قال
فهل عند رسمٍ دارسٍ من معول فذكر ابو عبيده انه رجع فاكذب نفسه

كما قال زهير رضى الله عنه قف بالديار التى لم يعفها القدم

نعم وغيرها الارواح والديم وقال غيره اراد بالبيت الاول انه لم يتطمس اثره
كله ⊙ وبالثانى انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلام وليس فى هذا انتصا
لان معنى عقار درس واحدٍ فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض
لا محاله واعتذار ابى عبيده اقرب لو صح ⊙ ولكن لم يرد هذا القول مورد استدراك
على ما قاله زهير فهو الى الخلل اقرب وقوله لما نسجتها كان سغى ان يقول لما
نسجها ولكنه وتعسف فجعل ما فى تاويل تانيثٍ لانها فى معنى الريح ولذا اولى
المذكير دون التانيث وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم
يعف رسمها كان لذا اولى ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد
ذلك الى هذه البقاع ولذا ما كن التى المنزل واقع بينهما فذلك خلل لانه انما
يريد صفه المنزل الذى نزله حبيبه بعفايه او بانه لم يعف دون ما جاوره
وان اراد بالمنزل الدار حتى اتت فذلك ايضًا خلل ولو سلم من هذا كله ومما انكره
ذكره كراهيته التطويل لم نشك فى ان شعراء اهل زماننا لا يقصر عن التسعين
بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال

وقوفًا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك اسًا وتجمل

وان شفاى عبرةٌ مهراقه فهل عند رسمٍ دارسٍ من معول

وليس فى البيتين ايضًا معنًى بديعٌ ولا لفظ حسن كالاولين والبيت الاول
منهما متعلق بقوله قفا نبك فكانه قال قفا وقوف صحبى بها على مطيهم او قفا
حال وقوف صحبى وقوله بها متاخر فى المعنى وان تقدم فى اللفظ ففى ذلك تكلف
وخروج عن اعتدال الكلام ⊙ والبيت الثانى مختل من جهه انه قد جعل الدمع
فى اعتقاده نافيًا كافيًا فما حاجته بعد ذلك الى طلب حيلةٍ اخرى ومحلٍ ومعولٍ

وما الطف قول ابى عثمان مكلتا على
حد المنزل محدود اربعه كانه
اراد ان يبيعه ⊙

عند الرسوم ولو اراد ان يحسن الكلام لوجب ان يدل على ان الدمع لا يشفيه لشدة
ما به من الحزن ثم يسايل هل عند الربع من خيله اخرى **وقوله**

كدابك من ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بماسل

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل

انت لا تشك في ان البيت لو اول قليل الفايده ليس له مع ذلك نهجه فقد يكون الكلام
مصنوع اللفظ وان كان مترو ع المعنى ۞ واما البيت الثاني فوجه التكلف فيه
قوله اذا قامتا تضوع المسك منهما ولو اراد ان يجود افاد ان بها طيباً على كل
حال فاما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل اخر لانه بعد ان شبه عرفها
بالمسك شبه ذلك بنسيم القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله
نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الاول لم يصله به وصل مثله **وقوله**

ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي

الا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوماً بدارة جلجل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانته بقوله مني استعانة ضعيفة عند
المتأخرين في الصنعه وهو حشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر حشو اخر لان
قوله بل دمعي محملي يغني عنه ويدل عليه وليس بحشو حسن ثم قوله حتى بل دمعي
محملي اعاده ذكره الدمع حشو اخر وكان يكفيه ان يقول حتى بلت محملي فاحتاج لاقامه
الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد افرط في افاضه الدمع حتى بل محمله تفريط منه
وتقصير ولو كان ابدع لكان يقول حتى بل دمعي معنانيهم وعراصهم ويشبه ان
يكون غرضه اقامه الوزن والقافيه ان الدمع بيعد ان يبل المحمل وانما يقطر من
الواقف والقاعد على الارض او على الذيل وان بلله فلقلته وانه لا يقطر وانت تجد
في شعر الخبز رزي ما هو احسن من هذا البيت وامتن واعجب منه ۞ والبيت الثاني
خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وليس له لفظ يروق ولا معنى يروع من
طباع السوقه فلا يرعك تهويله باسم موضع غريب **وقال**

ويوم عقرت للغذاري مطيتي فيا عجباً من رحلها المتحمل

فظل الغذاري مرتمين يلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

تقديره اذكر يوم عقرت مطيتي او يرده على قوله يوم بداره جلجل وليس في المصراع
الاول من هذا البيت الا سلامته قال بعض الادباء قوله يا عجباً يعجبهم من سفهه
في شبابه من نخوه ناقته لهم وانما اراد الا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعاً
عن الاول واراد ان يكون الكلام ملايماً له وهذا الذي ذكره بعيد وهو منقطع

عن الاول

عن الاول وظاهره انه يتعجب من تحمل الغداري رحله وليس في هذا تعجب كبير
ولا في نخر الناقه لهن تعجب وان كان يعني به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته
فعبر عن نفسه برحله فهذا قليلا يشبه ان يكون عجباً لكن الكلام لا يدل عليه
ويتجافا عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شئ غريب ولا معنى بديع اكثر
من سلامته مع قله معناه وتقارب امره ومشاكلته طبع المتاخرين من اهل زماننا
والى هذا الموضع لم يمر له بيت رايع وكلام رايق ۞ واما البيت الثاني فيعدونه
حسناً ويعدون التشبيه مليحاً واقعاً وفيه شئ وذلك انه عرف اللحم ونكر
الشحم فلا يعلم انه وصف شحمها وذكر تشبيه احدهما بشئ واقع وعجز عن تشبيه
القسمه الاولى فمرت من سله وهذا نقص في الصنعه وعجز عن اعطاء الكلام حقه
وفيه شئ اخر من جهه المعنى وهو انه وصف طعام الذي اطعم من اضاف بالجوده
وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تفتخر بذلك ولا يرونه عيباً وانما الفرس
هم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً ۞ واما تشبيه الشحم بالدمقس فشئ يقع
للعامه ويجري على السنتهم فليس بشئ قد سبق اليه وانما اراد المفتل للقافيه
وهذا مفيد مع ذلك فلست اعلم والعامه تذكر هذه الزياده ولم يعد اهل الصنعه
ذلك من البديع وراوه قريباً وفيه شئ اخر وهو ان يحكه بما اطعم لا اجاب مذموم
وان سوغ التشبيه بما اطعم لا اضياف الا ان يورد الكلام مورد المجون وعلى
طريق ابي نواس في المزاح والمداعبه **وقوله**

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

قوله دخلت الخدر خدر عنيزة ذكر تكريره لاقامه الوزن لا فايده فيه غيره ولا
ملاحة له ولا رونق ۞ وقوله في المصراع الاخير من هذا البيت وقالت لك الويلات
انك مرجلي كلام مؤنث من كلام النساء نقله على جهته الى شعره وليس فيه
غير هذا وتكريره بعد ذلك تقول وقد مال الغبيط يعني قتب الهودج بعد قوله فقالت
لك الويلات انك مرجلي لا فايده فيه غير تقدير الوزن والا فحكايه قولها الاول كاف
وهو في النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف ۞
وفي مصراع الثاني ايضاً تانيث من كلامهن ۞ وذكر ابو عبيده انه قال عقرت
بعيري ولم يقل ناقتي لانهم يحملون النساء على ذكور الابل لانها اقوى وفيه نظر
لان الظاهر ان البعير اسم للذكر والانثى واحتاج الى ذكر البعير لاقامه
الموزون الوزن **وقوله**

فقلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعدينى من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا فالهيتها عن ذى تمائم مغيل

البيت الاول قريب النسج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كانه من عبارات المخطين
فى الصنعه وقوله فمثلك حبلى قد طرقت عابه عليه اهل العربيه ومعناه عندهم حتى
يستقيم الكلام فرب مثلك حبلى قد طرقت وتقديره انه زير نساء وانه يفسد
هن ويلهيهن عن حبلهن ورضاعهن لان الحبلى والمرضعه ابعد من الغزل وطلب
الرجال ٥ والبيت الثانى فى الاعتذار والاشتهار والتهيام وغير منتظم مع
المعنى الذى قدمه فى البيت الاول لان تقديره لا تبعدينى عن نفسك فانى اغلب
النساء واخدعهن عن رايهن وافسدهن بالتغازل وكونه مفسده لهن لا يوجب
له وصلهن وترك ابعادهن اياه بل يوجب هجره والاستخفاف به لسخفه ودخوله
كل مدخل فاحش وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف
الكريم من مثله ويانف من ذكره وقوله

اذا ما بكا من خلفها انصرفت له بشق وتحتى شقها لم يحول
ويوما على ظهر الكثيب تعذرت على والت حلفة لم تحلل

فالبيت الاول غايه فى الفحش ونهايه فى السخف واى فايده لذكره لعشيقته كيف
كان يركب هذه القباح يذهب هذه المذاهب ويرد هذه الموارد ان هذا ليبغضه
الى كل من سمع كلامه ويوجب له المقت وهو لو صدق لكان قبيحا فكيف ويجوز
ان يكون كاذبا ثم ليس فى البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل
بالبيت الذى قبله من ذكر المرضع التى لها ولد محول فاما البيت الثانى وهو قوله ويوما
يتعجب منه وانما تشددت وتعسرت عليه وحلفت عليه فهو كلام ردى النسج
لا فايده لذكرنا ان جيبته تمنعت عليه يوما بموضع يسميه ويصفه وانت
تجد فى شعر المحدثين من هذا الجنس فى التغزل ما يذوب معه اللب وتطرب عليه
النفس وهذا مما تستنكره النفس ويشمئز منه القلب وليس فيه شئ من لا
حسان والحسن وقوله

فاظم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت صرمى فاجملى
اغرك منى ان حبك قاتلى وانك مهما تامرى القلب يفعل

فالبيت الاول فيه ركاكه جدا وتانيث ورقه ولكن فيها تخنيث ولعل قايلا ان
يقول كلام النساء بما يليق بهن من الطبع اوقع واغزل وليس كذلك لانك تجد
الشعراء المؤنث لم يعدلوا عن رصانه قولهم والمصراع الثانى منقطع عن الاول

لا يلايمه

لا يلايمه ولا يوافقه وهذا يبين لك اذا عرضت معه البيت الذى تقدمه و
كيف ينكر تدللها والمتغزل ليطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثانى
قد عيب عليه لانه قد اخبر انه من سبيلها الا تغتر بما يدلها من انجبها يقتله
وانما تملك قلبه فما امرته فعله والحب اذا اخبر عن مثل هذا صدق وان كان
المعنى غير هذا الذى عيب عليه وانما ذهب مذهبا اخر وهو انه اراد ان يظهر
التجلد فهذا خلاف ما اظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء
على الاحبه فقد دخل فى وجه اخر من المناقضه والاحاله فى الكلام ثم قوله
تامرى القلب يفعل تامرينى والقلب لا يؤمر والاستعاره فى ذلك غير
واقعه ولا حسنه وقوله

فان كنت قد ساءتك منى خليقه فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
وما ادرفت عيناك الا لتضربى بسهميك فى اعشار قلب مقتل

البيت الاول قد قيل فى تاويله انه ذكر الثوب واراد البدن مثل قول الله تعالى
وثيابك فطهر وقال ابو عبيده هذا مثل للهجر وتنسل تبين وهو بيت ركيك
المعنى ركيكه وصنيعه وكل ما اضاف الى نفسه ووصف به نفسه سقوط و
سفه وسخف ويوجب قطعه فلم يحكم على نفسه بذلك ولكن نورده موردا ان
ليست له خليقه توجب هجرانه والتقصى من وصله وانه مهذب الاخلاق شريف
الشمايل فذلك يوجب الا ينفك من وصاله ٥ والاستعارة فى المصراع الثانى
فيها تواضع وتقارب وان كانت غريبه واما البيت الثانى فمعدوده من محاسن
القصيده وبدايعها ومعناه ما يكتب الا لتجرحى قلبا معشرا اى مكسرا من قولهم
برمه اعشار اذا كانت قطعا هذا تاويل ذكره الاصمعى رضى الله عنه وهو اشبه
عند اكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التى تقسم الجزور عليها ويعنى بسهميه
المعلى وله سبعه انصباء والرقيب وله ثلثه انصباء فاراد انك ذهبت بقلبى اجمع
ويعنى بقوله مقتل مذلل وانت تعلم انه على ما يعنى به فهو غير موافق للابيات
المتقدمه لما فيها من التناقض الذى بينا ويشبه ان يكون من قال بالتاويل الثانى
قرع اليه لانه راى اللفظ مستكرها على المعنى الاول لان القايل اذا قال ضرب
فلان بسهمه فى الهدف بمعنى اصابه كان كلاما ساقطا مردولا وهو يرى ان
معنى الكلمه ان عينيها كالسهمين الناقذين فى اصابه قلبه المجروح فلما بكتا و
ذرفتا بالدموع كانتا ضاربتين فى قلبه ولكن من حمل على التاويل الثانى سلم من
الخلل الواقع فى اللفظ ولكنه اذا حمل على الثانى فسد المعنى واختل لانه ان كان

محبًّا جاعلى ما وصف به نفسه من الصبابة فقلبه كله لها فكيف يكون بكاؤها
وهو الذى يخلص قلبه لها واعلم بعد هذا ان البيت غير ملايم للبيت الاوّل ولا متصل
به فى المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب
ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيتٌ من عشرين بيتًا
وكان بديعًا ولا عيب فيه فليس بعجيب لانه لا يدّعى على مثله ان كلامه كلّه
متناقض ونظمه كله متباين وانّما نكفى ان نبيّن انّ ما سبق من كلامه الى هذا
البيت ممّا لا يمكن ان يقال انّه يتقدّم فيه احدًا من المتاخرين فضلًا عن المتقدّمين
وانّما قدّم فى شعره لابياتٍ قد برع فيها وبان حذقه بها وانّما انكرنا ان يكون شعره
متناسبًا فى الجودة ومتشابهًا فى صحّة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرّف بين
وحشى غريبٍ مستنكرٍ وعربيّةٍ كالمهل مستكرهةٍ وبين كلامٍ سليمٍ متوسّطٍ وبين
عامّى سوقىّ فى اللفظ والمعنى وبين حكمةٍ حسنةٍ وبين سخفٍ مستشنعٍ ولهذا
قال الله عزّ اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا فامّا قوله

وبيضة خدرٍ لا يرام خباؤها تمتّعت من لهوٍ بها غير معجل

تجاوزت احراسًا واهوال معشرٍ على حراص لو يسرّون مقتلى

فقد قالوا عنى بذلك انّها كبيضة خدرٍ فى صفايها ورقّتها وهذه كلمة حسنة ولكن
لم يسبق اليها بل هى دايرة فى افواه العرب وتشبيه سايرٍ ويعنى بقوله غير معجل
انّه ليس ذلك ممّا يتفق قليلًا واحيانًا بل يتكرّر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره
على انّه رابط الجاش فلا يستعجل اذا دخلها خوف حصانتها ومنعتها وليس فى
البيت كبير فايدةٍ لانّ الذى حكى فى ساير ابياته فلا تضمّن مطاولته فى المغازله و
اشتغاله بها فتكريره فى هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى الّا الزياده التى ذكر من منعتها
وهو مع ذلك بيت سليم اللفظ فى المصراع الاوّل دون الثانى والبيت الثانى ضعيف
وقوله لو يسرون مقتلى اراد ان يقول لو اسروا فاذا نقله الى هذا ضعف ووقع فى
مضمار الضروره والاختلال على نظمه بين حتّى انّ المحترز يحترز من مثله

وقوله اذا ما الثريّا فى السّماء تعرّضت تعرّض اثناء الوشاح المفصّل

قد انكر عليه قوم قوله اذا ما الثريّا فى السّماء تعرّضت وقالوا الثريّا لا تعرّض حتّى
قال بعضهم سمّى الثريّا وانّما اراد الجوزاء لانّها تعرّض والعرب تفعل ذلك
كما قال زهيرٍ كاحمرٍ عادٍ وانّما هو احمر ثمود وقال
بعضهم فى تصحيح قوله تعرّض اوّل ما تطلع كما انّ الوشاح اذا طرح يلقاك
بعرضه وهو نا وحيث وهذا كقول الشاعر

تعرّضت

تعرّضت لى بمجازٍ نخل . تعرّض المهره فى الطّول

يقول تريك عرضها وهى فى الرسن وقال ابو عمرٍو يعنى اذا اخذت الثريا فى وسط
السّماء كما يأخذ الوشاح وسط المراه والاشبه عندنا انّ البيت غير معيبٍ من حيث
عابوه به وانّه من محاسن هذه القصيدة ولولا ابيات عدّه فيه لقابله ما شيت من
شعر غيره ولكن لم يات فيه بما يفوت الشأو ويستولى على الامد انت تعلم انّه ليس
المتقدّمين ولا للمتاخرين فى وصف شى من النجوم مثل ما فى وصف الثريا وكلّ قد
ابدع فيه واحسن فامّا ان يكون قد عارضه او زاد عليه فمن ذلك

قول ذى الرمّه وردت اعتشافًا والثريّا كانّها على قمّة الراس
ابن ماءٍ محلّق ومن ذلك ابن المعتز وترى الثريّا فى السّماء كانّها
بيضات ادحىّ يلحن بفدفد وكقوله
كانّ الثريّا فى اواخر ليلها تفتح نورًا او لجام مفضّض وقوله ايضًا
فنا ولينها والثريّا كانّها جنى نحلٍ حيّا الندامى به الساقى وقول الاشهب
ابن رميله ولاحت لسارٍيها الثريّا كانّها الذى لاقوا الغرنّى قرط
مسلسل ولابن المعتز وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه
كذات قرطٍ اراد ته وقد سقطا اخذه من ابن الرومى فى قوله
طيب ريقه اذا ذقت فاه والثريّا بجانب الغرب قرط ولابن المعتز
قد سقانى المدام والصّبح بالليل مؤتزرٌ
والثريّا كنور غصنٍ على الارض قد نثر
وقوله وتروم الثريّا فى السّماء مرامًا كانكباب طيرٍ كاد
يلقى لجاما ولابن الطثريه
اذا ما الثريّا فى السّماء كانّه جمان وهى من سلكه فتبدّدا
ولو نسخت لك كلّ ما قالوا من البديع فى وصف الثريّا لطال عليك الكتاب وخرج
عن الغرض وانّما نريد ان نبيّن لك انّ الابداع فى نحو هذا امرٌ قريبٌ وليس فيه شى
غريب وفى جملة ما نقلناه ما يزيد على تشبيهه فى الحسن او يساويه او يقارب به
فقد علمت انّما خلق فيه وقدر المتعصّب له انّه بلغ النهايه فيه امرٌ مشترك
وشريعه موروده وبابٌ واسعٌ وطريقٌ مسلوك واذا كان هذا بيت القصيده
ودرّة القاده وواسطه العقد وهذا محلّه فكيف بما تعدّاه ثم فيه ضرب من
التكلّف لانّه قال اذا ما الثريّا فى السّماء تعرّضت تعرّض اثناء الوشاح فقوله
تعرّضت من الكلام الذى يستغنى عنه لانّه يسيبه اثناء الوشاح سوا كان فى

وسط السّماء وعند الطلوع والمغيب والتّهويل بالتعرض والتطويل بهذه الالفاظ
لامعنى له وفيه ان الثّريا كقطعةٍ من الوشاح المفصّل فلا معنى لقوله تعرّض
اثناء الوشاح وانّما اراد ان يقول تعرّض قطعةٍ من اثناء الوشاح فلم يستقم
له اللفظ حتّى شبّه ماهو كالشّى الواحد الجمع **وقوله**

فجيت وقد نضت لنوم ثيابها الذى السّتر الا لبسة المتفضّل

فقالت يمين الله مالك حيلةٌ وما ان ارى عنك العمايه تنجلى

انظر الى البيت الاوّل والابيات الّتى قبله كيف خلط فى النّظم وفرط فى التاليف
فذكر التمتّع بها وذكر الوقت والحال والحراس ثمّ يذكر كيف كان صفتها لما دخل
عليها ووصل اليها منزعها ثيابها الا ثوبًا واحدًا والمتفضّل الّذى فى ثوبٍ
واحدٍ وهو الفضل فما كان من سبيله ان يقدمه انّما ذكره موخّرًا وقوله لذى
السّتر حشو وليس بحسنٍ ولا بديعٍ وليس فى البيت حسنٌ ولا شئ يفضل لاجله
٥ واما البيت الثانى ففيه تعلّق واختلال ذكر الاصمعىّ انّ معنى قوله مالك
حيلةٌ اى ليس لك جهه بنجى [illegible] والناس احوالى والكلام فى المصراع الثانى
منقطع عن الاوّل ونظمه اليه فيه ضرب من التفاوت **وقوله**

فقمت بها امشى بجرورانا على اثرنا اذيال مرطٍ مرجّل

فلمّا اجزنا ساحة الحىّ وانتحى بنا بطن خبتٍ ذى قفافٍ عقنقل

البيت الاوّل من مساعدتها اياه حتّى قامت معه ليخلوا وانّما كانت تجرّ على
الاثر اذيال مرطٍ مرجّل والمرجّل ضرب من البرود يقال للوشيه الترجيل وفيه
تكلّف لانه قال وورانا على اثرنا ولم قال على اثرنا كان كافيًا والذيل انّما يجرّ وراء
الماشى فلا فايده لذكره ورانا وتقدير القول فقمت امشى بها وهذا ايضًا
ضربٌ من التكلّف وقوله اذيال مرطٍ كان من سبيله ان يقول ذيل مرطٍ على انّه
لو سلم من ذلك كان قريبًا ليس ممّا يفوت بمثله غيره ولا يتقدّم به سواه وقول
ابن المعتزّ احسن منه

فبتّ افرش خدّى فى الطريق له ذلًّا واسحب اكمامى على الاثر

واما البيت الثانى فقوله اجزنا بمعنى قطعنا والخبت بطنٌ من الارض والحقف رملٌ
منعرج والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه فى بعض وهذا بيتٌ متقارب
مع الابيات المتقدّمه لانّ فيها ماهو سلس قريب يشبه كلام المولدين وكلام
البذله وهذا قد غرب فيه واتى بهاذه اللّفظه الوحشيّه المنعقده وليس فى ذكرها
والتفضيل بالحاقها بكلامها فايدةٌ والكلام الغريب واللّفظه الشديده المبانيه

لنسج الكلام قد تحمد اذا وقعت موقع الحاجه فى وصف ما يلايمها كقوله عزّ وجلّ
فى وصف يوم القيمة يومًا عبوسًا قمطريرًا فاما اذا وقعت فى غير هذا الموقع فهى
مكروهه مذمومه بحسب ما تحمد فى موضعها وروى انّ جريرًا انشد بعض خلفاء
بنى اميّه **قصيدته**

بان الخليط برامتين فودّعوا وكلّما جدّ البين تجزع

كيف العزاء ولم اجد مذ نبتم قلبًا يقرّ ولا شرابٌ ينفع

قال وكان نزحف من حسن هذا الشعر حتّى بلغ **قوله**

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلّا هززت بغيرنا يا بوزع

فقال افسدت شعرك بهذا الاسم **واما قوله**

هصرت بغصنى ذو دوحٍ فتمايلت علىّ هضيم الكشح ريّا المخلخل

مهفهفةٌ بيضاءُ غير مفاضةٍ ترايبها مصقولةٌ كالسّجنجل

فمعنى قوله هصرت جذبت وثنيت وقوله بغصنى ذو دوحٍ تعسّف ولم يكن من سبيله
ان يجعلها اسين والمصراع الثانى اصحّ وليس فيه شئ الا ما يتكرر على السنه النّاس
من هاتين الصفتين وانت تجد ذلك فى وصف كلّ شاعرٍ ولكنّه مع تكرره على
الالسن صالحٌ واما معنى قوله مهفهفه انّها مخفّفه ليست مثقّلةً والمفاضه
الّتى اضطرب طولها والبيت مع مخالفته فى الطبع الابيات المتقدّمه وتروعه
فيه الى الالفاظ المستكرهه وما فيه من الخلل من تخصيص الترايب بالصّوب بعد
ذكر جميعها بالبياض فليس بطايلٍ ولكنّه قريبٌ متوسط **وقوله**

تصدّ وتبدى عن اسيلٍ وتتّقى بناظرةٍ من وحش وجرة مطفل

وجيدٍ كجيد الرّيم ليس بفاحشٍ اذا هى نضّته ولا بمعطّل

معنى قوله عن اسيلٍ اى باسيلٍ وانّما يريد خدًّا ليس بكزٍ وقوله تتّقى يقال
اتّقاه بحقّه اى جعله بينه وبينه وقوله تصدّ وتبدى عن اسيلٍ متفاوتٌ
لانّ الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصدّ وقوله تتّقى بناظرةٍ لفظه مليحةٌ و
لكن اضافها الى ما نظم به كلامه وهو مخلٌ وهو قوله من وحش وجرة ويجب ان
تكون العباره بخلاف هذا كان من سبيله ان يضيف الى عيون الظبا او الجاذون
اطلاق الوحش ففيهنّ ما تستنكر عيونها وقوله مطفل فستروه على انّها ليست
بصبيّةٍ وانّها قد استحكمت وهذا اعتذارٌ متعسّف وقوله مطفل زياده لا فايده
فيها على هذا التفسير الّذى ذكره الاصمعى ولكن قد يحتمل عندى ان يفيد غير هذه
الفايده فيقال انّها اذا كانت مطفلًا لحظت اطفالها بعين رقّةٍ ففى نظرها هذه رقّةٌ

نظر الموده ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا واما البيت الثانى فمعنى قوله ليس
بفاحش اى ليس بفاحش الطول ومعنى قوله نضنته رفعته ومعنى قوله ليس بفاحش
فى مدح الاعناق كلام واحش موضوع منه ۞ واذا نظرت فى اشعار العرب
رايت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر فكيف وقع على هذه الكلمه ودفع الى
هذه اللفظه وهلا قال كقول ابى نواس رضى الله عنه

مثل الظباء سمت الى روض صوادر عن غدير

لست اطول عليك فتستثقل ولا اكثر القول فى ذمه فتستوحش واكلك الى
جمله من القول فان كنت من اهل الصنعه فطنت واكتفيت وعرفت مارمينا
اليه واستعنيت وان كنت عن الطبقه خارجا وعن الاتقاف بهذا الشان
خاليا فلا يكفيك البيان وان استقرينا جميع شعره وتتبعنا عامه الفاظه
ودللنا على ما فى كل حرف منه ۞ اعلم ان هذه القصيده قد تردد بين ابيات
سوقه مبتذله وابيات متوسطه وابيات ضعيفه مرذوله وابيات وحشيه
عامضه مستكرهه وابيات معدوده بديعه وقد دللنا على المبتذل منها
ولا يشتبه عليك الوحشى المستنكر الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد
اللسان ويعبس معناه فى وجه كل خاطر ويكفهر مطلعه على كل متامل او ناظر
ولا يقع بمثله التمدح والتفاصح وهو مجانب لما وضع له اصل الافهام ومخالف
لما بنى عليه التفاهم بالكلام فيجب ان نسقط عن الغرض المقصود وتلحق باللغز
والاشارات المستبهمه ۞ فاما الذى زعموا انه من البديع هذا الشعر

فهو قوله

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نووم الضحى لم تنتطق عن تفضل

والمصراع الاخير عندهم بديع ومعنى ذلك انها مترفه متنعمه لها من يكفيها ومعنى
قوله لم تنتطق عن تفضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال
ابو عبيدة لم ينطق فتعمل ولكنها تفضل ومما يعدونه من محاسنها ۞

وليل كموج البحر ارخى سدوله على بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وارد فا اعجازا وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل الا انجلى بصبح وما الاصباح فيك باامثل

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغه

كليني لهم يا اميمه ناصب وليل اقاسيه بطى الكواكب
وصدر اراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض وليس الذى يتلوا النجوم بايب

وقد جرى ذلك بين يدى بعض الخلفاء فقدمت ابيات امرى القيس واستحسن
استعارتها وقد جعل الليل صدرا يثقل تخبطه ويبطئ تقضيه وجعل له
اردافا كثيره وجعل له صلبا تميد ويتطاول وراو هذا بخلاف ما يستعيره ابو
تمام من الاستعارات الوحشيه البعيدة المستنكرة وراوا ان الالفاظ جميله
واعلم ان هذا صالح جميل وليس من الباب الذى يقال انه مننناه عجيب وفيه المام
بالتكلف ودخل فى التعمل وقد خرجوا له فى البديع من القصيده قوله

قد اغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله ايضا

له ايطلا ظبى وساقا نعامه وارخاء سرحان وتقريب تتفل

فاما قوله قيد الاوابد فهو مليح ومثله فى كلام الشعراء واهل الفصاحه كثير و
التعمل بمثله ممكن واهل زماننا الان يصنفون نحو هذا تصنيفا ويولفون المحاسن
تاليفا ثم يوشحون به كلامهم والذين كانوا من قبل لغرارتهم وتمكنهم لم يكونوا
يتصنعون لذلك انما كان تفوق لهم اتفاقا ويطرد فى كلامهم اطرادا ۞
واما قوله فى وصفه مكر مفر فقد جمع فيه طباقا وتشبيها وفى سرعة جرى الفرس
للشعراء ما هو احسن من هذا واللطف وكذلك فى جمعه بين اربعه وجوه من التشبيه
فى بيت واحد صنعه ولكن قد عورض فيه وزوحم والتوصل اليه يسير وتطلبه
سهل قريب ۞ وقد بينا لك ان هذه القصيده ونظايرها تتفاوت فى ابياتها
تفاوتا بينا فى الجوده والرداه والتلاسه والانعقاد والسلامه والانحلال
والتمكن والتسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء فى نظايرها
ومنازعون فى محاسنها ومعارضون فى بدايعها ولا سواكلام يبحث من
الصخر تارة ويذوب تارة ويتلون تلون الحرباء وتختلف اختلاف الاهواء ويكثر فى
تصرفه اضطرابه وتتقاذف به اسبابه وبين قول يجرى فى سبكه على نظام وفى
رصفه على منهاج وفى وضعه على حد وفى صفايه على باب وفى بهجته ورونقه على
طريق مختلفه موتلف وموتلفه متحد ومتباعده متقارب وشارده مطيع و
ومطيعه شارد وهو على متصرفاته واحد لا يستصعب فى حال ولا يتعقد فى
شان وكنا اردنا ان نتصرف فى قصايد مشهوره فنتكلم عليها وتدل على معانيها و
محاسنها ونذكر لك من فضايلها ونقايصها وتبسط لك القول فى هذا الجنس ونفتح

عليك فى هذا النهج ثم راينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل بنقد
الشعر وعياره ووزنه بميزانه ومعياره ولذلك كتب وان لم تكن مستوفاة و
تصانيف وان لم تكن مستقصاة وهذا القدر يكفى فى كتابنا ولم يجب ان تسخ لك
ما سطره الادباء فى خطاء امرئ القيس فى العروض والنحو والمعانى وما عابوه
عليه فى اشعاره وتكلموا فيه على ديوانه لان ذلك ايضا خارج عن غرض كتابنا
ومجانب لمقصوده وانما اردنا ان نبين الجمله التى بيناها لتعرف ان طريقه الشعر
شريعة مورودة ومنزلة مشهورة ياخذ منها اصحابها على مقادير اسبابهم و
يتناول منها ذووها على حسب احوالهم وانت تجد للمتقدم معنى قد طمسه المتاخر
بما ابرز عليه فيه وتجد للمتاخر معنى قد اعقله المتقدم ومعنى قد توافدوا عليه و
توافيا اليه فهما فيه شريكا عنان وكانهما فيه رضيعا لبان والله يوتى فضله من
يشاء ۝ فاما نهج القرآن ونظمه وتاليفه ووصفه فان العقول تيه فى
جهته وتحار فى فكره وتضل دون وصفه ونحن نذكر لك فى تفضيل هذا ما تستدل
به على الغرض وتستولى به على الامد وتصل به الى المقصد وتصور اعجازه كما
تصور الشمس وتيقن تناهى بلاغته كما تيقن الفجر واقرب عليك الغامض
واسهل لك العسير ۝ واعلم ان هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب
ضعيف الاصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا اهل عصمة تفطن لما فيه وهو
ادق من السحر واهول من البحر واعجب من الشعر وكيف لا يكون كذلك وانت تحسب
ان وضع الصبح فى موضع الفجر يحسن فى كل كلام الا ان يكون شعرا او سجعا وليس
كذلك فان احدى اللفظتين قد تنفرد فى موضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة
الاخرى بل تتمكن فيه وتضرب بجرانها وتراها فى مضانها وتجدها فيه غير
منازعة الى اوطانها وتجد الاخرى لو وضعت موضعها فى محل نفار ورمى شراد
ونابية عن استقرار ولا اكثر عليك المثال ولا اضرب لك فيه الامثال وارجع
بك الى ما وعدتك به من الدلالة وضمنت لك من تقريب المقالة فان كنت لا تعرف
الفصل الذى بيناه بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ومتصرفات مجارى
النظام لم تستفد مما نقربه عليك شيئا وكان التقليد اولى بك والاتباع اوجب
عليك ولكل شى سبب ولكل علم طريق ولا سبيل الى الوصول الى الشى من غير طريقه
ولا بلوغ غايته من غير سبيله ۝ خذ الآن هداك الله فى
تفريغ الفكر وتخليه البال وانظر فيما نعرض ونهديه اليك متوكلا
على الله ومعتصما به ومستعيذا به من الشيطان الرجيم حتى تقف على اعجاز القرآن

سماه الله عز ذكره حكيما وعظيما ومجيدا وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
وقال ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله
الامر جميعا وقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا
ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ۝ واخبرنا احمد ابن محمد ابن الحسين
القزوينى حدثنا ابو عبد الرحمن احمد ابن عثمان حدثنا ابو يوسف الصيدلانى حدثنا
محمد ابن سلمه عن ابى سنان عن عمرو بن مرة عن ابى البخترى الطائى عن الحرث الاعور
عن على رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله ان امتك ستفتتن من بعدك فسال
اوسيل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذى لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغى العلم فى غيره اضله الله ومن
ولى هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين و
الصراط المستقيم فيه خبر من قبلكم وتبيان من بعدكم وهو فصل ليس بالهزل
وهو الذى سمعته الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عربيا يهدى الى الرشد فامنا به
لا يخلق على طول الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجايبه ۝ واخبرنى احمد ابن
على ابن الحسن اخبرنا انبى اخبرنا بشر ابن عبد الوهاب اخبرنا هشام ابن
عبيد الله حدثنا المسيب ابن شريك عن عبيده عن سامه ابن ابى عطا قال
ارسل النبى صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فى ليله فذكر نحو ذلك فى
المعنى وفى بعض الفاظه اختلاف ۝ واخبرنا احمد ابن على ابن الحسن اخبرنا
ابى قال اخبرنا بشر ابن عبد الوهاب اخبرنا هشام ابن عبيد الله حدثنا
المسيب ابن شريك عن بشر ابن نمير عن القاسم عن ابى امامه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا ثلث القرآن اعطى بلث النبوه ومن قرا نصف القرآن
اعطى نصف النبوه ومن قرا القرآن كله اعطى النبوه كلها غير انه لا يوحى اليه
وذكر الحديث ولو لم يكن من عظم شانه الا انه طبق الارض انواره وجلل الافاق
ضياوه ونفذ فى العالم حكمه وقبل فى الدنيا رسمه وطمس ظلام الكفر بعد ان كان
مضروب الرواق ممدود الاطناب مبسوط الباع مرفوع العماد ليس على الارض
من يعرف الله حق معرفته او يعبده حق عبادته او يدين بعظمته او يعلم علو جلالته
او يتفكر فى حكمته فكان كما وصفه الله تعالى ذكره من انه نور فقال وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا

نهدى به من نشآء من عبادنا وانك لتهدى الى صراطٍ مستقيمٍ فانظر ان شيت
الى شريف هذا النظم وبديع هذا التاليف وعظيم هذا الرصف كل كلمٍ من
هذه الايه تامّهٌ وكل لفظٍ بديعٍ واقعٍ ۞ قوله وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا يدل على صدوره من الربوبيّه وسن عن وروده عن الالهيّه وهذه
الكلمه بمفردها واخواتها كل واحدهٍ منها لو وقعت بين كلامٍ كثيرٍ تميّز عن
جميعه وكان واسطه عقده وفاتحه عقده وغرّه شهره وعين دهره وكذلك
قوله ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشآء من عبادنا فجعله روحا لانّه يحيى
الخلق فله وفضل الارواح فى الاجساد وجعله نورا لانّه يضى ضيآء الشمس فى
الافاق ثم اضاف وقوع الهدايه به الى مشيته ووقف وقوف الاسترشاد به
على ارادته وبيّن انّه لم يكن ليهتدى اليه لولا توفيقه ولم يكن ليعلم ما فى الكتاب
ولا الايمان لولا تعليمه وانّه لم يكن ليهتدى فكيف كان يهدى لولاه فقد صار
من قبل ذلك ليهتدى فقال وانك ليهتدى الى صراطٍ مستقيمٍ
صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الى الله تصير الامور فانظر الا
الى هذه الكلمات الثلاث فالكلمتان الاوليان موتلفتان وقوله الا الى الله تصير
الامور كلمه منفصله مباينه للاولى قد صيرهما شريف النظم اشدّ ايتلافا
من الكلام الموالف والطف انتظاما من الحديث الملايم وبهذا سين فضل
الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته الامر اظهر والحمد لله والحال ايين من ان
يحتاج الى كشفٍ ۞ تامّل قوله فالق الاصباح وجاعل اللّيل سكنا والشمس
والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم انظر الى هذه الكلمات الاربع التى
الف بينها واحتجّ بها على ظهور قدرته ونفاذ امره اليس كلّ كلمٍ منها فى نفسها
غرّه وبمفردها درّه وهو مع ذلك يبيّن انّه يصدر عن علوّ الامر ونفاذ القهر
ويتجلى فى بهجه القدره ويتجلى بخالصه الغرّه ويجمع التلاسه الى الرصانه و
التلاسه الى المتانه والرونق الصافى والبهآء الصافى ولست اقول انّه شمل الاطباق
المليح والايجاز اللّطيف والتعديل والتمثيل والتقريب والتشكيل وان كان قد جمع
ذلك واكثر منه لانّ العجيب ما بيّنا من انفراد كلّ كلمٍ بنفسها حتّى تصلح ان تكون عين
رساله او خطبهٍ او وجهٍ قصيدهٍ او فقره فاذا الّفت ازدادت حسنا وزادتك
اذا تاملت معرفهً وايمانا ۞ ثمّ تامّل قوله وآيهٌ لهم اللّيل
نسلخ منه النّهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقرٍّ لها تقدير العزيز العليم
والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم هل تجد كلّ لفظهٍ وهل تعلم كلّ

كلمٍ

كلمٍ تستقلّ بالاشمال على نهايه البديع وتتضمّن شرط القول البليغ فاذا كانت
الايه تنتظم من البديع وتتالف من البلاغات فكيف لا تفوت حدّ المعهود ولا
يجوز شا والمالوف وكيف لا يجوز قصب السبق ولا تعالى عن كلام الخلق ۞
ثم اقصد الى سورهٍ تامّه فتصرّف فى معرفه قصصها وراع ما فيها من براهينها
وقصصها تامّل السوره التى يذكر فيها التمل وانظر فى كلمٍ كلمٍ وفصلٍ فصلٍ بدا
بذكر السوره الى ان بيّن انّ القرآن من عنده فقال وانك لتلقّى القرآن من لدن حكيمٍ
عليمٍ ثمّ وصل بذلك قصّه موسى عليه السلم وانّه راى نارا فقال لاهله امكثوا
انّى انست نارا لعلّى ايتيكم منها بخبرٍ او ايتيكم بشهابٍ قبسٍ لعلّكم تصطلون وقال فى
سوره طه فى هذه القصّه لعلّى ايتيكم منها بقبسٍ او اجد على النار هدى وفى موضعٍ
لعلّى ايتيكم منها بخبرٍ او جذوه من النار لعلّكم تصطلون فتصرّف فى وجوه وانى
بذكر القصّه على ضروبٍ لعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ولهذا قال فليا توا بحديثٍ
مثله ليكون ابلغ فى تعجيزهم واظهر للحجه عليهم وكلّ كلمٍ من هذه الكلمات وان
ابانت عن قصّهٍ وهى بليغه بنفسها تامّه فى معناها ثمّ قال فلمّا جاها نودى ان
بورك من فى النّار ومن حولها وسبحان الله ربّ العالمين فانظر الى ما اجرى له الكلام
من علوّ امر هذا النداء وعظم شان هذا الثنآء وكيف انتظم مع الكلام الاوّل و
كيف اتّصل بتلك المقدّمه وكيف وصل بها ما بعدها من الاخبار عن الربوبيّه
وما دلّ به عليها من قلب العصا حيّه وجعلها دليلا يدلّ عليه ومعجزهً تهدى به
اليه ۞ وانظر الى الكلمات المفرده القايمه بانفسها
فى الحسنى وفيما تتضمّنه من المعانى الشريفه ثمّ ما شفع به هذه الايه وقرن به
هذه الدلاله من اليد البيضآء عن نور البرهان من غير سوءٍ ثمّ انظر فى ايرادٍ ايه
وكلّ كلمٍ هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف فكلّ كلمٍ
لو افردت كانت فى الجمال غايهً فى الدلاله ايهً فكيف اذا قارنتها اخواتها وضامتها
ذواتها تجرى فى الحسن مجراها وتاخذ فى معناها ثمّ من قصّهٍ الى قصّهٍ ومن
باب الى بابٍ من غير خللٍ يقع فى نظم الفصل الى الفصل وحتّى يصوّر لك الفصل
وصلا بديع التاليف وبليغ التنزيل وان اردت ان تتبيّن ما قلناه فصل
تبيّن وتحقّق بما ادّعيناه زيادهً تحقّق فان كنت من اهل الصنعه فاعمد الى
قصّهٍ من هذه القصص وحديث من هذه الاحاديث فعبّر عنه بعبارهٍ من
جهتك واخبر عنه بالفاظٍ من عندك حتّى ترى فيما جيت به النقض الظاهر
وتتبيّن فى نظم القرآن الدليل الباهر ولذلك اعاد قصّه موسى عليه السّلم

فى سوره على طرق شتى وفواصل مختلفه مع اتفاق المعنى فلعلك ترجع الى عقلك
وسبر ما عندك ان غلطت فى امرك او ذهبت فى مذاهب وهمك او سلطت على
نفسك وجه ظنك متى تهتا البليغ ان يتصرف فى قدر ايه فى اشياء مختلفه
فيجعلها موتلفه من غير ان سين على كلامه اعباء الخروج والتنقل ويظهر على
خطابه اثار التكلف والتعمل واحسبانه يسلم من هذا ومحال ان يسلم منه متى
يظفر بمثل تلك الكلمات الافراد والالفاظ الاعلام حتى تجمع بينها فيجلوا فيها
فقره من كلامه وقطعه من قوله ولو اتفق له فى احرف معدوده واسطر قليله
فمتى يتفق له فى قدر ما تقول انه من القرآن معجز هيهات هيهات ان الصبح يطمس
النجوم وان كانت ظاهره والبحر يغمر الانهار وان كانت زاخره ۞ متى تهتيا
للادمى ان يقول فى وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسميه
هذه الكلمه الشريفه العاليه الا تعلوا على واتونى مسلمين والخلوص من ذلك الى
ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشوره ومن تعظيمها امر المستشار
ومن تعظيمهم امرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعه والكلمات العجيبه البليغه
ثم كلامها بعد ذلك الا تعلم تمكن قولها ايها الملأ افتونى فى امرى ما كنت قاطعه
امرا حتى تشهدون وذكر قولهم قالوا نحن اولوا قوه واولوا بأس شديد والامر
اليك فانظرى ماذا تأمرين لا تجد فى صفتهم انفسهم ابرع مما وصفهم به وقولهم
الامر اليك تعلم براعه بنفسه وعجيب معناه وموضع اتفاقه فى هذا الكلام و
تمكن الفاصله وملائمته لما قبله وذلك قوله فانظرى ماذا تأمرين ثم الى هذا الاختصار
والى البيان مع الايجاز فان الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التخفيف منه
والايجاز وهذا مما يزيده الاختصار بسطا لتمكنه ووقوعه موقعه ويتضمن
الايجاز منه تصرفا يتجاوز محله وموضعه وكم جيت الى كلام مبسوط يضيق عن
الافهام ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام ثم لوقع على الافهام
فما يجب فيه من شروط الاحكام او معانى القصه وما تقتضى
من الاعظام ثم لوظفرت بذلك كله رايته ناقصا فى وجه الحكمه او مدخولا فى باب
السياسه او مضعوفا فى طريق السياده او مشترك العبارات ان كان مستجود
المعنى او جيد البلاغه مستجلب المعنى او مستجلب البلاغه جيد المعنى او مستنكر
اللفظ وحشى العباره ومستبهم الجانب مستنكر الوضع وانت لا تجد فى جميع ما
تلونا عليك الا ما اذا بسط افاد واذا اختصر كمل فى بابه وجاد واذا سرح الحكيم فى
جوابه طرف خاطره وبعث العليم فى اطرافه عيون مباحثه لم يقع الا على محاسن

تتوالى وبدايع تترى ثم فكر بعد ذلك فى ايه ايه او كلمه كلمه فى قوله ان الملوك اذا دخلوا
قريه افسدوها وجعلوا اعزه اهلها اذله وكذلك يفعلون هذه الكلمات الثلاث
كل واحده منها كالنجم فى علوه ونوره وكا ينلا لا بين شذوره ثم تامل
تمكن الفاصله وهى كلمه الثالثه وحسن موقعها وعجيب حكمتها وراع معناها
وان شرحت لك ما فى كل ايه طال عليك الامر ولكنى قد بينت بما فسرت وقررت
بما فصلت الوجه الذى سلكت والنحو الذى قصدت والغرض الذى اليه رميت
والسمت الذى اليه دعوت ثم فكر بعد ذلك فى شى اذ لك عليه وهو تعادل هذا
النظم فى الاعجاز فى مواقع الايات القصيره والطويله والمتوسطه فاجل الراى
فى سوره سوره وايه وايه وفاصله فاصله وتدبر الخواتم والفواتح والبوادى
والمقاطع والمواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحويل ثم امض
ما انت قاض وان طال عليك تامل الجميع فاقصر على سوره واحده او على بعض سوره
۞ ما رايك فى قوله ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف
طايفه منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين هذه تشتمل
على ست كلمات سناوها وضيا وها على ما ترى وسلاستها وما وها على ما تشاهد
ورونقها على ما تعاين وفصاحتها على ما تعرف وهى تشتمل على جمله وتفصيل
۞ وتفسير ذكر العلو فى الارض باستضعاف الخلق بذبح الولدان
وسبى النساء واذا تحكم فى هذين الامرين فما ظنك بما دونهما الا ان النفوس لا
تطمئن على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا الجور ثم الفاصله التى اوغلت
فى التاكيد وكفت فى التظليم وردت اخر الكلام على اوله وعطفت عجزه على
صدره ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض
ونجعلهم ايمه ونجعلهم الوارثين وهذا من التاليف بين الموتلف والجمع بين
المستانس كما ان قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخره ولا تنس نصيبك من الدنيا
واحسن كما احسن الله ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين وهى
خمس كلمات متباعده فى المواقع نايبه المطارح قد جعلها النظم البديع اشد
تالفا من الشى الموتلف فى الاصل واحسن توافقا من المتطابق فى اول الوضع ومثل
هذه الايه قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله
وتعالى عما يشركون ۞ ومثلها وكم اهلكنا من قريه بطرت معيشتها فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ۞ ومن
الموتلف قوله فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فيه ينصرونه من دون الله

وما كان من المنتصرين وهذه ثلث كلمات كل كلمة منها اعز من الكبريت الاحمر و
الباب ـــــ الاخر قوله تعالى ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو
شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ۞ كل سورة من هذه السور تتضمن
من القصص ما لو كلفت العباره عنها باضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفيته
ثم تجد فيما تنظم ثقل النظم ونفور الطبع وشراد الكلام وتهافت القول و
تمنع جانبه وقصورك في الايضاح عن واجبه ثم لا تقدر على ان تنتقل من
قصه الى قصه وفصل الى فصل حتى تتبين عليك المواضع الوصل ويستصعب
عليك اماكن الفصل ثم لا يمكنك ان تصل بالقصص مواعظ زاجرة وامثالا
سايرة وحكما جليلة وادله على التوحيد بينة وكلمات في التنزيه والتحميد شريفة
وان اردت ان تحقق ما وصفت لك فتامل شعر من شيت من الشعراء المفلقين هل
تجد كلامه في المديح والغزل والفخر والهجو يجري مجرى كلامه في ذكر القصص انك
النزاه اذا جا الى وصف وقعه او نقل خبر عاتى الكلام سوقى الخطاب مسترسلا
في امره متساهلا في كلامه عادلا عن المالوف من طبعه ونا كبا عن المعهود من
سجيته فان اتفق له في قصه كلام جيد كان قد رثنتين او ثلثه وكان ما زاد عليها
حشوا وما تجاوزها لغوا ولا اقول انها تخرج من عادته عفوا لانه يقصر عن العفو
ويقف دون العرف ويتعرض للركاكه فان لم تقنع بما قلت لك من الابيات فتامل
غير ذلك من السور هل تجد الجميع على ما وضعت لك لو لم تكن الا سوره واحده لكفت
في الاعجاز فكيف بالقرآن العظيم ولو لم يكن الا حديث من سوره لكفى واقنع وشفى
ولو عرفت قدر قصه موسى وحدها من سوره الشعراء لما طلبت بينه سواها
بل قصه من قصصه وهي قوله واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون الى
قوله فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل
فاتبعوهم مشرقين حتى قال فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق وكان
كالطود العظيم ثم قصه ابرهيم عليه السلم ثم لو لم تكن الا الايات التي انتهى اليها
القول في ذكر القرآن وهي قوله وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على
قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وهذه كلمات مفرده بفواصلها منها
ما يتضمن فاتحة وفاصلة ومنها ما هي فاتحة وواسطة وفاصلة ومنها كلمة بفاصلتها تامة دل على انه نزله على قلبه ليكون نذيرا وبين انه اياه لكونه نبيا ثم
وصل بذلك كيفيه النذاره فقال وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك
لمن اتبعك من المومنين فتامل اياه اياه لتعرف الاعجاز وتتبين التصرف البديع والتنقل

في الفصول الى اخر السوره ثم راع المقطع العجيب وهو قوله وسيعلم الذين ظلموا اى
منقلب ينقلبون هل يحسن ان ياتي بمثل هذا الوعيد وان تنظم مثل هذا النظم و
ان تجد مثل هذه النظاير السابقه وتصادف مثل هذه الكلمات المتقدمه ولولا
كراهه الاملال لجيت الى كل فصل فاستقريت على الترتيب كلماته وبينت لك ما في
كل واحده منها من البراعه ومن عجيب البلاغه ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده
وتستضي بنوره وتهتدي بهداه ونحن نذكر ايات اخر لتزداد استبصارا ويتقدم
يتقنا ۞ تامل من الكلام المؤتلف قوله حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله
الا هو اليه المصير اسات قد تدبت الان يحفظ اسماء الله تعالى وصفاته
فانظر مني وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر وما يجمع
ما يجمع هذه الايه من شريف المعاني وحسن الفاتحه والخاتمه واتلما بعدها من الاتي
واعرف وجه الخلوص من شئ الى شئ من احتجاج الى عيد ومن اعذار الى انذار ومن
فنون من الامر شتى مختلفه تالف بشريف النظم ومتباعده تقارب بعلى الضم
ثم جا الى قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امه برسولهم
ليا خذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق واخذتهم فكيف كان عقاب ۞
وكذلك حقت كلمات ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الايه الاولى اربعه فصول
والثانيه فصلان ۞ وجه الوقوف على شرف الكلام ان تتامل موقع قوله وهمت
كل امه برسولهم ليا خذوه وهل تقع في الحسن موقع قوله ليا خذوه كلمة وهل تقوم
مقامه في الجزاله لفظه وهل يسد مسده في الاصاله نكته لو وضع موضع ذلك
ليقتلوه او ليرجموه او لينفوه او ليطردوه او ليهلكوه او ليذلوه ونحو هذا ما كان
ذلك بعيدا ولا بارعا ولا عجيبا ولا بالغا فانقد موضع هذه الكلمة وتعلم بها ما تذهب
اليه من تخير الكلام الالفاظ والاهتداء للمعاني فان كنت تقدر ان شيئا من هذه
الكلمات التي عليك او غيرها لا تقف بك على غرضنا من هذا
الكتاب فلا سبيل لك الى الوقوف على تصاريف الخطاب فارفع الى التقليد واكف
نفسك مووونة التفكير وان فطنت فانظر الى ما قال من رد عجز الخطاب الى صدره
بقوله فاخذتهم فكيف كان عقاب ثم ذكر عقبيها العذاب في الاخره واتلاها تلوا
العذاب في الدنيا على الاحكام الذي رايت ثم ذكر المؤمنين بعد ذكر المكذبين بالايات
والرسل فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الى
ان ذكر ثلث ايات وهذا كلام مفصول تعلم عجيب اتصاله بما سبق ومضى وانتسابه

الما تقدم وتقضى وعظم موضعه فى معناه ورفيع مايتضمن من تحميدهم و
تسبيحهم وحكايه كيفيته دعا المليكه بقوله ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما هل
تعرف شرف هذه الكلمه لفظا ومعنى ولطيف هذه الحكايه وتلاوم هذا الكلام وتشاكل
هذا النظام وكيف يهتدى الى وضع هذه المعانى بشرى والى تركيب مايلايمها من
الالفاظ انسى ثم ذكر ثلث ايات فى امر الكافرين على ماترى ثم نبه على امر القرآن وانه
من اياته بقوله هو الذى يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب
وانما ذكر هذين الامرين اللذين تختص بقدره عليهما لتناسبهما فى انهما من تنزيله
من السماء ولان الرزاق الذى لم رزق لم يكن بقاء النفس تجب طاعته وانظر فى اياته
ثم قال فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش
يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى
على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قف على هذه الدلالة وفكر
فيها وراجع نفسك فى مراعاه معانيها هذه الصفات العاليه والكلمات السامية
والحكمة البالغة والمعانى الشريفة تعلم وزودها عن الالهيه ودلالتها على الربوبيه
وتحقق ان الخطب المنقوله عنهم والاخبار المأثوره فى كلماته الفصيحة من الكلام
الذى تعلق به الهمم البشريه وما تحوم عليه الافكار الادميه وتعرف ميانيتها
لهذا الضرب من القول اى خاطر يتشوف الى ان يقول يلقى الروح من امره على من
يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون واى لفظ يدرك هذا المضمار
واى حكيم يهتدى الى ما لهذا من الغور واى فصيح يهتدى الى هذا النظم ثم
استقرى الايه الى آخرها واعتبر كلماتها وراع بعدها قوله اليوم يجزى كل نفس بما
كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ۞ **من يقدر على تاليف**
هذه الكلمات الثلث على قربها وعلى خفتها فى النظم و
موقعها من القلب ثم تامل قوله وانذرهم يوم الازفه اذا القلوب لدى الحناجر
كاظمين وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خاينة الاعين وما تخفى الصدور
والله يقضى بالحق والذين تدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير
كل كلمة من ذلك على ما قد وصفتها من انه اذا زاها الانسان فى رساله كانت عينها
او فى خطبه كانت وجهها او قصيده كانت غرة غرتها وبيت قصيدتها كالياقوته
التى تكون فريده العقد وعين القاره ودره الشذ زاد اوقع بين كلام وشحه واذ
ضمن فى نظام زينه واذا اعترض فى خطاب تميز عنه وبان بحسنه منه ولست
اقول هذا لك فى ايه دون ايه وسوره دون سوره وفصل دون فصل وقصه دون

قصه ومعنى دون معنى لانى قد شرحت لك ان الكلام فى حكايه القصص والاخبار
وفى الشرايع والاحكام وفى الديانه والتوحيد فى الحجج والتثبيت هو بخلاف الكلام
فيما عدا هذه الامور الا ترى ان الشاعر المفلق اذا جاء الى الزهد قصر والاديب اذا تكلم
فى بيان الاحكام وذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه فى غيره ونظم
القرآن لا يتفاوت فى شئ ولا يتباين فى امر ولا يحتمل فى محال بل له المثل الاعلى والفضل
الاسنى وفيما شرحناه لك كفايه وفيما بيناه لك بلاغ ونذكر فى الاحكاميات وغيرها
ايات اخر منها قوله يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح
مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه و
اتقوا الله ان الله سريع الحساب ۞ انت تجد فى هذه الايه من الحكمه والتصرف
العجيب والنظم البارع ما يدلك ان شيت على الاعجاز مع هذا الاختيار والايجاز
فكيف اذا بلغ ايات وكانت سوره ونحو هذه الايه قوله والذين يتبعون الرسول
النبى الامى الذين يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف و
ينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذى انزل معه اولئك هم المفلحون وكالايه التى بعدها فى التوحيد واثبات النبوه
وكالايات الثلث فى المواريث ۞ اى بارع يقدر على جمع احكام الفرايض فى
قدرها من الكلام ثم كيف يقدر على ما فيها من بديع النظم وان جيت الى ايات
الاحتجاج كقوله تعالى لو كان فيهما الهه الا الله لفسدتا فسبحان الله رب
العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون كالايات فى التوحيد كقوله
هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ۞ وكقوله
تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات و
الارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا
وكقوله تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الى آخرها وكقوله والصافات
صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض
وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينه الكواكب وحفظا من
كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملاء الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم
عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ۞ هذه من الايات
التى قال فيها الله تعالى ذكره الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله

يهدى به من يشآء ومن يضلل الله فماله من هادٍ ۞ وانظر بعين عقلك وارجع
جليه بصيرتك اذا تفكرت فى كلمه كلمه مما نقلناه اليك وعرضناه عليك ثم
فيما ينتظم من الكلمات ثم الى ان تكامل فصلاً وقصه اويتم حديثاً وسوره لا بل
فكر فى جميع القرآن على هذا الترتيب وتدبره على نحو هذا التنزيل فلم ندع ما ادعيناه
لبعضه ولم نصف ما وصفنا الا فى كله كله وان كانت الدلاله فى البعض ابين
واظهر والايه كشف وابهر ۞ واذا تاملت على ما هديناك اليه ووقفناك عليه
فانظر هل ترى وقع هذا النوو فى قلبك واشتماله على لبك وسريانه فى حسك و
نفوذه فى عروقك وامتلاكه ايقاناً واحاصه واهتداك به ايماناً وبصيرة ام هل
تجد الرعب ياخذ منك ماخذه من وجهٍ والهزه تعمل فى جوانبك من لونٍ والاريحيه
تستولى عليك من بابٍ ۞ وهل تجد الطرب يستفزك للطيف ما فطنت له
والسرور يحركك من عجيب ما وقفت عليه وتجد فى نفسك من المعرفه التى حدثت
لك عزه وفى اعطافك ازتياحاً وهزه وترى لك فى الفضل تقدماً وتبريزاً
وفى اليقين سبقاً وتحقيقاً وترى مطارح الجهال تحت اقدام الغفله ومهاويهم فى
ظلال القله والذله واقدارهم بالمعين التى يجب ان تلحظ بها مراتبهم بحيث يجب
ان ترتبها ۞ هذا كله فى تامل الكلام ونظامه وعجيب معاينه واحكامه فان
جيت الى ما انبسط فى العالم من بركته وانواره وتمكن فى الافاق من يمنه واضوائه
وثبت فى القلوب من اكباره واعظامه وتقرر فى النفوس من حتم امره ونهيه و
مضى فى الدمآء من مفروض حكمه والى انه جعل عماد الصلوة التى هى تلو الايمان فى
التاكيد وثانيه المتوحيد فى الوجوب وفرض حفظه ووكل الصغار والكبار بتلاوته
وامر عند افتتاحه بما امر به لتعظيمه من قوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم لم يومر بالتعوذ لافتتاح امر كما امر به لافتتاحه فهل يدلك هذا
على عظيم شانه وراجح ميزانه وعالى مكانه وجمله الامر ان نقد الكلام شديدٌ و
تمييزه صعبٌ ۞ ومما كتب الى الحسن ابن عبد الله العسكرى اخبرنى ابو بكر ابن
دريد قال سمعت اباحاتم يقول سمعت الاصمعى يقول فرسان الشعرآء اقل من فرسان
الحرب وقال سمعت ابا عمرو بن العلآء يقول العلمآء بالشعر اعز من الكبريت الاحمر ۞
واذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس يشق تمييزه ويصعب نقده
يذهب عن محاسن الكبير وينظرون الى كثيرٍ من قبيحه بعين الحسن وكثيرٍ من
حسنه بعين القبح ثم يختلفون فى الاحسن منه اختلافاً كثيراً وتتباين
اراوهم فى تفضيل ما تفضل منه فكيف لا يتحيرون فيما لا يحيط به علمهم ولا

يتاتى فى مقدورهم ولا يملى بخواطرهم وقد حيّر القوم الذين لم يكن احداً افصح منهم
ولا اتم بلاغه ولا احسن براعه حتى دهشوا حين ورد عليهم وولهت عقولهم ولم
يكن عندهم فيه جواب غير ضرب الامثال والتحرص عليه والتوهم فيه تقسيمه
اقساماً وجعله عضين وكيف لا يكون احسن الكلام وقد قال الله تعالى نزل احسن
الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشآء ومن يضلل الله فماله من هادٍ
۞ استعتم فهم هذه الايه وكفاك استفد علم هذه الكلمات وقد اعتناك فليس
يوقف على حسن الكلام بطوله ولا تعرف براعته بكثره فصوله ان القليل يدل على
الكثير والقريب قد يهجم بك على البعيد ثم انه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شان
هذه المعرفه وكبر محلها وذهابها على اقوامٍ ذكر فى اخر هذه الايه ما ذكر وبين ما بين
فقال ذلك هدى الله يهدى به من يشآء فلا يعلم ما وصفنا لك الا بهدايه من العزيز
الحميد وقال ومن يضلل الله فماله من هادٍ وقال يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وقد
بسطنا لك القول رجآء افهامك وهذا المنهاج الذى رايته ان سلكته ياخذ بيدك
ويدلك على رشدك ويغنيك عن ذكر براعه ايهٍ ايهٍ لك ۞ واعلم انا لم نقصد فيما
سطرناه من الايات وسميناه من السور والدلالات ذكر الاحسن والاكشف
والاظهر لانا نعتقد فى كل سوره ذكرناها واضربنا عن ذكرها اعتقاداً واحداً فى
الدلاله على الاعجاز والكفايه فى التمنع والبرهان ولكن لم يكن بل من ذكر بعض فذكرنا
ما تيسر وقلنا فيما اتجه فى الحال وخطر وان كنا نعتقد ان الاعجاز فى بعض القرآن
اظهر وفى بعضه ادق واغمض والكلام فى هذا الفصل يجى بعد هذا فاحفظ عنا
فى الجمله ما كررنا والسبر بعد ذلك فى التفضيل اليك وحصل ما اعطيناك من
العلامه ثم النظر عليك ۞ وقد اعتمدنا على ان الايات تنقسم الى قسمين احدهما
ما يتم بنفسه او بنفسه وفاصلته فيشير فى الكلام اناره النجم فى الظلام والثانى
ما يشتمل على كلمتين او كلماتٍ اذا تاملتها وجدت كل كلمه منها فى نهايه البراعه
وغايه البلاغه وانما نبين ذلك بان تتصور هذه الكلمه مضمنه بين اضعاف كلامٍ
كثيرٍ او خطابٍ طويلٍ فتراها ما بينها تدل على نفسها وتولو اعلى ما قد قرن منها
لعلو جنسها فاذا ضمت الى اخواتها وجات فى ذواتها ارتك القايد منظومه كما كانت
تريك عند ما تامل الافراد منها الواقعت منثوره والجواهر مبثوثه ولولا ما اكره
من تضمين القرآن فى الشعر لانشدتك الفاظاً وقعت مضمنه لتعلم كيف تلوح عليه
وكيف ترى بهجتها فى اثنايه وكيف تمتاز منه حتى انه لو تامله من لم يقرا القرآن

لتبيّن انّه اجنبيّ من الكلام الّذى تضمّنه والباب الّذى توسطه وانكر مكانه ك
استكبر موضعه ثم تناسبها فى البلاغه والابداع وتماثلها فى المتلاسه و
الاغراب ثم انفرادها بذلك الاسلوب وتخصّصها بذلك الترتيب ثم سايرّ ما
قدّمنا ذكره ممّا نكره اعادته وانت ترى غيره من الكلام يضطرب فى مجاريه و
يختلّ تصرّفه فى معاينه ويتفاوت التفاوت الكثير فى طرقه ويضيق به النطاق
فى مذاهبه ويرتبك فى اطرافه وجوانبه ويسلم للتكلّف الوحش كثره تصرّفه و
يحيله وعلى التصنّع الظاهر موارد سقله وتخلصه ونظم القرآن فى موتلفه و
مختلفه وفى فصله ووصله وافتتاحه واختتامه وفى كلّ نهج يسلكه وطريق
ياخذفيه وباب يتهجم عليه ووجه يؤمّه على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت
كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يخرج عن تشابهه
وتماثله كما قال قرانا عربيّا غير ذى عوج وكما قال كتابا متشابها ولا يخرج عن
ابانته كما قال بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ۵ وغيره من الكلام كثيرا التلوّن دايم التغيّر
يقف بك على بديع مستحسن ويعقبه بقبيح مستهجن ويطلع عليك بوجه
الحسناء ثم يعرض للهجر بخدّا لقبيحه السوهاء وياتيك باللفظه المستكره بين
الكلمات الّتى هى كاللالى الزهر وقد ياتيك باللفظه الحسنه بين الكلمات البهم قد
يقع اليك منه الكلام المشيّح والنظم المشوّس والحديث المشوه وقد تجد منه
ما لا يتناسب ولا يتشابه ولا يتالّف ولا يتماثل وقد قيل فى وصف ما جرى
هذا المجرى وشعر كيعر الكبس فرّق بينه لسان دعىّ فى القريض دخيل
وقال اخر وبعض قريض القوم اولاد علّه يكدّ لسان النّاطق المتحفّظ
فان قال قيل فقد نجد فى ايات القرآن ما يكون نظمه بخلاف ما وصفت ولا متميّز
الكلمات بوجه البراعه وانما تكون البراعه عندك منه فى مقادير يزيد على الكلمات
المفرده وحدّ يتجاوز حدّ الالفاظ المستبدّه وان كان الاكثر على ما وصفته به ۵
قيل له نحن نعلم انّ قوله حرّمت عليكم امّهاتكم وبناتكم واخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم
الى اخر الايه ليس من القبيل الّذى [illegible] فيه وابانه الفصاحة وذلك
يجرى عند نا مجرى [illegible] فيه فطلبها فى هذا الضرب من [illegible] الّذى يعتبر فى نحو ذلك تنزيل الخطاب و
طهور الحكمه فى الترتيب والمعنى وذلك حاصل فى هذه الايه ان تاملت الا ترى انّه بدا
بذكر الام لعظم حرمتها وادلايها بنفسها ومكان بعضيّتها فى اصل الكلّ من
يدلى بنفسه منهنّ لانّه ليس فى ذوات الانساب اقرب منها ولمّا جاء الى ذوات

الاسباب

من ص

الاسباب الحق لها حكم الام من الرضاع لان اللحم ينشره اللبن بما يغذوه فيتحصل بذلك
ايضا لها حكم البعضيّه فنشر الحرمه بهذا المعنى والحقها بالوالده وذكر الاخوات
من الرضاعه فنبّه بها على كلّ يدلى بغيرها وجعلها تلو الام من الرضاع والكلام فى
اظهار حكم هذه الايه وفوايدها يطول ولم نضع كتابنا لهذا وسبيل هذا ان نذكره
فى كتاب معانى القرآن ان سهّل الله لنا املاءه وجمعه فلم تنفك هذه الايه من الحكم
الّتى تخلف حكمه الاعجاز فى النظم والتاليف والفايده الّتى تنوب مناب العدول
عن البراعه فى وجه الترصيف فقد علم السايل انّه لم يات بشئ ولم يهتد للاعراض
فى دلالات الكلام وفوايده ومتصرّفاته وفنونه ومتوجّهاته وقد يتّفق فى
الشعر ذكر الاسامى فيحسن موقعه كقول ابى داود الاسدىّ ۵

ان يقتلوك فقد ثلمت عروشهم بعتيبه بن الحرث بن شهاب
باشدّهم كلبا على اعدايه واعزّهم فقرا على الاصحاب

وقد يتّفق ذكر الاسامى فيفسد النظم ويقبح الوزن والايات الاحكاميّات الّتى
لا بدّ فيها من مراعاه البلاغه يعتبر فيها من الالفاظ ما يعتبر فى غيرها وقد يمكن
فيها ۵ وكلّ موضع امكن ذلك فقد وجد فى القرآن فى بابه ما ليس عليه مزيد
فى البلاغه وعجيب النظم ثمّ فى جمله الايات ما ان لم تزاع البديع البليغ فى الكلمات
الافراد والالفاظ الاحاد فقد تجد ذلك مع اتركب الكلمتين والثلث ويطّرد ذلك
فى الابتداء والخروج والفواصل وما يقع بين الفاتحه والخاتمه من الواسطه
او باجتماع ذلك او فى بعض ذلك ما يخلف الابداع فى افراد الكلمات وان كانت
الجمله والمعظم على ما سبق الوصف فيه واذا عرف ما يجرى اليه الكلام وينحى
اليه الخطاب ويقف عليه الاسلوب وتختصّ به القبيل بان عند اهل الصنعه
تميّز بابه وانفراد سبيله ولم يشكّ البليغ فى انتمايه الى الجهه الّتى ينتهى اليها ولم
ترتب الاديب البارع فى انتسابه الى ما [illegible] منهجه وهذا كما يعرف طريقه
مترسّل فى رسالته فهو لا يخفى عليه بناء [illegible] واساسه فكانّه يرى يعدّ عليه
مجارى حركاته وانفاسه وكذلك فى الشعر [illegible] وبه يعرف المتحقّق بطبع
كلّ احدٍ وسبيل كلّ شاعر فى نظم القرآن [illegible] نستوفيها وتقصيها
يطول عجابيها لا تنقضى فنّها الكلام والاشارات واذا بلغ الكلام من هذا القبيل
مبلغا ربّما زاد الافهام به على الايضاح اوساوى مواقع التفسير والشرح مع
استيفايه شروطه كان النهايه فى معناه وذلك كقوله سبحان الّذى اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الّذى باركنا حوله لنريه من ايتنا انّه هو

السّميع البصير فصول هذه الايه وكلماتها على ما شرحناه من قبل البلاغه واللّطف
في التقدّم وفي تضمّن هذا الامر العظيم والمقام الكريم ويتلوا هذا قوله واتينا
موسى الكتاب وجعلناه هدىً لبني اسرائيل هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام
لتصوّر في صوره المنقطع وقد تمثّل في هذا النظم لبراعته وعجيب امره وموقع
ما لا ينفك منه القول وقد يتبرّ الكلام المتّصل بعضه من بعضٍ ويظهر عليه
التّبيّج والتّباين للمخلل الواقع في النظم وقد تصوّر هذا الخطاب الى ذكر نوحٍ وكيف
ولم يبن عليه تميّز الخروج ۞ ثمّ انظر كيف اجرى هذا الخطاب الى ذكر نوحٍ وكيف
اثنى عليه وكيف يليق صفته بالفاصلة وتيمّم النظم بها مع خروجها مخرج البروز
من الكلام الاوّل الى ذكره واجزايه الى مدحه بشكره وكونهم من ذرّيته يوجب
عليهم ان يسيروا بسيرته وان يستنّوا بسنّته فان يشكروا كشكره ولا
يتّخذوا من دون الله وكيلًا وان يعتقدوا تعظيم تخليصه اياهم من الطوفان لمّا
حملهم عليه وبخاهم فيه حين اهلك من عداهم به وقد عرفهم انّه انّما يواخذهم
بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قبلهم وعاقبهم ثمّ عاد عليهم بالافضال
والاحسان حتّى يتذكّروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوحٍ الّذي ولدهم وهم
من ذرّيته فلمّا عادوا الى جهالتهم وتمرّدوا في طغيانهم عاد عليهم بالتعذيب ثمّ
ذكر الله عزّ وجلّ في ثلث ايات بعد ذلك معنى هذه القصّة الّتي كانت لهم بكلماتٍ
قليلةٍ في العدد كثيرة الفوايد لا يمكن شرحها الّا بالتفصيل الكثير والكلام الطويل
ثمّ لم يخل تضاعيف الكلام ممّا ترى من الموعظة على اعجب تدريج وابدع تأدّ يج
بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ولم ينقطع بذلك
الكلام وانت ترى الكلام يتبدّد مع اتّصاله وينتشر مع انتظامه فكيف بالفاءٍ
ما ليس منه في اثنايه وطرح ما بعده في ادراجه الى ان خرج الى قوله عسى ربّكم ان يرحمكم
وان عدتم عدنا يعني ان عدتم الى الطاعة عدنا الى العفو ۞ ثمّ خرج خروجًا اخر الى
ذكر القرآن وعلى هذا فقس بحثك عن شرف الكلام وماله من علوّ الشان لا يطلب
مطلبًا الّا انفتح ولا يسلك قلبًا الّا انشرح ولا يذهب مذهبًا الّا استنار واضاء
ولا يضرب مضربًا الّا بلغ فيه التسماء لا يقع منه على منه فايده فقدّرت انّها
اقصى فوايدها الّا قصّرت ولا تظفر بحكمه فظننت انّها زبده حكمها الّا وقد
اخللت انّ الّذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لاضلّ من حمار اهله واحمق من
هبنّقة لو كان شعره كله كالابيات المختاره الّتي قدّمناها لاوجب البراه منه

قوله وسنٍّ كسنيّقٍ سناءً وسنّمادعرت بمدلاج الهجير نهوض

قال الاصمعي لا ادري ما هذا ولا السّنيق ولا السّنم وقال بعضهم السّنّوق اكمة وقال
فيها **وقوله** له قصر يا عير وساقا نعامه كخلخال الهجان القيصريّ المعوّض
عصافيرُ وذبّانٌ وذودٌ واجرٌ من مجلجله الذّيّاب
وزاد في تقبيح ذلك وقوعه في ابياتٍ فيها
فقد طوّقت في الافاق حتّى رضيت من الغنيمه بالاياب
وكلّ مكارم الاخلاق سارت اليه همّتي ونما اكتسابي
وكقوله وقوله في قصيدةٍ له في نهايه **السّقوط**
ازمان فوهًا كلّما نبّهتها كالمسك فاح وظلّ في الفدّام
افلا ترى اظعانهنّ بواكرًا كالنّخل من شوكان حين صرام
وكأنّ شاربها اصاب لسانه وم يخالط جسمه بسقام
وكقوله
لم يفعلوا فعل آل حظلةٍ انّهم جيرٍ بيسما أيتمروا
لاحميريٌّ وفي ولا عدس ولا است عيرٍ يحكّها التّفر
انّ بني عوفٍ تنبّوا حسبًا ضيّعه الدّاخلون اذ غدروا
وكقوله
ابلغ شهابًا وابلغ ... هل اتاك الخبر مالُ
انّا تركنا منكم قتلى ... بخوعى وسبيًا كالسّعالى
يمشين بين رحالنا ... معترفاتٍ بجوعٍ وهزال
ولم يقع مثل ذلك له وحده فقد قال **الاعشى**
فادخلك الله برد الجنان جذلًا في مدخل طيب **وقال ايضًا**
فرميت غفلة عينه عن شاته فاصبت حبّة قلبها وطحالها
وقال في فرسه ويامٍ لليحموم كلّ عشيّةٍ تفتٍ وتعليقٍ فقد كاد يسنقُ
وقال شأٍ ومثل شلول شلشل شولُ
وهذه الالفاظ في معنًى واحدٍ وقد وقع لزهير نحوه. **كقوله**
فاقسمت جهدًا بالمنازل من منًى وما سفحت فيه المقادم والقمل
كيف يقال هذا في قصيدةٍ **يقول فيها**
وهل ينبت الخطّيّ الّا وشيجُهُ وتغرس الّا في منابتها النّخلُ
وكقول الطّرماح
سوف تدينه من ليس سنبتاة امارت بالبول ماء الكراض

المسبنتاه الناقه الصلبه والكراض مآء الفحل اسالت مآء الفحل مع البول فلم تعقد
عليه ولم تحمل فتضعف والماير السايل ٥ فان قال قايل اجدك
تحاملت على امرى القيس ورايت انّ شعره يتفاوت من اللين والشراسه وبين اللطف
والشكاسه وبين التوحش والاستيناس والتقارب والتباعد ورايت الكلام الا
عدل افضل والنظام المستوسق اكمل وانت تجد البحترىّ يسبق فى هذا الميدان
ويفوت الغايه فى هذا الشان وانت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كلّ كلامٍ
ويقدّمون رايه فى البلاغه على كلّ راى وكذلك تجد لابى نواسٍ من بهجه اللّفظ
ودقيق المعنى ما يتحيّر فيه اهل اللفظ ويقدّمه الشطار والظرّاف على كلّ شاعرٍ
ويرون لنظمه روعه لا يرون لنظم غيره وزبرجا لا يتفق لسواه فكيف يعرف
فضل ما سواه عليه فالجواب انّ الكلام فى الشعر لا يجوز ان نوازن به
القرآن قد تقدّم واذكنّا قد بيّنا انّ شعر امرى القيس وهو كبيرهم الذى يقدّمون
بتقدّمه وشيخهم الذى يعترفون بفضله وقايدهم الذى ياتمون به واما مهم
الذى يرجعون اليه كيف سبيله وكيف طريق منزلته عن منزله نظم
القرآن ولا واته لا يخلط بشعره عبار ذلك النظم وهو اذا لحظ ذلك كان

كما قال

فاصبحت من ليلى الغداه كناظرٍ مع الصبح فى اعجاز نجمٍ مغرب

وكما قال ايضا

راحت مشرقةً ورحت بمغربٍ فمتى التقآء مشرّقٍ ومغرّب

واذكنّا قد بنّا فى القاعدة ما علمت وفصّلنا لك فى شعره ما عرفت لم تحتج الى ان
نتكلم على شعر شاعرٍ وكلام كلّ بليغٍ والقليل يدلّ على الكثير وقد بيّنا فى الجمله مبا
ينة اسلوب نظم القرآن بجميع الاساليب ومزيّته عليها فى النظم والترتيب
وتقدّمه عليها فى كلّ حكمه وبراعه ثمّ تكلّمنا على التفصيل على ما شاهدت فلا
يبقى علينا بعد ذلك سوال ثمّ نقول انت تعلم انّ من يقول بتقدّم البحترى فى
الصّنعه به من الشغل فى تفضيله على ابن الرومىّ وتسويه ما بينهما ما لا يطمع
معه فى تقديمه على امرى القيس ومن فى طبقته وكذلك ابى نواسٍ انّما يعدل
شعره بشعر اشكاله ويقابل كلامه بكلام اضرابه من اهل عصره وانّما يقع بينهم
التباين اليسير والتفاوت القليل فامّا ان يظنّ طانّ يتوهم متوهّم انّ جنس
الشعر معارض لنظم القرآن فكانّما حرّم من السّمآء فتخطفه الطير او تهوى به
الرّيح فى مكان سحيق وانّما هى خواطر يغير بعضها على بعضٍ ويقتدى فيها بعض

بعض والغرض الذى رمى اليه يصحّ التوافى عليه فى الجمله فهو قبيل متداول وجانس
متنازع وشريعه موروده وطريقه مسلوكه الا ترى الى روى عن الحسين ابن
الضحاك انشدت ابا نواسٍ قصيدتى التى فيها

وشاطرىّ اللسان مختلق التكريه زان المجون بالنسك
كانّه نصب كاسه فمن يكرع فى بعض انجم الفلك

قال فانشدنى ابو نواسٍ بعد امامٍ قصيدته التى يقول فيها

اعاذل اعتبت الامام واعتبا واعربت عمّا فى الضّمير واعربا
وقلت لساقينا اجرها فلم اكن لبا جامير المومنين واشربا
فجوّزها حتّى غفارا ترى لها الى الشرف الاعلى شعاعا مطنّبا
اذا غبّ فيها سارب القوم خلته يقبّل فى داجٍ من اللّيل كوكبا

قال فقلت له يا ابا على هذه مصالته فقال لى اتظنّ انّه يروى لك معنىً وانا
حتّى فتامّل هذا الاخذ وهذا الوضع وهذا الاتباع امّا الخليع فقد راى الابداع فى
المعنى فامّا العبارات فانّها على ليست ما ظنّه لانّ قوله يكرع ليس بصحيح وفيه
ثقل بين وتفاوت وفيه احاله لانّ القمر لا يصحّ تصوّر ان يكرع فى نجم وامّا قول
ابى نواسٍ اذا غبّ فيها فكلمه قد قصد فيها المتانه وكان سبيله ان يختار سواها
من الفاظ الشرب ولو فعل ذلك كان املح وقوله شارب القوم فيه ضرب من
التكلّف الذى لا بدّ له منه او من مثله لاقامه الوزن ثمّ قوله خلته يقبّل فى داجٍ
من اللّيل كوكبا تشبيه بحاله واحده من احواله وهى ان يشرب حيث لا ضوء هناك
وانّما يتناول ليلا فليس بتشبيه مستوفى على فيه من الوقوع والملاحه وقد
قال ابن الرومىّ ما هو اوقع منه واملح وابدع

ومهفهفٍ تمّت محاسنه حتّى تجاوز منيه النفس
تصبو الكووس الى مراشفه وتحنّ فى يده الى الجنس
ابصرته والكاس بين فمٍ منه وبين انامل خمس
وكانّها وكانّ شاربها قمر يقبّل عارض الشمس

ولا شك فى انّ تشبيه ابن الرومىّ احسن واعجب الا انّه تمكن من ايراده فى بيتين
وهما مع سبقهما الى المعنى اتيا به فى بيت واحد وانّما اردت بهذا ان اعرفك
انّ هذه امور متقاربه يقع فيها التنافس والتعارض والاطماع تتعلق بها والهمم
تسمو اليها وهى الفطر اعنا وطوع مداركنا ومجانس لكلامنا واعجاب قوم بنحى
هذا وما يجرى مجراه وايثار اقوامٍ لشعر البحترى على ابى تمامٍ وعبد الصّمد وابن

الرومى وتقديم قوم كلّها ولاء او بعضهم عليه وذهاب قوم عن المعرفه ليس بامرٍ
يضرّنا ولا سبب ويعترض على انها منا ونحن نعمد الى بعض قصايد البحترى فنكلم
عليها كما تكلمنا على قصيده امرى القيس ليزداد الناظر فى كتابنا بصيرةً و
يستخلص من ست المعرفه سريرةً ويعلم كيف تكون المواربه وكيف يقع المشابهه
والمقاربه ونجعل تلك القصيده التى نذكرها اجود شعرٍ ۞ سمعت الصاحب
اسماعيل بن عبادٍ يقول سمعت ابا الفضل ابن العميد يقول سمعت ابا مسلم الرستمى
يقول سمعت البحترى يذكر انّ اجود شعرٍ قاله اهلاً بذلكم الخيال المقبل ۞
قال وسمعت ابا الفضل ابن العميد يقول اجود شعره هو قوله فى الشيب
زجر له لو كان ينزجر قال وسئلت عن ذلك فقلت البحترى اعرف بشعر نفسه
من غيره فنحن الآن نقول فى هذه القصيده ما يصلح فى مثل هذا **قوله**
اهلاً بذلكم الخيال المقبل فعل الذى نهوى اه اولم يفعل
برقٌ سرى فى بطن وجرة فاهتدت بسناه اعناق الركاب الضلّل
البيت الاوّل فى قوله ذلكم الخيال ثقل روحٍ وتطويلٍ وحشوٍ وغيره اصلح له واخفّ
منه **قول الصنوبرى**
اهلاً بذلك الزور من زور شمس بدت فى فلك الدور
وعذوبه الشعر تذهب بزياده حرفٍ او نقصان حرفٍ فيصير الى الكزازه وتعود
ملاحته بذلك ملوحه وفصاحته عيّاً وبراعته تكلّفاً وسلاسته تعسّفاً و
ملاسته تلوّياً وتعقّداً فهذا فصلٌ وفيه شى آخر وهو انّ هذا الخطاب انّما يستقيم
مهما خوطب به الخيال حال اقباله فامّا ان يحكى الحال التى كانت وسلفت على هذه
العياده ففيه عهلٌ وفى تركّب الكلام عن هذا المعنى عقده وهو لبراعته وحذقه
فى هذه الصّنعه تعلّق بخوهذا الكلام ولا ينظر فى عواقبه لانّ ملاحه قوله تفعلى
عن عيون الناظرين فيه بخو هذه الامور ۞ ثم قوله فعل الذى نهواه اولم يفعل ليست
بكلمهٍ رشيقهٍ ولا لفظهٍ ظريفهٍ وان كانت كساير الكلام فامّا بيته الثانى فهو عظيم
الموقع فى البهجه وبديع المأخذ حسن الرواء انيق المنظر المسمع يملأ القلب والفهم
ويفرح الخاطر وتسرى بشاشته فى العروق وكان البحترى يسمّى بخو هذا الابيات عروق
الذهب وفى بخوه من الخلل مع الديباجه الحسنه والرونق المليح وذلك انّه جعل
الخيال كالبرق لاشراقه فى مرآه كما يقال انّه يسرى كنسيغ الصبا فيطيب
ما مرّ به كذلك فضى ما مرّ حوله وبنور ما مرّ به وهذا غلوٌ فى الصنعه الاّ انّ ذكره بطن
وجرة حشوٌ وفى ذكره خلل لانّ النور القليل يؤثّر فى بطون الارض وما اطمان

منها بخلاف ما يؤثّر فى غيرها فلم يكن من سبيله ان يربط ذلك ببطن وجرة وتحديده
المكان على الحشو احمد من تحديد امرى القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراه لم يقنع بذكر حدّ حتى حدّه باربعه حدودٍ كانّه يريد بيع المنزل
فيخشى انّ اخل بحدٍّ ان يكون بيعه فاسداً او شرطه باطلاً فهذا باب ثم انّما يذكر
الخيال بخفاء الاثر ودقّه المطلب ولطف المسلك وهذا الذى ذكر يضادّ هذا
الوجه ويخالف ما يوضع عليه اصل الباب ولا يجوز ان يقدّر معذراً انّ البحترى
قطع الكلام الاوّل وابتدا يذكر برقٍ لمع من ناحيه حييه من جهه بطن وجرة
لانّ هذا القطع ان كان فعله كان خارجاً به عن النظم المحمود ولم يكن مبدعاً ثم
كان لا تكون فيه فايدةً لانّ كلّ برقٍ سمل وتكرّر وقع لاهتداء به فى الظلام وكان
لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدّماً وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظٍ
محمودٍ ومعنىً مستلحبٍ غيره مقصودٍ ويعلم بمثله انّه طلب العبارات وتعليق
القول بالاشارات وهذا من الشعر الجنس الذى يحلو لفظه وتقلّ فوايده

كقول القايل

ولمّا قضينا من منىً كلّ حاجهٍ ومسّح بالاركان من هو ماسح
وشدّت على حدب المهارى رحالنا ولا ينظر الغادى الذى هو رايح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطى الاباطح

هذه الفاظٌ بعيدهٌ المطالع والمقاطع حلوه المجانى والمواقع قليله المعانى والفوايد
فامّا قول البحترى **بعد ذلك**

من غادةٍ منعت وتمنع ينلها فلوانّها بذلت لنا لم تبذل
كالبدر غير مختّلٍ والغصن غير مميّلٍ والدّعص غير مهيل

فالبيت الاوّل على ما تكلّف فيه من المطابقه وتجشّم الصّنعه الفاظهٌ اوفر من
معانيه وكلماتهٌ اكثر من فوايده ونعلم انّ القصد وضع العبارات فى مثله ولو قال
هى ممنوعه ما تعهّد كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنىً متدا ول
مكرّر على كلّ لسان ۞ وامّا البيت الثانى فانت تعلم انّ التشبيه بالبدر والغصن
والدعص امرٌ منقولٌ متداولٌ ولا فضيله فى التشبيه بخو ذلك وانّما يبقى تشبيهه
ثلثه اشياء بثلثه اشياء فى البيت وهذا ايضاً قريبٌ لانّ المعنى مكرورٌ ويبقى
له بعد ذلك شىءٌ اخر وهو تعلّم للترضيع فى البيت كلّه الاّ انّ هذه الاستنانا أت فيها
ضربٌ من التكلّف لانّ التشبيه بالغصن كافٍ فاذا زاد فقال كالغصن غير معوّج
كان ذلك من باب التكلّف خللاً وكان ذلك زياده يستغنى عنها وكذلك قوله كالدّ عص

غير مهيل لانه اذا انهال خرج عن ان يكون مطلق التشبيه مصروفا اليه فلا يكون لتقييده معنى **واما قوله**

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن فيما اتاه ولا الجمال بجمل

عذل المشوق وان من شيم الهوى في حيث تجهله لجاج العذل

قوله في البيت الاول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفه والمعنى الذى قصده انت تعلم انه متكرر على لسان الشعراء وفيه شئ اخر لانه يذكر ان احسنها لم يحسن في تهييج وجده وتهييم قلبه وضد هذا المعنى هو الذى يميل اليه اهل الهوى والحب وبيت كشاجم اسلم من هذا وابعد من الخلل **وهو قوله**

بحياة حسنك احسني وبحق من جعل الجمال عليك وقفا اجملي

واما البيت الثانى فان قوله في حيث حشا بقوله في كلامه ووقع ذلك مستنكرا وحشيا نافرا عن طبعه جافيا في وضعه فهو كرقعه من جلد في دساج حسن فهو يمحو احسنه ويأتى على جماله ثم في المعنى شئ لان لجاج العذل لا يدل على هوى مجهول ولو كان مجهولا لم يهتد والعذل عليه فعلم ان المقصد استجلاب العبارات دون المعانى ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ولا شئ يفوت قول الشعراء في العذل فان ذلك جملهم الذلول وقولهم المكرر **واما قوله**

ماذا عليك من انتظار ميتم بل ما يضرك وقفه في منزل

ان سيل عن الجواب فلم يطق رجعا فكيف يكون ان لم يسأل

لست انكر حسن البيتين وظرفهما ورشاقتهما ولطفهما وماهما وبهجتهما الا ان البيت الاول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجر لمشافهه العاذل ذكر وانما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائمه ثم الذى ذكره من الانتظار وان كان مليحا في اللفظ فهو في المعنى متكلف لان الواقف في الدار لا ينتظر امرا وانما يقف تحسرا وتلذذا وتحيرا والشطر الاخير من البيت واقع والاول مستجلب وفيه تعليق على امر لم يجر له ذكر لان وضع البيت يقتضى تقدم عذل على الموقوف ولم يحصل ذلك مذكورا في شعره من قبل واما البيت الثانى فانه معلق بالاول لم يستقل الا به وهم يعيبون وقوف البيت على غيره ويرون ان البيت التام هو المحمود التام والمصراع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصراع الاخر افضل واتم واحسن ٥ وقوله فكيف يكون ان لم يسأل مليح جدا ولا تستمر ملاحه ما قبله عليه ولا يطرد فيه الماء اطراده فيه وفيه شئ اخر لانه لا يصلح ان

يكون السؤال سببا لان يعيا عن الجواب وظاهر القول يقتضيه **فاما قوله**

لا تكلفن الدموع فان لها معاتبة عليه ان لم يفض

ولقد سكنت الى الصدود من النوى والشر يأرى عند طعم الحنضل — الحنظل

وكذاك طرفه حين اوجس ضربة في الراس هان عليه فصد الاكحل

فالبيت الاول مخالف لما عليه مذهبهم في طلب الاسعاد بالدموع والاسعاف بالبكاء ومخالف الاول كلامه لانه ويفيد مخاطبه العذل وهذا يفيد مخاطبه الرفيق وقد بينت لك ان القوم يسلكون حفظ الالفاظ وتصنيعها دون ضبط المعانى وترتيبها ولذلك قال الله عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فاخبر انهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيفما طاعهم والمعانى كيف يتبع الفاظهم وذلك خلاف ما وضع عليه الابانه عن المقاصد بالخطاب ولذلك كان طلب الفصاحه فيه اسهل واما كن فصار بهذا البلغ خطابهم ثم لو ان هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا لم يكن في ذلك شئ يفوت شعر شاعر او كلام متكلم واما قوله والشر يأرى فانه وان كان قد تصنع له من جهه الطباق ومن جهه التجنيس المقارب فهى كلمه ثقيله على اللسان وهم يذمون نحو هذا كما اعابوا على ابى تمام **قوله**

كريم متى امدحه والورى معى ومتى ما لمته لمته وحدى

ذكر لى الصاحب ابن عباد انه جارى ابا الفضل ابن العميد في محاسن القصيده حتى انتهى الى هذا البيت فذكر له ان قوله امدحه معيب لثقله من جهه تدارك حروف الحلق ثم رايت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكته فعلمت ان ذلك شئ عند اهل الصنعه معروف ثم ان قوله عند اكل الحنظل ليس بحسن ولا واقع ٥ واما البيت الثالث فهو اجنبى من كلامه غريب في طباعه نافر من جمله شعره وفيه كزازه وفجاجه وان كان المعنى صالحا **فاما قوله**

واغر في الزمن البهيم محجل قد رحت منه على اغر محجل

كالهيكل المبنى الا انه في الحسن جاء كصورة في هيكل

فالبيت الاول لم يتفق له فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وعامته خروجه نحو هذا وهو غير مارع في هذا الباب وهذا مذموم معيب منه لان من كان صناعته الشعر وهو يكل به وتغافل عما يرفع اليه في كل قصيده واستهان باحكامه وتجويده مع تتبعه لان يكون عامته ما يصدر به اشعاره من النسيب عشره ابيات وتتبعه للصنعه الكثيره وتركيب العبارات وتنقيح الالفاظ

وتزويرها كان ذلك ادخل في عيبه وادل على تقصيره او قصوره وانما يقبح
الخروج منه واما قوله واغر في الزمن البهيم محجل فان ذكر التحجيل في الممدوح
قريب وليس بالجيد وقد يمكن ان يقال انه اذا قرن بالاغر حسن وجرى مجراه وانخرط
في سلكه واهوى الى مضمار ولم ينكر لمكان من جواره فهذا عذر والعدول عنه
احسن وانما اراد ان يرد العجز على الصدر ويأتي بوجه في التجنيس وفيه شئ لان
ظاهر كلامه يوهم انه قد صار ممتطيا الاغر الاول ورايحا عليه ولو سلم من
ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء واقاويل الناس فانما ذكر الهيكل في
البيت الثاني ورده عجز البيت عليه وظنه انه قد ظفر بهذه اللفظه وعمل شيئا
حتى كررها فهي كلمه فيها ثقل ونحن نجدهم اذا اراد وا ان يصفوا بنحو هذا قالوا ما
هو الا صورة وما هو الا تمثال وما هو الا دمية وما هو الا ظبية ونحو ذلك من
الكلمات الحقيقه على القلب واللسان وقد استدرك هو ايضا على نفسه فذكر انه
كصوره في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصوره وحذف الهيكل كان اولى واجمل ولو ان
هذه الكلمه كررها اصحاب الغرائم على الشياطين لزاعوهم بها واقرعوهم
بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم **واما قوله**

واني الضلوع يشد عقد خزامه يوم اللقاء على معم مخول

اخواله للرستمين بفارس وجدوده للتبعين بموكل

نبل المخرم مما يمدح به الخيل فهو لم يات فيه ببديع وقوله يشد عقد خزامه داخل في
التكلف والتعسف لا يقبل من مثله واذ قبلناه من غيره لانه يتبع الالفاظ
وينقدها نقدا شديدا فهلا قال يشد خزامه او ياتي بحشو اخر سوى العقد فقد
عقد هذا البيت بذكر العقد ثم قوله يوم اللقاء حشو اخر لا يحتاج اليه
واما البيت الثاني فمعناه اصلح من الفاظه لانها غير هما مجانسه لطباعه وفيها
غلظ ونفار **واما قوله**

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت صيدا وتنقض انقضاض الاجدل

متوجس برقيقتين كانما تريان من ورق عليه موصل

ما ان يعاف قذى ولو اوردته يوما خلايق حمدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل ما لم يقولوه بل هو منقول
وفي سرعه عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بابدعها وقد يقولون يفوت الطرف و
يسبق الريح ويجاري الوهم ويكر النظر ولولا ان الايتان على محاسن ما قالوه في
ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب لنقلت لك جمله مما ذهبوا اليه في هذا المعنى

فنتبع

فنتبع يعلم انه لم يات فيها بما يجل عن الوصف ويفوت منتهى الحد على ان الهوى يذكر
عند الانقضاض خاصة وليس للفرس هذه الصفه في الحقيقه الا ان يشبه حد
في العدو بحاله انقضاض البازي والعقاب وليست تلك الحاله باسرع احوالها
طيرانها ۞ واما البيت الثاني فقوله ان الاذنين كانتهما من ورق موصل وانما اراد
بذلك حدتهما وسرعه حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بخفيف
الريح وظاهر التشبيه غير واقع واذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا
ولكن لا يدل عليه اللفظ وانما يجري مجرى المضمن وليس هذا البيت برايق اللفظ
ولا مشاكل فيه لطبعه غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر هو حسن ۞
واما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب انه من باب الاستطراد ونقلنا
نظاير ذلك من قول ابي تمام وغيره وقطعه ابي تمام في نهايه الحسن في هذا المعنى
والذي وقع للبحتري في هذا البيت عندي ليس بجيد في لفظ ولا معنى وهو بيت
وحش جدا قد صار قذى في عين هذه القصيده بل وخزا فيها ووبالا عليها قد كدر
صفاها واذهب بهاها وماها وطمس بظلمته سناها وماوجه مدح الفرس
بانه لا يعاف قذى من المياه اذا وردها كانه اراد ان يسلك مسلك بشار في قوله
ولا يشرب الماء الا بدم واذا كان لهذا الباب مجانبا وعن هذا التمت بعيدا فهلا
وصفها بعزة الشرب كما وصفها المتنبي في قوله وصول الى المستصعبات
بخيله فلو كان قرن الشمس ماء لاوردا ۞ وهلا سلك فيه **مسلك القايل**

واني للماء الذي شابه القذى اذا كثرت وراده لعيوف ۞

ثم ولو اوردته يوما حشوا باردا ثم قوله حمدويه الاحول وحش جدا فما امقت
هذا البيت وابغضه وما اثقله واسخفه وانما غطى على عينه عيبه وزين له
ايراده طمعه في الاستطراد وهلا طمع فيه على وجه لا يغض من بهجه كلامه ولا
معنى الفاظه فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذر **فاما قوله**

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل

توهم والجوزاء في ارساغه والبدر فوق جبينه المتهلل

فالبيت الاول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقد ذكرنا انه لا يهتدى
لوصل الكلام ونظام بعضه الى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان يحتاج
ان يقول ذنب كالرداء فقد حذف الوصل غير متسق ولا مليح وكان من سبيله الا يخفى
عليه ولا يذهب عن مثله ثم قوله كما سحب الرداء قبيح في تحقيق التشبيه وليس بواقع
ولا مستقيم في العباره الا على اضمار انه ذنب يسحبه كما يسحب وقوله يذب عن

عرفٍ ليس بحسنٍ ولا صادقٍ والمحمود ما ذكره امرؤ القيس وهو قوله

فوق الارض ليس بالغزل

واما قوله تتوهم الجوزاء في ارساغه فهو تشبيه مليح ولكنه لم يسبق اليه ولا انفرد به ولو نسخت لك ما قاله الشعراء في تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور وتشبيه الحجول لتعجبت من بدايع قد وقعوا عليها وامورٍ مليحةٍ قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضع كلامنا فنتتبع ذلك في اشعارهم بعلم لم وصفت لك واعلم انا تركنا بقيه كلامه في وصف الفرس لانه ذكر عشرين بيتاً في ذلك والذي ذكرناه في المعنى يدل على ما بعده ولا بعده ما تركناه ان يكون متوسطاً الى احدٍ لا يفوت طريقه الشعراء ولو تتبعت اقاويل الشعراء في وصف الخيل علمت انه وان جمع فاوعى وحش فنادى فقيهم من سبقه في ميدانه ومنهم من ساواه في شاوه ومنهم من دافاه فالقبيل واحدٌ والنسيج متشاكل ولولا كراهه التطويل لنقلت جمله من اشعارهم في ذلك لتقف على ما قلت فنجاوزنا الى الكلام على ما قاله في المدح في هذه القصيدة فقال

محمد بن علي الشرف الذي لا يلحظ الجوزاء الا من عل

وسحابة لو لا تتابع منزنها فينا لراح المزن غير مبخل

والجود يعذله عليه حاتم سرفاً ولا جود لمن لم يعذل

البيت الاول منقطع عما قبله على ما وصفنا به شعره من قطعه المعاني وفصله بينها وقلة تاتيه لتجويد الخروج والوصل وذلك نقصان في الصناعة وتحلف في البراعة وهذا اذا وقع في مواضع قليلةٍ عذر فيها واما اذا كان بناء الغالب من كلامه على هذا فلا عذر له واما المعنى الذي ذكره فليس بشيء مما سبق اليه وهو شيء مشترك فيه وقد قالوا في نحو وان مجده سماء السماء وقالوا في نحوه الكثير الذي بصعب نقل جميعه وكما قال المتنبي

وعزمه بعثتها همة زحل من تحتها بمكان الترب من زحل

وحدثني اسمعيل ابن عبادٍ انه راى ابو الفضل ابن العميد قام لرجل ثم قال لمن حضره اتدرى من هذا قال هذا الذي قال في ابيه البحتري لمحمد ابن القاسم الشرف الذي فذلك على استعظامه للبيت بما مدح به من البيت والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحابة قريب وهو حديث مكرر ليس بفك مديح شاعرٍ منه وكان من سبيله ان يبدع فيه زياده ابداعٍ كما قد يقع لهم في نحو هذا ولكن لم يتصنع له وارسله ارسالاً وقد وقع في المصراع الثاني ضربٌ من الخلل وذلك ان المزن انما يبخل اذا منع

نيله فذلك موجود في كل نيلٍ ممنوحٍ وكلاهما محمود مع الاسعاف فاذا سعف احدهما ومنع الاخر لم يمكن التشبيه وان كان انما شبه غالبا احدهما بالاخر وذكر قصور احدهما عن صاحبه حتى انه قد يبخل في وقتٍ والاخر لا يبخل بحال فهذا جيد وليس في حمل الالفاظ على الاشاره الى هذا شيء والبيت الثالث وان كان معناه مكررا فلفظه مضطربٌ بالتاخير والتقديم يشبه الفاظ المبتدين واما قوله

فضلٌ وافضالٌ وما اخذ المدى بعد المدى كالفاضل المتفضل

سار راد الدلج العفاة الى الندى لا يصنع المعروف غير معجل

فالبيت الاول منقطع عما قبله وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس ببديع لتكرره على كل لسانٍ وقوله ما اخذ المدى فانه لفظ مليح وهو كقول القائل

قد اركب الالة بعد الاله وروى الحاله بعد الحالة

وكقول امرىء القيس

شموحيات الماء حالاً على حال ولكنها طريقه مد الله فهو فيها تابع واما البيت الثاني فقريب في اللفظ والمعنى وقوله لا يصنع المعروف ليس بلفظٍ محمودٍ واما قوله

عالٍ على نظر الحسود كانما جذبته افراد النجوم باجل

او ما رايت المجد القى رحله في آل طلحه ثم لم يتحول

فالبيت الاول منكر جداً في جر النجوم بالارسان موضعه الى العلو والتكلف فيه واقع والبيت الثاني اجنبي عنه بعيد منه وافتتاحه ردي وما وجه الاستفهام والتقرير والاستبانه والتوقيف والتبيان اجنبيان من كلامه غرسان في قصيدته ولم يقع له في المدح في هذه القصيده شيء جيد الا ترى انه قال بعد ذلك

نفسي فداوك يا محمد من فتى يوفي على ظلم الخطوب فتبخل

اني اريد ابى سعيدٍ والعدى بيني وبين سحابه المتهلل

كان هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله

مضر الجزيرة كلها وبيعه الخابون توعذى وازد الموصل

قد جدت بالطرف الجواد فتئه لا تبخلن من ارد ابيك بمنصل

البيت الاول حسن المعنى وان كانت الفاظه بذكر الاماكن لا يتاتى فيه التحسين و هذا المعنى قد يمكن ايراده باحسن من هذا اللفظ وابدع منه وارق منه كقوله

اذا غضبت عليك بنو تميمٍ رايت الناس كلهم غضابا

والبيت الثاني قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجهٍ يلطف وهو قبيح

اللفظ حيث يقول فيه فتشه لاخيك من ادرايك من اخذه بهذا التعرض لهذا
السجع وذكر هذا السجع وذكر هذا النسب حتى افسد به شعره واما قوله بعد ذلك في
وصف السيف يقول

يتناول الروح البعيد منالها عفوا ويفتح في القضاء المقفل
بابانة في كل حتف مظلم وهداية في كل نفس مجهل
ماض وان لم تمضه يد فارس بطل ومصقول وان لم يصقل

ليس لفظ البيت الاول بمضاء لديباجه شعره ولا له بهجه نظمه لظهور اثر
التكلف عليه وبين ثقل فيه واما القضاء المقفل وفتحه فكلام غير محمود ولا
مرضي واستعاره لو لم يستعرها كانت اولى به وهلا عيب عليه كما عيب على ابي
تمام قوله

فضربت الشتاء في احد عيه ضربة غادرته عودا ركوبا

وقالوا يستحق بهذه الاستعاره ان يصنع في اخدعيه وقد اتبعه البحتري في
استعاره الاخدع ولو عابا تباعه فقال في الفتح

واني قد بلغتني الشرف العلى واعتقت من ذل المطامع اخدعي

ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمه وتابعه حين حسن عنده هذه اللفظه الخبيثه
ما رد ورد ي معانداراد ان يطلق اعنه الذم فيه ويسرح جيوش العتاب اليه
ولم يقنع بقفل القضاء حتى جعل للحتف ظلمه تحلى بالسيف وجعل السيف
هاديا في النفس المجهل الذي لا يهتدي اليه وليس في هذا مع تحسين اللفظ و
تميقه شي لان السلاح وان كان معينا فانه يهتدي الى النفس وكاد يجبان
يبدع في هذا ابداع المتنبي في قوله

كان الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الاسنة من هموم فما يخطرن الا في فؤاد

فالاهتداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن وفي البيت الاول شي اخر وذلك
ان قوله ويفتح في القضاء في هذا الموضع حشو ردي يلحق بصاحب للكنه ويلزمه
الهجنه واما البيت الثالث فانه اصلح هذه الابيات وان كان ذكر الفارس حشوا
وتكلفا ولغوا لان هذا لا يتغير بالفارس والراجل على انه ليس فيه بديع

يغشى الوغا والتوس ليس بجنة من حده والدرع ليس بمعقل
مصقع الى محكم الردي فاذا مضى لم ينتفت واذا قضى لم يعدل
متوقد يبري باول ضربه ما ادركت ولوانها في يذبل

البيتان

البيتان الاولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه وهي طريقته التي يجتنبها و
ذلك من التسبك الكتابي والكلام المعتدل الا انه لم يبدع فيهما بشي وقد زيد عليه
فيهما ومن قصد الى ان يكمل عشره ابيات في وصف السيف فليس من حكمه ان يأتي
باشياء منقوله وامور مذكوره وسبيله ان يغرب ويبدع كما ابدع
المتنبي في قوله

سله الركض بعد وهن بجد فتصدى للغيث اهل الحجاز

هذا في باب صقاله واضوايه وكثره مائه وكقوله

ريان لو قذف الذي اسقيته لجرى من المهجات بحر مزبد

وقوله مصغ الى حكم الردى اذا املته مقلوب كان ينبغي ان يقول يصغي الردى الى
حكمه كما قال الاخر

فالسيف يأمر والاقدار تنتظر وقوله واذا قضى لم يعد لم متكرر
على السنتهم في الشعر خاصة في نفس هذا المعنى والبيت الثالث سليم وهو
كالاولين في خلوه عن البديع فاما قوله

فاذا اضاب فكل شي مقتل واذا اصيب فماله من مقتل
وكانما سود البنان وحمرها دنب بايد في قراه وارجل

البيت الاول يقصد به صنعه اللفظ وهو في المعنى متفاوت لان المضرب
قد لا يكون مقتلا وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون ان هذا ابدع من قول المتنبي
وانه بضده

يقتل السيف في جسم القتيل به وللسيوف كما للناس اجال

وهذه طريقه لهم يتمدحون بها في قصد الرمح طعنا وتقطيع السيف ضربا وفي
قوله واذا اصيب فماله من مقتل تعسف لانه يريد بذلك انه لا يتكسر فالتعبير
بما عبر به عن المعنى الذي ذكرنا ويتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر
والذي عليه الجمله ما حكينا عن غيره ونحوه قال بعض اهل الزمان

يقصف في الفارس السمهري وصدر الحسام فريقا فريقا

والبيت الثاني ايضا هو معنى مكرر على السنه الشعراء واما تصنيعه بسود انمال
وحمرها فليس بشي ولعله اراد بالحمر الذر والتفصيل بارد والاغراب به منكر
وهو كما حكى بعضهم انه قال كان كذا حين كانت الثريا بحذاء راسي على سواء او
منحرفا قدر شبر او نصف شبر او اصبع او ما يقارب ذلك فقيل له هذا من الورع
الذي ببعضه الله ويمقته الناس ورب زياده كانت نقصانا وصفه النمل بالسوا

والحمره فى هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقيه البيت فى قوله

دتّب بايدٍ فى قراه وارجل وكان يكفى ذكر الارجل عن ذكر الايدى ووصف الفرد
بمدبّ النمل شئ لا يشذّ عن احدٍ منهم واما قوله

وكان شاهره اذا استضوى به الزّحفان يعصمى بالسماك الاعزل

حملت حمايله القديمه بقلةً من عهد عادٍ غضّةً لم تذبل

البيت الاوّل منهما فيه ضرب من التكلّف وهو منقول من اشعارهم والفاظهم
واحتاج الى ان يجعله اعزل للقافيه ولو لم يحتج الى ذلك كان خيرًا له لانّ الصّفه
فى هذا الموضع تفضّ من الموضع وموضع التكلّف الذى ادعيناه لكشو الّذى
ذكره من قوله اذا استضوى به الزّحفان وكان يكفى ان يقول كان صاحبه
يعصمى بالسّماك وهذا وان كان قد تعمل فيه اللفظ فهو لغو على ما بيّنا واما
البيت الثانى ففيه لغو من جهه قوله حمايله قديمه ولا فضيله له فى ذلك ثمّ
تشبيه السّيف بالنقله من تشبيهات العامّه والكلام الرّذل التذلّ لانّ
العامّه قد يتفوّق منها تشبيه واقع حسن ثمّ انظر الى هذا المقطع الّذى هو بالعمّى اشبه
منه بالفصاحه والى اللكنه اقرب منه الى البراعه وقد بيّنا انّ مراعاه الفواتح و
الخواتم والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحّه الكلام ووجود الفصاحه
فيه ممّا لا بدّ منه وانّ الاخلال بذلك يخلّ بالنّظم ويذهب رونقه ويحيل بهجته
ويأخذ ماءه وبهاءه ٥ وقد اطلت عليك فيما نقلت وتكلّفت ما سطرت لانّ
هذا القبيل قبيل موضوع متمثّل مصنوع واصل الباب فى الشعر على ان ينظر الى
جمله القصّه ثمّ يتمثّل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ولا يتامّل مطارحها
وقد نقصد تارةً الى تحقيق الاغراض وتصوير المعانى الّتى فى النفوس ولكنّه يلحق
باصل بابه ويميل بك الى موضعه وبحسب الاهتمام بالصّنعه يقع فيها التفاضل
وان اردت ان تعرف اوصاف الفرس فقد ذكرت لك انّ الشعراء قد تصرّفوا فى
ذلك بما يقع اليك ان كنت من اهل الصّنعه ممّا يطول على نقله وكذلك فى السّيف
وذكر لى بعض اهل الادب انّ احسن قطعةٍ فى السّيف قول ابى هول الحميرى

حاز صمصامة الزّبيدىّ من بين جميع الانام موسى الامين
سيف عمرٍو وكان فيما سمعنا خير ما اطبقت عليه الجفون
اخضر اللّون بين بردٍ يه حدّ من ذعافٍ تميس فيه المنون
اوقدت فوق الصّواعق نارًا ثمّ شابت له الذعاف القيون
فاذا ما شهرته بهرّ الشّمس ضياءً فلم تكد تستبين

يستطيرُ

والّما يقول قريشىّ على الرّجال بكوكبٍ فجعل ذلك الكوكب السّنان

يستطير الابصار كالقبس المشعل لا تستقيم فيه العيون
وكانّ الفرند والرونق الجارى فى صفحتيه ماءُ معين
نعم مخراق دنى لحفيظه فى الهيجاء يعصى به ونعم القرين
ما يبالى اذا انتحاه لضربٍ اشمالٍ سطت به ام يمين

وانّما يوازن شعر البحترى بشعر شاعرٍ من طبقته ومن اهل عصره ومن هو فى
مضماره او فى منزلته ومعرفه اجناس الكلام والوقوف على اسراره والوقوع
على مقداره شئ وان كان عزيزًا وامرٌ وان كان بعيدًا فهو سهل على اهله مستجيب
لاصحابه مطيعٌ لاربابه ينقدون الحروف ويعرفون الصّروف وانّما تبقى
الشّبهه فى ترتيب الحال من البحترى وابى تمّامٍ وابن الرّومى وغيره وتخرّ وان
كنّا تفضّل البحترى بديباجه شعره على ابن الرّومى وغيره من اهل زمانه و
وتقدّمه بحسن عبارته وسلاسه كلامه وعذوبه الفاظه وقله تعقّد
قوله والشعر قبيل ملتمس مستدرك وامرٌ ممكن مطيع ٥

ونظم القرآن غالٍ عزّ ان يعلق به الوهم او يسمو اليه الفكر او يطمع
فيه طامع او يطلبه طالب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه سرمل
من حكيم حميد ٥ وكنت قد ذكرت لك قبل هذا انك ان كنت بصنعه علم اللّسان
متدربًا وفيه متوجّهًا متقدّمًا امكنك الوقوف على ما ذكرنا والتفوّد فيما وصفنا
والّا فاجلس فى مجلس المتقلّدين وارض بمواقف المتحيّرين ونصحت لك حيث قلت
انظر هل تعرف عروق الذّهب ومحاسن الجوهر وبدايع الياقوت ودقايق السّحر
من غير معرفةٍ باسباب هذه الامور ومقدّماتها وهل يقطع سمت البلاد من غير
اهتداءٍ فيها ولكلّ شئ طريق يتوصّل اليه برويات يوخذ نحوه فيه ووجه يوتى
منه ومعرفه الكلام اشدّ من المعرفه بجميع ما وصفت لك واعمض وادقّ والطف
وتصوير ما فى النفس وتشكيك ما فى القلب حتّى تعلمه وكانك مشاهده وان كان
قد يقع بالاشاره ويحصل بالدّلاله والامارة كما يحصل بالمنطق الصّحيح والقول
القبيح فللاشارات ايضًا مراتب وللسان منازل ربّ وصفٍ يصوّر لك الموصوف
كما هو على جهته لا خلف فيه وربّ وصفٍ يبرّ عليه ويتعداه وربّ وصفٍ يقصر
عنه ثمّ اذا صدق الوصف انقسم الى صحّةٍ واتقانٍ وحسنٍ واحسانٍ والى اجمالٍ
وشرحٍ والى استيفاءٍ وتقريبٍ والى غير ذلك من الوجوه ولكلّ مذهبٌ وطريقٌ
وله بابٌ وسبيلٌ ووصف الجمله الواقعه كقوله تعالى لو اطّلعت عليهم لوليت
منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا والتفسير كقوله ويوم تسير الجبال وترى الارض

بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا الى اخر الايات فى هذا المعنى ونحو قوله
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن
عذاب الله شديد هذا مما يصور الشئ على جهته ويمثل اهوال ذلك اليوم ۞ ومما
يصور لك الكلام الواقع فى الصقه كقوله حكاية عن السحره لما توعدهم فرعون
بما توعدهم به حين امنوا قالوا انا الى ربنا لمنقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا ان كنا اول المومنين وقال فى موضع اخر انا الى ربنا منقلبون وما
تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين
وهذا ينبى عن الكلام الحزين لما ناله الجازع لما مسه ۞ ومن باب
التسخير والتكوير قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
وقوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وكقوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق وكان كل فرق كالطود العظيم وتقصى اقسام ذلك مما يطول ولم
اقصد استيفاء ذلك وانما ضربت لك المثل بما ذكرت ليستدل واشرت اليك بما
اشرت لتتامل وانما اقتصرنا على ذكر قصيده البحترى لان الكتاب يفصلونه على
اهل دهره ويقدمونه على من فى عصره ومنهم يدعى له الاعجاز غلوا وبزعم انه يناغى
البحتى فى قوله علوا والملحد تستظهر بشعره وتتكثر بقوله وترى كلامه من شباتهم
وعباراته مضافا الى ما عندهم تترها تهم فدنا قدر درجته وموضع رتبته وحد
كلامه وهيهات ان يكون المطموع فيه كالمايوس منه وان يكون كالنهار والباطل
كالحق وكلام رب العالمين كلام البشر فان قال قايل فقد قدح
الملحد فى نظم القرآن وادعى عليه الخلل فى البيان واضاف اليه الخطاء فى المعنى
واللفظ ۞ وقال ما قال فهل من فصل قيل الكلام على مطاعن الملحده فى القرآن
مما قد سبقنا اليه وصنف اهل الادب فى بعضه فكفوا واتى المتكلمون على ما وقع
اليهم فشفوا ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه فى كتابنا واما الغرض الذى
صنفنا فيه فى التفصيل والكشف عن اعجاز القرآن فلم نجده على التقريب الذى قصدنا
وقد رجونا ان يكون ذلك معينا وواقعا وان سهل الله لنا ما نويناه من املاء معا
فى القرآن ذكرنا فى ذلك ما يشتبه من الجنس الذى ذكروه لان اكثر ما يقع من الطعن
عليه فانما يقع على الجهل القوم بالمعانى وبطريقه الكلام العرب وليس ذلك من
مقصود كتابنا هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فضل كلام الله على ساير الكلام
كفضل الله على خلقه وقد قصدنا فيما املينا ه الاختصار ومهد

الطريق

الطريق فمن كمل طبعه للوقوع على فضل اجناس الكلام استدرك ما بينا ومن تعذر عليه
الحكم بين شعر جرير والفرزدق والاخطل والحكم بين فضل زهير والنابغه او الفضل
بين البحترى واصحابه ولم يعرف سخف مسيلمه فى نظمه ولم يعلم انه من الباب الذى يهزا به
ويسخر منه كشعر الى العنبس فى جمله الشعر وشعر على ابن صلاة فكيف يمكنه النظر
فى ما وصفنا والحكم على ما بينا فان قال قايل فاذكر لنا من هولاء الشعراء
الذين سميتهم الاشعر والابلغ قل له هذا ايضا خارج عن غرض
هذا الكتاب وقد تكلم فيه الادباء ويحتاج ان يجدد له نحو هذا كتاب ويفرد له باب
وليس من قبيل ما نحن فيه بسبيل ولقايل ان يقول قد يسلم بعض الكلام من
العوارض والعيوب ويبلغ امده فى الفصاحه والنظم العجيب ولا يبلغ عند لم
حد المعجز فلم قضيتم بما قضيتم به فى القرآن دون غيره من الكلام وانما لم يصح
هذا السوال وما تذكر فيه من اشعار فى نهايه الحسن وخطب ورسايل فى غايه
الفضل لانا قد بينا ان هذه الاجناس قد وقع التنازع فيها والمساماه عليها
والتنافس فى طرقها والتفاضل فى ابوابها وكان البون بين البعض والبعض فى
الطبقه الواحده قريبا والتفاوت خفيفا وذلك القدر من السبق ان ذهب
عنه الواحد لم يايس منه الباقون ولم ينقطع الطمع فى مثله وليس كذلك سمت
القرآن لانه قد عرفنا انا لو هم ينقطع دون مجاراته والطمع يرتفع عن مباراته
ومساماته وان الكل فى العجز عنه على حد واحد وكذلك قد نرى عموم ان كلام
الحاحظ من السمت الذى لا يوخذ فيه والباب الذى لا يذهب عنه وانت تجد قوما
يرون كلامه قريبا ومنهاجه معيبا ونطاق قوله ضيقا حتى يستقين بكلام غير
ويقرع الى ما يوشح به كلامه من بيت سايره ومثل بيت نادر وحكم ممهده منقوله
وقصه عجيبه ماثوره واما كلامه فى اثناء ذلك نسطور قليله والفاظ يسيره
فاذا احوج الى تطويل خاليا عن شى يستعين به فيخلطه بقوله من قول غيره
كان كلاما ككلام غيره فان اردت ان تحقق هذا فانظر فى كتبه فى نظم
القرآن وفى الرد على النصارى وفى خبر الواحد وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى هل
تجد فى ذلك كله ورقه تشتمل على نظم بديع او كلام مليح على ان متاجرى الكتاب
قد نازعوه فى طريقته وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه ومنهم
من بز عليه اذ باراه ۞ هذا ابو الفضل ابن العميد قد سلك
مسلكه واخذ طريقه فلم يقصر عنه ولعله قد بان تقدمه عليه لانه ياخذ فى الرساله
الطويله فيستوفيها على مذهبه ويكملها على شروط صنعته ولا يقتصر على ان

حدود صح

يا تى الاسطر من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعله فى كتبه متى ذكر من كلا
سطرا اتبعه من كلام الناس اوزاقا واذا ذكر منه صفحه بنى عليه من قول غيره
كاباً وهذا يدلك على ان الشئ اذا استحسن اتبع واذا استملح قصد له وتمد
وهذا الشى يرجع الى الاخذ بالفضل والتنافس فى التقدم فلو كان فى مقدور
البشر معارضه بالقرآن لهذا الغرض وحده لكثرت المعارضات ودامت
المنافسات فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها وجوالب لا حد لكثرتها لانهم
لو كانوا عارضوه لتوصلوا الى تكذيبه ثم الى قطع المحامين دونه عنه او تنفير
هم عليه وادخال الشبهات على قلوبهم وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل
النفوس ونصب الارواح والاخطار بالاموال والتدرّى فى وجه عداوته
ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربته وطول
منافسته ومجاذبته وهذا الذى عرضناه على قلبك يكفى ان هديت لرشدك
ويشفى ان دللت على قصدك ونسيل الله حسن التوفيق والعصمه والتسديد
انه لا معرفه الا بهدايته ولا عصمه الا بكفايته وهو على ما يشاء قدير وحسبنا
الله ونعم الوكيل ۞ فصل فان قال قايل قد يجوز ان يكون
اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن وان كان
من بعدهم من اهل الاعصار لم يعجزوا ۞ قيل هذا سوال معروف
وقد اجيب عنه بوجوه منها ما هو صواب ومنها ما فيه خلل الا ان من كان يجيب
عنه بانهم لا يقدرون على معارضته فى الاخبار عن الغيوب ان قدروا على مثل
نظمه فقد سلم المسئله لانا ذكرنا ان نظمه معجز لا يقدر عليه فاذا اجاب بما
قدمناه فقد وافق السايل عن مراده والوجه ان يقال فيه طرق منها انا اذا علمنا
ان اهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الاتيان بمثله فمن بعدهم اعجز لان فصاحه
اولئك فى وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول تما لا يزيد عليه فصاحة من
بعدهم واحسن احوالهم ان يقاربوهم او يساووهم فاما ان يتقدموهم او
يسبقوهم فلا ومنها انا قد علمنا عجز اهل ساير الاعصار كعلمنا بعجز اهل
العصر الاول والطريق فى العلم بكل واحد من الامرين طريق واحد لا التحدى فى
الكل على جهه واحده والتنافس فى الطباع على حد واحد والتكلف على منهاج لا يختلف
ولذلك قال الله تبارك وتعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ۞ فصل فى
التحدى يجب ان نعلم ان من حكم المعجزات اذا ظهرت على الانبياء ان يدعوا

فيها انها مما يدل لانتهم وايا تهم لا يصح ان يقع الشئ من غير ان يدل او
يوذن بايه لان النبى لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بصوته ولا بشئ اخر سوى
البرهان الذى يظهر عليه فيستدل به على صدقه فاذا تحداهم ازعجه انتى و
كانوا عاجزين عنها صح له ما ادعاه ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح ان يكون بر ها
له وليس يكون ذلك معجزا بان يتحداهم الف انسان فاذا تحداهم وبان عجزهم صار
ذلك معجزا وانما احتيج فى باب القرآن الى التحدى لان من الناس من لا يعرف كونه
معجزا فانما يعرفه ولا اعجازه بطريق لان الكلام المعجز لا يتميز من غيره بجوهره
وصورته وانما يحتاج الى علم وطريق يتوصل به الى معرفه كونه معجزا فان كان
لا يعرف بعضهم اعجازه فيجب ان يعرف هنا حتى يمكنه ان يستدل به ۞
ومتى راى اهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه باجمعهم مع التحدى
اليه والتقريع به والتمكين منه صار حينيذ بمنزله من راى اليد البيضاء و
انقلاب العصا ثعبانا تتلقف ما يافكون واما من كان من اهل صنعه
العربيه والتقدم فى البلاغه ومعرفه فنون القول ووجوه المنطوق فانه يعرف
حين يسمعه عجزه عن الاتيان بمثله ويعرف ايضا اهل عصره ممن هو فى طبقته
او يدانيه فى صناعته عجزهم عنه فلا يحتاج الى التحدى حتى يعلم به كونه معجزا
ولو كان اهل الصنعه الذين صفتهم ما بينا لا يعرفون كونه معجزا حتى يعرفوا عجز
غيرهم عنه لم يجز ان يعرف النبى صلى الله عليه وسلم ان القرآن معجز حتى يرى عجز
قريش عنه بعد التحدى اليه واذا عرف عجز قريش لم يعرف عجز ساير العرب عنه
حتى ينتهى الى التحدى الى اقصاهم وحتى يعرف عجز مسيلمه الكذاب عنه ثم يعرف
حينيذ كونه معجزا وهذا القول ان قيل اخش ما يكون من الخطاء فيجب ان تكون
منزله اهل الصنعه فى معرفه اعجاز القرآن بانفسهم منزله من راى اليد البيضاء
وفلق البحر بان ذلك معجز واما من لم يكن من اهل الصنعه فلا بد له من مرتبه قبل
هذه المرتبه يعرف بها كونه معجزا فيساوى حينيذ اهل الصنعه فيكون استدلا
فى تلك الحاله على صدق من ظهر ذلك عليه على سواء اذا ادعاه دلاله على نبوته
وبرهانا على صدقه فاما من قدر ان القرآن لا يصير معجزا الا بالتحدى اليه فهو
كتقدير من ظن ان جميع ايات موسى وعيسى عليهما السلم ليست بايات حتى
يقع التحدى اليها والنص عليها ثم يقع العجز عنها فيعلم حينيذ انها معجزات و
قد سلف من كلامنا فى هذا المعنى ما يغنى عن اعاده وبين ما ذكرناه فى غير
البليغ ان الاعجمى الان يعرف اعجاز القرآن الا بامور زايده على الاعجمى الذى كان

لهما

فى ذلك الزمان مشاهدا له لانّ من هو من اهل العصر يحتاج ان يعرف
العرب عجزوا عنه وانما يعلم عجزهم عنه بنقل التّا قله اليه انّ النبىّ صلّى الله عليه
وسلّم قد تحدى العرب اليه فعجزوا عنه ويحتاج فى النقل الى شروطٍ وليس يصير
القرآن بهذا النقل معجزًا كذلك لا يصير معجزًا بان يعلم العزّ الذى ليس ببليغ انهم
قد عجزوا عنه باجمعهم بل هو معجز فى نفسه وانّما طريق معرفه هذا وقوعهم
على العلم العجزهم عنه ۞ **فصل فى قدر المعجز من القرآن**
الذى ذهب اليه عامّه اصحابنا وهو قول ابى الحسن الاشعرى رضى الله عنه فى
كتبه انّ اقل ما يعجز عنه من القرآن السّوره قصيرةً كانت او طويلةً او ما كان
بقدرها قال فاذا كانت الايه بقدر حروف سوره وان كانت سوره الكوثر فذلك
معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضه فى اقلّ من هذا القدر ۞
وذهبت المعتزله الى انّ كل سورةٍ برأسها فهى معجزه
وقد حكى عنهم نحو قولنا الّا انّ منهم من لم يشترط كون الايه بقدر السوره
كلها ولم يخصّ ولم يا توا لشى منها بمثل فعلم انّ جميع ذلك معجز ۞ واما قوله عزّ
وجلّ فليا توا بحديثٍ مثله فليس بمخالفٍ لهذا لانّ الحديث التّام لا تحصّل
حكايته فى اقلّ من كلماتٍ سوره قصيره وهذا يوكّد ما ذهب اليه اصحابنا و
يؤيّده وان كان قديما وقوله فليا توا بحديثٍ مثله على ان يكون راجعًا الى
القبيل دون التّفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى قل لين اجتمعت الانس والجنّ على
ان يا توا بمثل هذا القرآن لا يا تون بمثله على القبيل لانّه لم يجعل الحجّه عليهم عجزهم
عن الايتان بمثله بجميعه من اوّله الى اخره **فان قيل** هل تعرفون اعجاز السّور
القصار بما تعرفون به اعجاز السّور الطّوال وهل تعرفون اعجاز كلّ قدرٍ من القرآن
بلغ الحدّ الذى قدّروه بمثل ما تعرفون به اعجاز سورة البقره **فالجواب**
انّ ابا الحسن الاشعرىّ رحمة الله اجاب عن ذلك بان كل سورةٍ قد علم كونها معجزةً
بعجز العرب عنها ۞ وسمعت بعض الكبراء من اهل هذا الشان يقول انّ ذلك
بصحّ ان يكون علم ذلك توفيقًا والطريقه الاولى اسدّ وليس هذا الذى ذكرناه
اخيرًا بمنافٍ له لانّه لا يمتنع انّ يعلم اعجازه بطرقٍ مختلفه تتوافى عليه وتجتمع
فيه ۞ واعلم انّ تحت اختلاف هذه الاجوبه ضربًا من الفايده لانّ الطريقه
الاولى تبيّن انّ ما علم به كون جميع القرآن معجزًا موجود فى كل سوره صغرت او
كبرت فيجب ان يكون الحكم فى الكلّ واحدًا والطريقه الاخيره تتضمّن تعذّر
معرفه اعجاز القرآن بالطّريقه التى سلكناه فى كتابنا من التّفصيل الذى بيّنا

فيما يعرف به فى الكلام الفصاحه وتتبيّن فيه البلاغه حتّى يعلم ذلك بوجهٍ اخر
فيستوى فى هذا القدر البليغ وغيره فى انّ لا يعلم معجزًا حتّى يستدلّ به من وجهٍ
اخر سوى ما يعلمه البلغاء من التقدّم فى الصّنعه وهذا غير ممتنعٍ الا ترى انّ الاعجاز
فى بعض السّور والايات اظهر وفى بعضها اغمض وادقّ ولا يفتقر البليغ فى
النّظر فى حال بعضها الى نظرٍ دقيقٍ وبحثٍ لطيفٍ حتّى يقع على الجليّه ويصل الى
المطلب ولا يمتنع ان يذهب عليه الوجه فى بعض السّور فيحتاج ان يقرع فيه
الى اجماعٍ او توقيف او ما علمه من العرب قاطبه عنه **فان ادّعى ملحدٌ**
او زعم رتديق انّه لا يقع العجز عن الايتان بمثل السور القصار
والايات بهذا المقدار قلنا له انّ الاعجاز قد حصل بما بيّناه وعرف بما وقفنا
عليه من عجز العرب عنه ثمّ فيه شى اخر وهو انّ هذا سوال لا يستقيم للملحد
لانّه يزعم انه ليس فى القرآن كلّه اعجاز فكيف يجوز ان يناظره على تفصيله فاذا
ثبت لنا معه اعجازه فى السّور الطّوال قامت الحجه عليه وثبتت المعجزه ولا معنى
لطلبه لكثره الادله والمعجزات ونحن نعلم انّ عجاز البعض بما بيّناه والبعض الاخر
بانّه اذا ثبت الاصل لم يبق بعد ذلك الّا قولنا لا نا عرفنا فى البعض الاعجاز بما
بيّنا ثمّ عرفنا فى الباقى بالتّوقيف ونحو ذلك وليس بممتنعٍ اختلاف حال الكلام
حتّى يكون الاعجاز على بعضه اظهر وفى بعضه اغمض ومن امن ببعضٍ دون بعضٍ
كان مذمومًا على ما قال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضٍ
وقال وننزّل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمه للمؤمنين فظاهره عند بعض اهل التا ويل
كالدّليل على انّ الشّفاء ببعضه اوقع وان كنا نقول انّه يدلّ على انّ الشّفاء فى
جميعه ۞ واعلم انّ الكلام يقع فيه الابلغ والبليغ ولذلك كانوا يسمّون الكلمه
يتيمه ويسمّون البيت الواحد يتيمًا ۞ سمعت اسمعيل ابن عبادٍ يقول سمعت
ابا بكر ابن مقسمٍ يقول سمعت ثعلبًا يقول سمعت الفرّاء يقول العرب تسمّى البيت
الواحد يتيمًا وكذلك يقال الدّرّه اليتيمه لانفرادها فاذا بلغ البيتين و
الثلثه فهى تنفه والى العشره تسمى قطعةً فاذا بلغ العشرين استحقّ ان يسمّى
قصيدًا وذلك ما نحن فيه من المخ القصيد وهو المتراكم بعضه على بعضٍ وهو ضدّ
الرّاز ومثله الرشيد انتهت الحكايه ثمّ استشهد **بقول لبيدٍ**

فتذكّرا ثقلًا رثيدًا بعدما ألقت ذكاء يمينها فى كافرٍ

يريد بيّض النّعام لا ينضدّ بعضه على بعضٍ وكذلك يقع فى الكلام البيت الوحشىّ
النّادر والمثل السّاير والمعنى الغريب والشى الذى لو اجتهد له لم يقع عليه

فيتفق له ويصادفه ۞ قال لي بعض علماء هذه الصنعه وهو الحق
انّ هذا ممّا لا سبب له يخصّه وانّما سببه الغزاره في اصل الصنعه والتقدّم في
عيون المعرفه فاذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرد عن حسابٍ وما يشذّ عن
تفصيل الحساب فاما ما قلنا من انّه ما بلغ قدر السوره معجز فانّ ذلك صحيح ۞

فصل في انّه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورةً وذهب ابو الحسن الاشعري
الى انّ ظهور ذلك على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يعلم ضرورةً وكونه معجزًا يعلم
باستدلال وهذا المذهب محكيّ عن المخالفين والذي نقوله في هذا انّ الاعجميّ
لا يمكنه ان يعلم اعجازه الّا استدلالًا وكذلك من لم يكن بليغًا فاما البليغ الذي
قد احاط بمذاهب العربيه وغرايب الصنعه فانّه يعلم من نفسه ضرورةً عجزه
عن الاتيان بمثله ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه كما انّه اذا علم الواحد
منّا انّه لا يقدر على ذلك وهو يعلم عجز غيره استدلالًا ۞

فصل فيما يتعلّق به الاعجاز ۞ ان قال قايل بين لنا ما الذي
وقع التحدّي اليه اهو الحروف المنظومه او الكلام القايم بالذّات او غير ذلك قيل
تحداهم به ان ياتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومه كنظمها متتابعةً
كتتابعها مطّردةً كاطّرادها ولم يتحدّهم الى ان ياتوا بمثل الكلام القديم الذي لا
مثل له ان كان كذلك فالتحدّي واقع الى ان ياتوا بمثل الحروف المنظومه التي هي
عباره عن كلام الله تعالى في نظمها وتاليفها وهي حكايه لكلامه ودلالات
عليه واماراتٌ له على ان يكونوا مستانفين كذلك لا حاكين لما اتى به النبيّ
صلّى الله عليه وسلّم فلا يجب ان يقدر مقدّرا ويظنّ ظانّ انّا حين قلنا انّ القرآن
معجزٌ انّه تحداهم الى ان ياتوا بمثله اردنا غير ما فسّراه من العباراتٍ عن الكلام القديم
القايم بالذّات وقد بيّنا قبل هذا انّه لم يكن ذلك معجزًا لكونه عبارةً عن كلام
القديم لانّ التوراة والانجيل عباره عن كلام القديم وليس ذلك بمعجزٍ في النظم
والتاليف وكذلك ما دون الايه كالملفظه عباره عن كلامه وليست بمنفردها
بمعجزٍ وقد جوّز بعض اصحابنا ان يتحداهم الى مثل كلامه القديم القايم بنفسه
والذي عوّل عليه مشايخنا ما قدّمنا ذكره وعلى ذلك اكثر مذاهب الناس ولم
يختاروا ونفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذي حكيناه وما يتصل به لانّه
خارج عن غرض كتابنا لانّ الاعجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالاتٌ
وعباراتٌ عن كلامه والى مثل هذا النظم وقع التحدّي فبيّنا وجه ذلك وكيفيّه
ما يتصوّر القول فيه وازلنا توهّم من يتوهّم انّ الكلام القديم حروف منظومه

او حروف غير منظومه او شيء مولف او غير ذلك ممّا يصحّ ان يتوهّم على ما سبق من
اطلاق القول فيما مضى **فصل في وصف وجوهٍ من البلاغة**
ذكر بعض اهل الادب والكلام انّ البلاغه على عشره اقسام الايجاز
والتشبيه والاستعاره والتلاوم والفواصل والتجانس والتصريف
والتضمين والمبالغه وحسن البيان **فاما الايجاز** فانّما يحسن
مع ترك الاخلال باللفظ والمعنى فياتي باللفظ القليل الشامل لامورٍ كثيره وذلك
ينقسم الى حذف وقصرٍ فالحذف الاسقاط للتخفيف كقوله وسل القريه وقوله
طاعه وقول معروف وحذف الجواب كقوله ولو انّ قرانًا سيّرت به الجبال او قطّعت
به الارض او كلّم به الموتى كانّه قيل لكان هذا القرآن والحذف ابلغ من الذكر لانّ
النفس تذهب كلّ مذهبٍ في القصد من الجواب **والايجاز** بالقصر
كقوله ولكم في القصاص حياه وقوله يحسبون كلّ صيحةٍ عليهم هم العدوّ وقوله
انّما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيّي الّا باهله والاطناب فيه بلاغه فاما
التطويل ففيه عيّ **واما التشبيه** بالعقد على انّ احد الشيين
بسدّ مسدّ الاخر في حسٍّ او عقلٍ كقوله والذين كفروا اعمالهم كسرابٍ بقيعه
يحسبه الضمآن ماءً حتّى اذا جاءه لم يجده شيئًا وقوله مثل الذين كفروا بربهم
اعمالهم كرمادٍ اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ وقوله واذ سقنا الحيل فوقهم
كانّه ظلّه وقوله انّما مثل الحياة الدنيا كماءٍ انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض ممّا ياكل الناس والانعام حتّى اذا اخذت الارض زخرفها وازيّنت
وظنّ اهلها انّهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلًا او نهارًا فجعلناها حصيدًا
كان لم تغن بالامس وقوله انّا ارسلنا عليهم ريحًا صرصرًا في يومٍ نحسٍ مستمرٍّ
تنزع الناس كانّهم اعجاز نخلٍ منقعرٍ وقوله فاذا انشقّت السماء فكانت ورده
كالدهان وقوله انّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في
الاموال والاولاد كمثل غيثٍ اعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرًّا ثمّ يكون
حطامًا وقوله وجنّةٍ عرضها كعرض السماء والارض وقوله مثل الذين حمّلوا التوراة
ثمّ لم يحملوها كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وقوله كانّهم اعجاز نخلٍ خاويةٍ و
قوله مثل الذين اتّخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتًا وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت وقوله وله الجوار المنشئات في البحر كالاعلام وقوله خلق
الانسان من صلصال كالفخّار ونحو ذلك ۞ **ومن ذلك باب**
الاستعارة وهو بيان التشبيه كقوله تعالى وقدّمنا الى ما عملوا من

عمل فجعلناه هباءً منثورًا وكقوله فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وقوله ولما سكت عن موسى الغضب وكقوله
فمحونا ايه الليل وجعلنا ايه النهار مبصرة وقوله بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق فالدمغ والقذف مستعار وقوله وايه لهم الليل نسلخ
منه النهار وقوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم وقوله فذو دعاءٍ عريضٍ
وقوله حتى تضع الحرب اوزارها وقوله والصبح اذا تنفس وقوله مستهم البأساء
والضراء وقوله فنبذوه وراظهورهم وقوله اتاها امرنا ليلًا او نهارًا
فجعلناها حصيدًا وقوله حصيدًا خامدين وقوله الم تر انهم في كل وادٍ يهيمون
وقوله وداعيًا الى الله باذنه وسراجًا منيرًا وقوله لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
وقوله ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وقوله فضربنا على اذانهم
يريد الاحساس باذانهم من غير صممٍ وقوله ولما سقط في ايديهم وهذا اوقع من
اللفظ الظاهر وابلغ من الكلام الموضع له ۞ **واما التلاوم** فهو
تعديل الحروف في التاليف وهو تفيص التنافر **كقول الشاعر**

وقبر حربٍ بمكانٍ قفر ... وليس قرب قبر حربٍ قبر

قالوا هو من شعر الجن حروفه متنافره لا يمكن انشاده الا بتتعتع فيه ۞
والمتلاوم على ضربين احدهما في الطبقة الوسطى كقوله

رمتني وستر الله بيني وبينها ... عشية ارام الكناس رميم

رميم الذي قالت لجارات بيتها ... ضمنت لكم الا يزال يهيم

الا رب يومٍ لو رمتني رميتها ... ولكن عهدي بالنضال قديم

قالوا والمتلاوم في الطبقة العليا القرآن كله وان كان بعض الناس احسن
احساسًا من بعض كما ان بعضهم يفطن للموزون بخلاف بعضٍ والتلاوم
حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ ووقع المعنى في القلب وذلك كالخط
الحسن والبيان الشافي ۞ والمتنافر كالخط القبيح فاذا اتصاف الى التلاوم حسن
البيان وصحة البرهان في اعلى الطبقات ظهر الاعجاز لمن كان جيد الطبع وبصيرًا
بجوده الكلام كما يظهر له اعلى طبقة الشعر ۞ والمتنافر ذهب الخليل الى انه من
بعدٍ شديدٍ او قربٍ شديدٍ فاذا بعد فهو كالظفر فاذا قرب جدًا كان بمنزله متشى
المقيد وبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها **واما الفواصل**
فهي حروف متشاكله في المقاطع يقع بها افهام المعاني وفيها بلاغه والاسجاع
عيب لان السجع يتبع المعنى والفواصل تابعه للمعاني والسجع كقول مسيلمه ۞

ثم الفواصل

ثم الفواصل قد يقع على حروفٍ متجانسه كما قد تقع على حروفٍ متقاربه ولا يحتمل
القوافي ما تحتمل الفواصل لانها ليست في الطبقه العليا في البلاغه لان الكلام
يحسن فيها بمجانسه القوافي واقامه الوزن ۞ **واما التجنيس**
فانه بيان انواع الكلام الذي يجمعه اصل واحد وهو على وجهين مزاوجه ومناسبه
فالمزاوجه كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وقوله ومكروا ومكر الله وكقول **عمرو بن كلثوم**

الا لا يجهلن احد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

واما المناسبه فهي كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله يخافون يومًا
تتقلب فيه القلوب والابصار ۞ **واما التصريف** فهو تصريف
الكلام في المعاني كتصريفه في الدلالات المختلفه كتصريف الملك في معاني الصفات
فصرف في معنى ما لك وملكٍ وذي الملكوت والمليك وفي معنى التمليك والتملك
والاملاك **واما التضمين** فهو حصول معنًى فيه من غير ذكره له
باسمٍ او صفةٍ هي عبارةٌ عنه وذلك على وجهين تضمين توجبه البنيه كقولنا
معلوم يوجب انه لا بد من عالمٍ وتضمين يوجبه معنى العباره من حيث لا يصح
الا به كالصفه بضاربٍ يدل على مضروبٍ والتضمين كله انجاز والتضمين الذي
تدل عليه دلالات القياس ايضًا انجاز وذكر ان بسم الله الرحمن الرحيم من باب
التضمين لانه تضمن تعليم الاستفتاح في الامور باسمه على جهه التعظيم لله تبارك
وتعالى والتبرك باسمه **واما المبالغة فهي الدلالة على كثر**
المعنى وذلك على وجوه منها مبالغه في الصفه المبنية لذلك كقولك رحمن
عدل عن ذلك للمبالغه وكقوله عقار وكذلك فعال وفعول كقولهم شكور وغفور
وفعيل كقوله رحيم وقدير ۞ ومن ذلك ان يبالغ باللفظه التي هي صنعه عامه
كقوله خالق كل شيء وكقوله فاتى الله بنيانهم من القواعد ۞ وكقوله ولا يدخلون
الجنه حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقوله وانا او اياكم لعلى هدًى او في ضلالٍ مبينٍ
وقد يدخل الحذف الذي تقدم ذكره للمبالغه **واما حسن البيان**
فالبيان على اربعة اقسامٍ كلامٌ وحالٌ واشارةٌ وعلامةٌ
ويقع التفاضل في البيان ولذلك قال عز من قايلٍ الرحمن علم القرآن خلق الانسان
علمه البيان وقيل عيا من باقل سيل عن ظبيٍ في يده بكم اشتراها فاراد ان يقول
باحد عشر فاشار بيديه مادًا اصابعه العشر ثم ادلع لسانه وافلت الظبي من
يده ۞ ثم البيان على مراتب قلنا قد كنا حكينا ان من الناس من يريد ان يأخذ عجاز

القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا انها تسمى البديع في اول الكتاب
امثله في الشعر ۞ ومن الناس من زعم انه ياخذ ذلك من هذه الوجوه التي عددناها
في هذا الفصل ۞ واعلم ان الذي بيناه قبل هذا وذهبنا اليه هو شديد وهو ان
هذه الامور تنقسم فمنها ما يمكن الوقوع عليه والتعمل له ويدرك بالتعلم فما كان
كذلك فلا سبيل الى معرفه اعجاز القرآن به واما ما لا سبيل اليه بالتعلم والتعمل
من البلاغات فذلك هو الذي يدل على اعجازه ونحن نضرب لذلك امثله لتقف
على ما ذهبنا اليه وذكرنا في هذا الفصل عن هذا القايل ان التشبيه تعرف به
البلاغه وذلك مسلم ولكن ان قلنا ما وقع من التشبيه في القرآن معجز عرض علينا
من التشبيهات الجاريه في الاشعار ما لا يخفى عليك وانت تجد في شعر ابن المعتز
من التشبيه البديع الذي يشبه السحر وقد تتبع في هذا ما لم يتتبع غيره واتفق
ما لم يتفق لغيره من الشعراء وكذلك كثير من وجوه البلاغه قد بينا ان تعلمها يمكن
وليس تقع البلاغه بوجهٍ واحدٍ منها دون غيره فان كان انما يعني هذا القايل انه
اذا اتى في كل معنىً يتفق في كلامه بالطبقه العاليه ثم كان ما يصل به كلامه
بعضه ببعضٍ وينتهي منه الى منصرفاته على تم البلاغه وابدع البراعه فهذا
مما لا نابا به بل نقول به وانما ننكر ان يقول قايل ان بعض هذه الوجوه بانفرادها
قد حصل فيه الاعجاز من غير ان يقارنه ما يتصل به الكلام ويفضي اليه مثل
ما يقول ان ما اقسم به وحده معجز وان التشبيه معجز وان التجنيس معجز و
المطابقه بنفسها معجز ۞ فاما الاله التي فيها ذكر التشبيه فاذا ادعى اعجازها
لالفاظها ونظمها وتاليفها فاني لا ادفع ذلك واصححه ولكن لا ادعي اعجازها
لموضع التشبيه وما قرن به من الوجوه صاحب المقاله التي حكيناها اضاف ذلك
الى موضع التشبيه وما قرن به من الوجوه ما قد بينا ان الاعجاز يتعلق به كالبيان
وذلك لا يختص بجنسٍ من المبين دون جنس ولذلك قال هذا بيان للناس وقال
تبيانا لكل شي وقال بلسان عربي مبين فكرر في مواضع ذكره انه مبين فالقوان
اعلى منازل البيان واعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن واسبابه وطرقه وابوابه
من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقعه في السمع وسهولته
على اللسان وقوع في النفس موقع القبول وتصوره تصور المشاهد وتشكله
على جهته حتى يحل محل البرهان ودلاله التاليف مما ينصر حسنا وبهجه وسناءً
ورفعهً واذا على الكلام في نفسه كان له من الموقع في القلوب والتمكن في النفوس
ما يذهل ويبهج ويقلق ويونس ويطمع ويوئس ويضحك ويبكي ويحزن ويفرح

ويسكن ويزعج ويشجي ويطرب ويهز الاعطاف ويستميل ونحوه الاسماع
ويورث الاريحيه والعزه وقد يبعث على بذل المهج والاموال شجاعه وجودا ويرمي
السامع من وراء رايه مرمى بعيدا وله مسالك في النفوس لطيفه ومداخل الى
القلوب دقيقه وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ويجري على
سمت مطلعه ومقطعه كون عجيب تاثيراته وبديع مقتضياته وكذلك على
حسب مصادره يتصور وجوه موارده قد ينبي الكلام عن محل صاحبه ويدل
على مكان متكلمه وينبه على عظيم شانا هله وعلى علو محله الا ترى ان الشعر في الغزل
اذا صدر عن محبٍ كان ارق واحسن واذا صدر عن متغزلٍ وحصل من متصنعٍ
نادى على نفسه بالمداجاه واخبر عن خبيه في المراياه وكذلك قد يصدر الشعر
في وصف الحرب عن الشجاع فيعلم وجه صدره ويدل على كنهه وحقيقته وقد
يصدر عن المتشبه ويخرج من فيعرف من حاله ما ظن انه يخفيه ويظهر
من امره خلاف ما يبديه وانت تعرف لقول المتنبي

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والطعن والقرطاس والقلم

من الواقع في القلب لما يعلم انه من اهل الشجاعه ما لا تجده للبحتري
في قوله

وانا الشجاع وقد بدا لك موقفي بعقرقس والمشرفيه شهدي

ونجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب في الفخر وغيره ما لا نجده لغيره
لانه اذا قال

اذا شيت او قرت البلاد حوافرا وسارت ورا ها شم ونزار
وغم سماء انقع حتى كانه دخان واطرافا لرماح شرار

وقال

قد تزينت بالمكارم حولي وكفتني نفسي من الافتخار
انا جيش اذا غزوت وحيدا ووحيد في المحفل الجرار

وقال

ايها السايلي عن الحسب الاطيب ما فوقه لخلق من مزيد
نحن آل الرسول والعتره الحق واهل القرى فما ذا تريد
ولنا ما اضاء صبح عليه واتته رايات ليل سود

وكما انشدنا الحسن ابن عبد الله قال انشدنا محمد ابن يحيى لابن المعتز قصيدته التي

انا ابن الذى سادهم فى الحياة وسادهم بى تحت الثرى
ومالى فى احدم رغب بلى فى يرغب كل الورى
واسهر للمجد والمكرمات اذا اكتحلت اعين بالكرى

فانظر فى القصيده كلها ثم فى جميع شعره تعلم انه ملك الشعر وانه يليق به من الفخر خاصة ثم مما يتبعه مما يتعاطاه مما لا يليق بغيره بل ينفر عن سواه ولم احب اكثر عليك فاطول الكتاب بما يخرج عن غرضه وكما ترى من قول ابى فراس الحمدانى فى نفسك اذا قال

ولا اصبح لحى الخلوف بغاره ولا الجيش مالم ياته قبلى النذر
ويا رب دار لم تخفنى منيعه طلعت عليها بالردى انا والفجر
وساحبه الاذيال نحوى لقيتها فلم يلقها جاف فى اللقاء ولا وعر
وهبت لها ما حازه الجيش كله واتب ولم يكشف لابياتها ستر
وما راح يطغينى باثوابه الغنى ولا بات يثنينى عن الكرم القفر
وما حاجتى فى المال ابغى وفوره اذا لم افر وفرى فلا وفر الوفر

والشى اذا صدر من اهله وبدى من اصله وانتسب الى ذويه سلم فى نفسه وبان فخامته وشوهد اثره استحقاقا فيه واذا صدر من متكلف وبدا من متصنع باذاثر الغربه عليه وظهرت مخايل الاستيحاش فيه وعرف شمايل التحير منه انا نعرف فى شعر ابى نواس اثر الشطاره وتمكن البطاله وموقع كلامه فى وصف ما هو بسبيله من ام العيازه ووصف الخمر والخمار كما نعرف موقع كلام ذى الرمه فى وصف الطول والرباع والوحش ففكر فى قوله

دع الاطلال تسفيها الجنوب وتبلى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء ارضا يخب به النجيبه والنجيب
بلاد نبتها عشر وصلح واكثر صيدها ضبع وذيب
ولا تاخذ عن الاعراب لهوا ولا عيشا فعيشهم جذيب
دع الالبانى يشربها رحال رقيق العيش عندهم غريب
اذا راب الحليب قبل عليه ولا تحرج فما فى ذاك حوب
فاطيب منه صافية شمول يطوف بكاسها ساق اديب
كان هديرها فى الدن يحكى قراءة القس قابله الصليب
اعاذل قصرى عن طول لومى فراجى توبتى عندى تخيب

وقوله تعجبين الذنوب واى احر من الفتيان ليس له ذنوب

صفة الطلول بلاغه القدم فاجعل صفاتك لابنه الكرم

وسمعت الصاحب اسمعيل ابن عباد يقول سمعت بركويه الزنجانى يقول انشد بعض الشعراء هلال ابن عزيد قصيده على وزن قصيده الاعشى

ودع هريره ان الركب مرتحل وكان وصف فيها الطلل

قال بركويه فقال لى هلال فقلت بديها

اذا سمعت فتى يبكى عن طلل من اهل زنجان فاعلم انه طلل

وانما ذكرت لك هذه الامور لتعلم ان الشى فى معدنه اعز والى مظانه احز والى اصله انزع وباسبابه الیق وهو يدل على ما صدر منه وينبه ما عنه ويكون قراره على موجب صورته وانواره على حسب محله ولكل شى حد ومذهب ولكل كلام سبيل ومنهج وقد ذكر ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى كلام مسيلمه ما اخبرتك به فقال ان هذا كلام لم يخرج من الّ فدل على ان الكلام الصادر عن عزه الربوبيه ورفعه الالهيه يتميز عما لم يكن كذلك ثم رجع الكلام بنا الى ما ابتدانا من عظيم شان البيان ولو لم يكن فيه الا ما من به الله على خلقه بقوله خلق الانسان علمه البيان ۞ فاما بيان القرآن فهو اشرف بيان واهداه واكمله و اعلاه وابلغه واسناه تامل قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم فى شده التبنيه على تركهم الحق والاعراض عنه و موضع امتنانه بالذكر والتحذير وقوله ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون وهذا يبلغ فى التحسير وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر معودين لمخالفه النهى والامر وقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين هو فى نهايه الوضع من الخله الا على التقوى وقوله ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وهذا نهايه فى التحذير من التفريط وقوله افمن يلقى فى النار خير ام من ياتى امنا يوم القيمة اعملوا ما شيتم انه بما تعملون بصير هو النهايه فى الوعيد والتهديد وقوله وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى نهايه فى الوعيد وقوله وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون نهايه فى الترغيب وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ۞

وكذلك قوله لوكان فيهما الهه الا الله لفسدتا نهايه في الحجاج ٥ وقوله واسروا
قولكم اواجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
نهايه في الدلاله على علمه بالخفيات ولا وجه للتطويل فان بيان الجميع في الرفعه
وكبر المنزله على سواء وقد ذكرنا من قبل ان البيان يصح ان يتعلق به الاعجاز وهو
معجز من القرآن وما حكينا عن صاحب الكلام من المبالغه في اللفظ فليس
ذلك بطريق الاعجاز لان الوجوه التي ذكرها قد تتفق في كلام غيره وليس
ذلك معجز بل قد يصح ان يقع في المبالغه في المعنى والصفه وجوه من اللفظ
يثمر الاعجاز وتضمين المعاني ايضا قد يتعلق به الاعجاز اذا حصلت للعباره
طريق البلاغه في اعلى درجتها ٥ واما الفواصل فقد بينا
انه يصح ان يتعلق بها الاعجاز وكذلك قد بينا في المقاطع والمطالع نحو هذا
وبينا في تلاوم الكلام ما سبق من صحه تعلق الاعجاز به والتصرف في الاستعاره
البديعه يصح ان يتعلق به كما يصح مثل ذلك في حقايق الكلام لان البلاغه في
كل واحد من البابين بجرى مجرى واحدا وتاخذ ماخذ مفردا ٥
واما الايجاز والبسط فيصح ان يتعلق بهما الاعجاز كما يتعلق
بالحقايق والاستعاره والبيان في كل واحد منهما ما لا يضبط حده ولا
يقدر قدره ولا يمكن التوصل الى ساحل بحره بالتعلم ولا يتطرق الى غوره بالتسبب
وكل ما يمكن تعلمه ويتهيا تلقنه ويملك تخليصه ويستدرك اخذه فلا يجب
ان يطلب وقوع الاعجاز به ولذلك قلنا ان التسجع مما ليس يلتمس فيه الاعجاز
لان ذلك امر محدود وسبيل مورود ومتى يدرب الانسان به واعتاده
لم يستصعب عليه ان يجعل جميع كلامه منه وكذلك التجنيس والتطبيق متى
اخذ احدهما وطلب وجههما استوفى ما شاء ولم يتعذر عليه ان يملا
خطابه منه كما اولع بذلك ابو تمام والبحتري وان كان البحتري اشعف بالمطابق
واقل ظلما ٥ للمجانس فان قال فاي هذا قلت ان هذين
البابين يقع فيهما مرتبه عاليه لا يوصل اليها بالتعلم ولا تملك بالتعمل كما
ذكرتم في البيان وغيره ذلك قلنا لو عمل الى كتاب الاجناس ونظر
في كتاب العين لم يتعذر عليه التجنيس الكثير فاما الاطباق فهو اقرب منه وليس
كذلك البيان والوجوه التي رايناها الاعجاز فيها لانها تستوفى بالتعلم
فان قيل فالبيان قد يتعلم قيل ان الذي يمكن ان يتوصل
اليه بالتعلم يتقارب فيه الناس ويتناهى فيه العادات وهو كما يعلم من مقادير

القوى

القوى في جمل الثقيل وان الناس يتقاربون في ذلك ويرمون فيه الى حد فاذا
تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطي ولم يقدروا على التعدي الا ان يحصل
ما يخرق العاده وينقض العرف وان يكون ذلك الا للدلاله على النبوات على
شروط في ذلك والقدر الذي يفوت الحد في البيان ويتجاوز الوهم ويشد
عن الصنعه ويقذفه الطبع في النادر القليل كالبيت البديع والقطعه
الشريفه التي تتفق في ديوان شاعر والفقره تتفق في لسان كاتب حتى يكون
الشاعر ابن بيت او بيتين او قطعه او قطعتين والاديب شهيد كلمه او
كلمتين وذلك امر قليل ولو كان كلامه كله يطرد على ذلك المسلك ويستمر
على ذلك المنهج امكن ان يدعى فيه الاعجاز ولكنك ان كنت من اهل الصنعه
تعلم قله الابيات الشوارد والكلمات القوافي وامهات القلايد فان اردت
ان تجد قصيده كلها وحشيه واردت ان تراها مثل بيت من ابياتها مرضيه
لم تجد ذلك في الدواوين ولم تظفر بذلك الى يوم الدين ونحن لم ننكر ان
يستدرك البشر كلمه شريفه ولفظه بديعه وانما انكرنا ان يقدروا على مثل
نظم سوره او نحوها واحلنا ان يتمكنوا من حد في البلاغه ومقدار في الخطابه
وهذا كما قلناه من ان سوره الشعر قد تتفق في القرآن وان لم يكن له الحكم
فاما قدر المعجز فقد بينا انها السوره طالت او قصرت وبعد ذلك
خلاف من الناس من قال مقدار كل سوره او طوليه فهو معجز وعندنا كل واحد من
الامرين معجز والدلاله عليه ما تقدم والبلاغه لا تبين باقل من ذلك فلذلك
لم نحكم باعجازه وما صح ان تتبين فيه البلاغه ومحصولها الا بانه في الابلاغ عن
ذات النفس على احسن معنى واجزل لفظا وبلوغ الغايه في المقصود بالكلام فاذا
بلغ الكلام غايته في هذا المعنى كان بالغا وبليغا فاذا تجاوز حد البلاغه الى حيث
لا يقدر عليه اهل الصناعه وانتهى الى امر يعجز عنه الكامل في البراعه صح ان
يكون له حكم المعجزات وجاز ان يقع موقع الدلالات وقد ذكرنا انه بجنسه و
اسلوبه متباين لسائر كلامهم ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغه الحد الذي
يقدر عليه البشر ٥ فان قيل اذا كان يجوز عندكم ان يتفق
في شعر الشاعر قطعه عجيبه شارده تباين جميع ديوانه في البلاغه ويقع في ديوانه
بيت واحد يخالف ما الوف طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولا تلك القطعه
في التفصيل ولو اراد ان ياتي بمثل ذلك ويجعل جميع كلامه من ذلك النمط
لم يجد الى ذلك سبيلا وله سبب في الجمله وهو التقدم في الصنعه لانه يتفق

من المتاخرفيها ۞ فهلا قلتم انه اذا بلغ فى العلم بالغصب
مبالغه القصوى كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وسمت تلك القطعة
۞ وهلا قلتم انّ القرآن من هذه الباب فالجواب
انا لم نجد احدا بلغ الحدّ الذى وصفتم فى العاده وهذا الناس واهل البلاغة اشعار
هم عندنا محفوظة وخطبهم منقوله ورسايلهم ماثوره وبلاغاتهم مرويّة
وحكمهم مشهوره وكذلك اهل الكهانه والبلاغه مثل قس ابن ساعده وسحبان
وايل ومثل شقّ وسطيح وغيرهم كلامهم معروف عندنا وموضوع بين ايدينا
لايخفى عليبا فى الجمله بلاغة بليغ ولاخطابه خطيب ولابراعه شاعر مفلق
ولاكتابه كاتب مدقق فلما لم نجد فى شى من ذلك ما يدانى القرآن فى البلاغه
اويشاكله فى الاعجاز مع ما وقع من التحدى اليه للمدّه الطويله وتقدّم من
التقريع فى المجازاه الامد المديد وثبت له وحده خاصّه قصب السّبق والعلا
ستيلاءً على الامر وعجز الكلّ عنه ووقفوا دونه حيارى يعرفون اعجزهم
وان جهل قوم سببه ويعلمون نقصهم وان عقل قوم وجهه رأينا انه
ناقض للعاده ورأينا انه خارق المعروف فى الحيله وحرقا العاده انما تقع
بالمعجزات على وجه اقامه البرهان على النبوّات وعلى انّ من ظهرت عليه
ووقعت موقع الهدايه اليه صادق فيما يدعيه من نبوّته ومحقّ فى قوله ومصلب
فى هديه قد شهدت له الحجّه البالغه والكلمه التامه والبرهان النيّر والدليل
البيّن ۞ فصل فى حقيقة المعجز
معنى قولنا انّ القرآن معجز على اصولنا انه لايقدر العباد عليه وقد ثبت انّ
المعجز الدّال على صدق النبى صلى الله عليه وسلم لايصحّ دخوله تحت قدر العباد
وانما يتفرّد الله تعالى بالقدره عليه ولايجوز ان يعجز العباد عمّا تستحيل قدرتهم
عليه كما يستحيل عجزهم عن فعل الحسام فنحن لانقدر على ذلك وان لم يصحّ وصفنا
باتّا عاجزون عن ذلك حقيقةً وكذلك معجزات سايرالانبياء على هذا فلمّا
لم يقدر عليه احد شبّه بما يعجز عنه العاجز وانما يقدر على العباد الايتان بمثله
لانه لوصحّ ان يقدروا عليه بطل دلاله المعجز وقد اجرى العاده بان يتعذّر
فعل ذلك منهم والا يقدروا عليه ولوكان غير خارج عن مكرر لاتوا بمثله
اوعرضوا عليه من كلام فصحايهم وبلغايهم ما يعارضه فلما لم يشتغلوا بذلك
علم انهم فطنوا لخروج ذلك عن اوزان كلامهم واساليب نظامهم وزالت
اطماعهم عنه وقد كنّا بيّنا انّ التواضع ليس يجب ان يقع على قول الشعر ووجوه

النظم

فى الاوزان المطربه للسّمع ولايحتاج فى مثله الى توقيف
وانه يتبيّن انّ مثل ذلك يجرى فى الخطاب فلما جرافيه فطنوا له وارتاحوا
وطلبوا انواع الاوزان وتعوا على حسن ذلك وقدروا عليه بتوفيق
الله عزّوجلّ وهو الذى جمع خواطرهم عليه وهداهم له وبادواعيهم اليه و
لكنه اقدرهم على حدٍّ محدود وغايه فى العرف مضروبه لعلمه بانّ سيجعل القرآن
معجزًا ودلّ على عظم شانه بانهم قدروا على ما بيّنا من التاليف وعلى ما وصفنا
من النظم من غير توقيف ولا اقتفاء اثر ولا تحدٍّ اليه ولا تقريع فلوكان هذا من
ذلك القبيل او من الجنس الذى عرفوه والفوه لم تزل اطماعهم عنه ولم يدهشوا
عنه ورده عليهم فكيف وقد امهلهم وفسح لهم فى الوقت وكان يدعوا اليه سنين
كثيرة وقال عزّمن قايل اولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكر وجاءكم النذير
وبظهور العجز عنه بعد طول التقريع والتحدّى بانه خارج عن عاداتهم و
انهم لايقدرون عليه وقد ذكرنا انّ العرب كانت تعرف ما بين عاداتها من الكلام
البليغ لانّ ذلك طبعهم ولغتهم فلم يحتاجوا الى تجربة عند سماع القرآن وهذا
فى البلغاء منهم دون المتاخرين فى الصنعه والذى ذكرناه يدلك على انه لاكلام
ازيد فى قدر البلاغه من القرآن وكلّ من جوّز ان يكون للبشر قدرة على ان ياتوا بمثله
فى البلاغه لم يمكنه ان يعرف انّ القرآن معجز بحال ولولم يكن جرى فى المعلوم انه
سيجعل القرآن معجزًا لكان يجوز ان تجرى عادات البشر بقدر يزايد على ما العفوه
من البلاغه وامر يفوق ما عرفوه من الفصاحه وانما نظم القرآن فقد قال
اصحابنا فيه انّ الله تعالى يقدر على نظم القرآن الرتبه التى لامزيد عليها فقد قال
مخالفونا انّ هذا غير ممتنع لانّ فيه من الكلمات الشريفه الجامعه للمعانى البديعه
وانضاف الى ذلك حسن الموقع فيجب ان يكون قد بلغ النهايه لانه عندهم وان
زاد على ما فى العاده فانّ الزايد عليها وان تفاوت فلا بدمن ان ينتهى الى حدٍّ
لامزيد عليه والذى نقوله انه لايمتنع ان يقال انه يقدر الله تعالى على ياتى بنظمٍ
ابلغ وابدع من القرآن كله وانما قدر العباد فهى متناهيه فى كلّ ما يقدرون عليه
مما تصحّ قدرتهم عليه ۞ فصل فى كلام النبى صلى الله عليه
وسلم وامور تتصل بالاعجاز ۞ ان قال قايل اذا كان
النبى صلى الله عليه وسلم افصح العرب وقد قال هذا فى حديثٍ مشهورٍ وهو صادق
فى قوله فهلا قلتم انّ القرآن من نظمه لقدرته فى الفصاحة على مقدارٍ لايبلغه
غيره قيل قد علمناه انه لم انه لم يتحدّهم الى مثل قوله وفصاحته و

القدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء كقدر ما بين الشعر
وكلام الخطيبين في الفصاحة وذلك مما لا يقع به الاعجاز وقد بينا قبل هذا
انا اذا وازنا بين خطبه ورسايله وكلامه المنثور وبين انتظم القرآن تبين
من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس فلا معنى لقول من
ادعى ان كلام النبي صلى الله عليه وسلم معجز وان كان دون القرآن في الاعجاز
فان قيل لولا ان كلامه معجز لم يشتبه على ابن مسعود
الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما القرآن وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت
في انه هل هو من القرآن ولا يجوز ان يخفى عليهم القرآن من غيره وعدد السور عند
هم محفوظ مضبوط وقد يجوز ان يكون شذ عن مصحفه لانه بقاه من
القرآن بل عول على حفظ الكل اياه على ان الذي يرونه خبر واحد لا يسكن اليه
في مثل هذا ولا يعمل عليه ويجوز ان يكتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت ليلا
ينساه كما يكتب الواحد منا بعض الادعيه على ظهر مصحفه وهذا نحو ما يذكره
الجهال من اختلاف كثير بين مصحف ابن مسعود وبين مصحف عثمان رضي الله
عنهما ونحن لا ننكر ان يغلط في حروف معدودة كما يغلط الحافظ في حروف
ولا ينسى وما لا يجيزه على الحفاظ مما لم يجزه عليه ولو كان قد انكر السورتين
على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر فقد
تناظروا في اقل من هذا وهذا امر يوجب التفكير والتضليل فكيف يجوز ان يقع
التحريف فيه وقد علمنا اجماعهم على ما جمعوه في المصحف فكيف يقرح بمثل هذه
الحكايات الشاذة المولده في الاجماع المتقرر والاتفاق المعروف ويجوز ان
يكون الناقل اشتبه عليه لانه خالف في النظم والترتيب فلم يشتبهما في آخر
القرآن والاختلاف بينهم في موضع الاثبات غير الكلام في الاصل الا ترى انهم
قد اختلفوا في اول ما نزل من القرآن فمنهم من قال قوله اقرأ باسم ربك ومنهم من
قال يا ايها المدثر ومنهم من قال فاتحة الكتاب واختلفوا ايضا في آخر ما انزل فقال
ابن عباس اذا جاء نصر الله فقالت عايشه سوره المايده وقال البراء بن عازب آخر
ما انزل براءه وقال السدي آخر ما انزل فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه
توكلت ويجوز ان يكون في مثل هذا خلاف وان يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع
ولو كان القرآن من كلامه لكان البون بين كلامه وبينه مثلما بين خطبه ينشيهما
رجل واحد وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا ان القدر الذي بين كلامهم وبين
كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج الى حد الاعجاز ولا يتفاوت التفاوت

الكثير

الكثير ولا يخص كلامه من جنس اوزان كلامهم وليس كذلك نظم القرآن
لانه خارج من جميع ذلك فان قيل لو كان على ما ادعيتم لعرفنا بالضرورة
انه معجز دون غير قيل معرفة الفصل من وزن الشعر ووزنه والفرق بينه
وبين غيره من الاوزان الى نظر وتامل وفكر وروية واكثر ما يكون
كان النظم المختلف الشديد التباين اذا وجد ادرك اختلافه بالحاسة
الا ان كل وزن وقبيل اذا اردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه الى الفكرة
والتامل فان قيل لو كان معجزا لم يختلف اهل الملة في وجه
اعجازه قيل قد يثبت الشيء دليلا وان اختلفوا في وجه دلالة البرهان
كما قد يختلفون في الاستدلال على حدث العالم من الحركة والسكون
والاجتماع والافتراق فاما المخالفون فانه ينعذر عليهم ان يعرفوا
ان القرآن كلام الله تعالى لان مذهبهم انه لا فرق بين ان يكون
القرآن من قبل الرسول او من قبل الله عز وجل في كونه معجزا
لانه ان خصه بقدر من العلم لم يجز العادة بمثله امكنه ان ياتي
بمثله هذه الريبة وكان متقدرا على غيره لفقد علمه بكيفية
النظم وليس القوم بعاجزين عن الكلام ولا عن النظم والتاليف
والمعنى المؤثرة عندهم في نفس مثل نظم
العلم بكيفية النظم وقد بينا قبل هذا ان قد يعلم
كيفية الاوزان واختلافها وكيفية التركيب وهؤلاء
وجوه الفصاحة واذا الشعر كان شعر
احدهما في الطبقة العالية وشعره خير في الطبقة الوضيعة
وقد يطرد في شعر المبتدي والمتاخر في الحذف القطعة الشريفة
والبيت النادر وما لا يتفق للشاعر المتقدم والعلم
لا يغني ويحتاج معه الى مادة من الطبع وتوفيق من الاصل وقد
يتساوى العالمان بكيفية
او النساجة ثم يتفق لاحدهما من اللطف في الصنعة ما لا يتفق
للاخر وكذلك اهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية
النظم وكذلك اهل يتفاضلون
وجدت للشاعر بيتا
من على انه
او قطعة احسن

اعلم بالنظم منه لانه لوكان كذلك كان يجب ان يكون
وبحسب ذلك البيت في الشرف

والحسن والبراعة ولايجوز ان نعلم نظم قطعة
نظم مثلها وان كان كذلك علم ان هذا لايرجع الى ما قدروه
من العلم ولسنا نقول
النظم بل يكفي علم به في الجملة ثم يقف الامر على القدرة وهذا
بيت لك بانه قد يعلم الخط فيكتب سطرا فلو اراد ان يأتي
بمثله بحيث لايغادر منه شيئا التعذر والعلم حاصل وكذلك
قد يحس بكيفية الخط والجيد منه من الردي ولايمكنه ان يأتي
بارفع درجات الجيد وقد يعلم قوم ادارة الاقلام وكيفية
تصوير الخط ثم يتفاوتون في التفصيل ويختلفون في التصوير
والزمهم اصحابنا ان يقولوا بقدرتنا على احداث الاجسام وانما
يتعذر وقوع ذلك منا بان لانعلم الاسباب التي اذا عرفنا
ايقاعها على وجوه اتفق لنا فعل الاجسام وقد ذهب بعض
المخالفين الى ان العادة انتقضت بان انزله جبريل فصار القرآن
معجزا لنزوله على هذا الوجه ومن قبله لم يكن بمعجز وهذا

مثل القرآن وانه لم

ولوكانوا قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق
قبل نزوله ولا بعده على مثله فهو قولنا
الآن معنى المعجز عندهم تعذر فعل مثله
وكان ذلك متعذرا قبل نزوله وبعده فاما الكلام
في ان التاليف هل له نهاية فقد اختلف المخالفون من المتكلمين
فيه فمنهم من قال ليس لذلك نهاية كالعدد فلا يمكن ان
يقال انه لاياتي قول قصيدة الا وقد اتي قبل فمنهم من قال
ان ما جرت به العادة فله نهاية وما لم تجر به العادة فلا يمكن
ان نعلم نهاية الرتبة فيه وقد بينا ان على اصولنا قد
تقدر لكلامنا حد في العادة
ولا سبيل الى تجاوزه ولا يقدر عليه فان

خرق العادة فزاد عليها

٧٠

فصل

ان قيل من شرط المعجزات ان يعلم انه اتى به من ظهر عليه
قيل لابد من ذلك لانا لو نعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
هو الذي اتى بالقرآن وظهر ذلك من جهته لم يمكن ان يستدل به
على نبوته وعلى هذا لو تلقى رجل منه سورة فاتى بها بلدا
وادعى عليه وانها معجزة
لم تقم الحجة عليهم حتى يحثوا ويبينوا انها ظهرت عليه
وقد حققنا ان القرآن اتى به النبي صلى الله عليه وسلم وظهر
من جهته وجعله علما على نبوته وعلمنا ذلك ضرورة فصار حجة
علينا

فصل

قد ذكرنا في الابانة عن معجز القرآن وجيز من القول رجونا ان
يكفي وامّلنا ان يقنع والكلام في اوصافه ان استقصي بعيد الاطراف
واسع الاكناف لعلو شانه وشريف مكانه والذي سطرناه
في الكتاب وان كان موجزا واملينا فيه وان كان خفيفا فانه
ينبه على الطريقة ويدل على الوجه ويهدي الى الحجة ومتى
عظم محل الشيء فقد يكون الاسهاب فيه عيا والاكثار في
وصفه تقصيرا وقد قال الحكيم وقد سئل عن البليغ متى يكون
غنيا فقال متى وصف هوا وجيبا وصل اعرابي في سفره ليلا
فطلع القمر فاهتدى به فقال ما اقول لك افول رفعك الله وقد
رفعك ام اقول نورك الله وقد نورك ام اقول جملك الله وقد جملك
ولولا ان العقول تختلف والافهام تتباين والمعارف تتفاضل لم
نحتج الى ما تكلفنا ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ولو
اتفقوا فيها لم يجز ان يتفقوا في معرفة هذا الفن او يجمعوا في
الهداية الى هذا العلم لاتصاله باسباب ولتعلقه بمعلوم
غامضة الغور عميقة القعر كثيرة المذاهب قليلة الطلاب
ضعيفة الاصحاب وبحسب تاتي مواقعه يقع الافهام دونه
وعلى قدر لطف مسالكه يكون القصور عنه انسدني

أبو القاسم الزعفراني قال انشدني المتنبي لنفسه القطعة التي
يقول فيها

وكم من عائب قولا صحيحا
وافته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الاذهان منه
على قدر القرائح والعلوم

وانشدني الحسن بن عبد الله قال انشدنا بعض مشايخنا
للبحتري

اهز بالشعر افواما ذوي سنة
لو انهم ضربوا بالسيف ما شعروا
علي نحت القوافي من مقاطعها
وما علي لهم ان تفهم البقر

فاذا كان نقد الكلام كله صعبا وتمييزه شديدا والوقوع على
اختلاف فنونه متعذرا وهذا في كلام الادمي فما ظنك
بكلام رب العالمين فدلنا لك ان من قدر ان البلاغة في
عشرة اوجه من الكلام لا يعرف من البلاغة الا القليل ولا
يفطن منها الا اليسير ومن زعم ان البديع يقتصر على ما ذكرنا
من قبل عنهم في الشعر فهو متطرف بل ان كانوا يقولون
ان هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع واصول اللطيف
وان ما جرى مجرى ذلك وبيتا كله ملحق بالاصل ومرد على القاعدة
فهذا قريب وقد بينا في نظم القرآن ان الجملة تشتمل على بلاغة
منفردة والاسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف ثم الفواتح والخواتم
والمبادي والمثاني والطوالع والمقاطع والوسائط والفواصل ثم الكلام
في نظم السور والآيات ثم في تفاصيل التفاصيل ثم في الكثير والقليل
ثم الكلام الموشح والمرصع والمفصل والمرصع والمجنس والموشع والمحلى
والمكمل والمطوق والمنوج والموزون والخارج عن الوزن والمعتدل في
النظم والمتشابه فيه ثم الخروج من فصل الى فصل ووصل الى وصل
ومعنى الى معنى ومعنى في معنى والجمع بين المؤتلف والمختلف
والمنفق والمتسق وكثرة التصرف وسلامة القول في ذلك كله

من التعسف وخروجه عن التعمق والتشدق وبعده عن التعمل
والتكلف والالفاظ المفردة والابداع في الحروف والادوات كالابداع
في المعاني والكلمات والبسط والقبض والبناء والنقض والاختصار
والشرح والتشبيه والوصف وتمييز الابداع من الاتباع كتمييز المطبوع
عن المصنوع والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل وانت تبينه في
كل ما تصرف فيه من الانواع انه على سمت شريف ورقب منيف
بيد اذا اخذ في النوع الربي والامر الشرعي والكلام الالهي الدال على انه
يصدر عن عزة الملكوت وشرف الجبروت وما لا يبلغ الوهم مواقعه
من حكمة واحكام واحتجاج وتقرير واستشهاد وتقريع واعذار وانذار
وتبشير وتحذير وتنبيه وتلويح واشباع وتصريح واشارة ودلالة
وتعليم اخلاق زكية واسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ
نافعة واوامر صادعة وفصص مفيدة وثناء على الله عز وجل بما هو
اهله واوصاف كما يستحقه وتمجيد كما يستوجبه واخبار عن كتابات
كنيان في الثاني صدقت واحاديث عن الموتنف تحققت ونواه
زاجرة عن القباح والفواحش واباحة الطيبات وتحريم المضار والخبائث
وحض على الجميل والاحسان تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة
عليك في منظر بهج ونظم انيق ومعرض رشيق غير معتاص على الاسماع
ولا متلو على الافهام ولا مستكره في اللفظ ولا متوحش في المنظر
غريب في الجنس غير غريب في القبيل مثلي ها وتضارة ولطفا وغضارة
يسري السرور ويرى اي مواقعه كما يرى الشهر ويضيء كما يضيء الفجر
ويزخر كما يزخر البحر طموح العباب جموح على المتناول المتناب كالروح
في البدن والنور المستطير في الافق والغيث الساجل والضياء الباهر
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
من توهم ان الشعر يلحظ شاوه بان ضلاله وصح جهله اذ الشعر
سمت قد تناولته الالسن وتداولته القلوب وانتالت عليه الوحشي
وضرب الشيطان فيه بسهمه واخذ منه بحظه وهادونه من
كلامهم فهو اذ بي محلا واقرب مأخذا واسهل مطلبا ولذلك قالوا
فلان مفحم فاخرجوه مخرج العيب كما قالوا فلان عيي فاوردوه
مورد النقص والقرآن كتاب دل على صدق متعلقه ورسالة

دلن علي صحة قول المرسل بها وبرهان شهد له براهين الاولين
المتقدمين وبينه على طريقة ما سلف الى الاولين خيرهم
به اذ كان من جنس القول الذي زعموا انهم ادركوا فيه النهاية
وبلغوا فيه الغاية فعرفوا عجزهم كما عرف قوم عيسى نقصانهم
فيما قدروا من بلوغ اقصى الممكن في العلاج والوصول الى اعلى
مراتب الطب فجاءهم بما بهرهم من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وكما اتى موسى بالعصا التي تلقفت ما دفقوا فيه من سحرهم
وانت علي ما اجمعوا عليه من امرهم وكما سخر لسليمان من الرياح
والطير والجن حين كانوا يولعون بدقايق الحكمة وبدايع من اللطف
ثم كانت المعجزة مما يقف عليه الاول والاخر وقوفا واحدا ويبقى
حكمها الى يوم القيمة انظر وفقك الله الى ما هديناك
اليه وفكر في الذي دللناك عليه فالحق منهج واضح والدين ميزان
راجح والجهل لا يزيد الا عمى ولا يورث الا ندما قال الله عز وجل قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا
الالباب وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا وقال يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا على حسب
ما اتيح من الفضل واعطي من الكمال والعقل تقع الهداية والتبين
فان الامور تتم باسبابها وتحصل بالتها ومن سلبه التوفيق
وحرمه الارشاد والتسديد فكانما خر من السماء فتخطفه الطير
او تهوي به الريح في مكان سحيق لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا فاحمد الله على ما رزقك من الفهم ان فهمت وقل رب
زدني علما وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وان ارتبت
فيما بيناه فازدد في تعلم الصنعة وتقدم في المعرفة فسيقع
بك على الطريق الارشد وسيقف بك على الوجه الاحمد فانك
اذا فعلت ذلك احطت علما وتيقنت فهما ولا يوسوس اليك
الشيطان بانه قد كان بعلماء اعلم منك بالعربية وارج منك في
الفصاحة اقوام واقوام ورجال ورجال فكذبوا وارتابوا لان القوم
لم يذهبوا عن الاعجاز ولكن اختلفت احوالهم فكانوا بين جاهل وجاحد

وبين كافر نعمة وحامد وبين ذاهب عن طريق الاستدلال *
بالمعجزات وحايد عن النظر في الدلالات وناقض في باب البحث *
وتختل الالية في وجه الفحص ومستهين بامر الاديان وغاو وتحت
حبالة الشيطان ومقذوف بخذلان الرحمن واسباب الخذلان
والجهالة كثيرة ودرجات الحرمان مختلفة وهلا جعلت باراء الكفرة
مثل لبيد بن ربيعة العامري في حسن اسلامه وكعب بن زهير
في صدق ايمانه وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطباء
الذين اسلموا على ان الصدر الاول ما فيهم الا نجم زاهر وبحر
زاخر وقد بينا ان الاعتصام الا بهداية الله والا توفيق الا بنعمة
الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فتامل ما عرفناك *

في كتابنا وفرغ له فليك واجمع له
لبك ثم اعتصم بالله يهدك
وتوكل عليه يغنك
ويحرك ولمرشده يرشدك
وهو حسبي وحسبك
ونعم الوكيل
تم الاعجاز في
القرآن
العظيم